

آية الله العظمى تكاثر السيوف

# تكملة الأحكام

شرح مختصر في شرح الأركان

بمناهج كبرى من الفقه  
إعداد: محمد بن محمد العبداني

الجزء العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# نفحات الولاية: شرح عصري جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصر مكارم شيرازي

نشرت في الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب ( عليه السلام )

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١٧	نفحات الولاية المجلد ١٠
١٧	اشارة
١٧	الرسالة ٣٢
١٧	اشارة
١٧	نظرة عامّة للرسالة
١٨	الشرح والتفسير: لا تهلك نفسك ولا الناس
١٨	اشارة
٢١	تأمل
٢١	رسائل متواليه
٢١	الرسالة ٣٣
٢١	اشارة
٢١	نظرة عامّة للرسالة
٢٢	الشرح والتفسير: راقب أوضاع مَكّة بدقّة
٢٢	اشارة
٢٤	تأمل
٢٤	من هو قثم بن العباس؟
٢٤	الرسالة ٣٤
٢٤	اشارة
٢٥	نظرة عامّة للرسالة
٢٥	الشرح والتفسير: تطيب خاطر محمّد بن أبي بكر
٢٧	تأمل
٢٧	من هو محمّد بن أبي بكر؟

- الرسالة ٣٥ ..... ٢٧
- اشارة ..... ٢٨
- نظرة عامة للرسالة ..... ٢٨
- الشرح والتفسير: شكوى من الأتباع الضعفاء ..... ٢٨
- تأمل ..... ٣٠
- روعة البلاغة في هذه الرسالة ..... ٣٠
- الرسالة ٣٦ ..... ٣١
- اشارة ..... ٣١
- نظرة عامة للرسالة ..... ٣١
- القسم الأول ..... ٣٣
- اشارة ..... ٣٣
- الشرح والتفسير: قصة الضحاک بن قيس ..... ٣٣
- القسم الثاني ..... ٣٦
- اشارة ..... ٣٦
- الشرح والتفسير: لا أكف عن مقارعة الخائنين ..... ٣٦
- الرسالة ٣٧ ..... ٣٧
- اشارة ..... ٣٨
- نظرة عامة للرسالة ..... ٣٨
- الشرح والتفسير: ما أنت والطلب بدم عثمان؟ ..... ٣٩
- اشارة ..... ٣٩
- تأمل ..... ٤٠
- رسالة معاوية إلى ابن عباس وجوابه ..... ٤٠
- الرسالة ٣٨ ..... ٤١
- اشارة ..... ٤١

- ٤١ ..... نظرة عامّة للرسالة
- ٤٢ ..... القسم الأول
- ٤٢ ..... اشارة
- ٤٢ ..... الشرح والتفسير: المصريون الذين غضبوا لله
- ٤٤ ..... القسم الثاني
- ٤٤ ..... اشارة
- ٤٤ ..... الشرح والتفسير: نصبت عليكم واليا مقتدراً وبصيراً بالأمر
- ٤٤ ..... الرسالة ٣٩
- ٤٤ ..... اشارة
- ٤٤ ..... نظرة عامّة للرسالة
- ٤٧ ..... الشرح والتفسير: لقد بعث دينك بدنيا غيرك!
- ٤٩ ..... تأملان
- ٤٩ ..... ١. عمرو بن العاص في الجاهلية والإسلام
- ٤٩ ..... ٢. بعض أعمال معاوية
- ٥٠ ..... الرسالة ٤٠
- ٥٠ ..... اشارة
- ٥٠ ..... نظرة عامّة للرسالة
- ٥١ ..... الشرح والتفسير: سخط الله وعصيان الإمام
- ٥٢ ..... الرسالة ٤١
- ٥٢ ..... اشارة
- ٥٢ ..... نظرة عامّة للرسالة
- ٥٢ ..... القسم الأول
- ٥٣ ..... اشارة
- ٥٣ ..... الشرح والتفسير: ألا تؤمن بالمعاد؟! .....

- ٥٥ ..... القسم الثاني
- ٥٥ ..... اشارة
- ٥٥ ..... الشرح والتفسير: لا أتسامح فى بيت المال حتى مع أولادى
- ٥٧ ..... تأمل
- ٥٧ ..... من هو ابن عباس؟
- ٦٠ ..... الرسالة ٤٢
- ٦١ ..... اشارة
- ٦١ ..... نظرة عامة للرسالة
- ٦١ ..... الشرح والتفسير: أحسنت! لقد أدت الأمانة
- ٦١ ..... اشارة
- ٦٢ ..... تأمل
- ٦٢ ..... التعرف على عمر بن أبى سلمه المخزومى والنعمان بن عجلان؟
- ٦٣ ..... الرسالة ٤٣
- ٦٣ ..... اشارة
- ٦٣ ..... نظرة عامة للرسالة
- ٦٣ ..... الشرح والتفسير: جميع المسلمين سواسية فى بيت المال
- ٦٤ ..... اشارة
- ٦٦ ..... تأمل
- ٦٦ ..... جواب مصقله للإمام عليه السلام
- ٦٦ ..... الرسالة ٤٤
- ٦٦ ..... اشارة
- ٦٧ ..... نظرة عامة للرسالة
- ٦٧ ..... الشرح والتفسير: إحذر من أغوائهم!
- ٦٧ ..... اشارة

- ٧٠ ..... تأمل
- ٧٠ ..... قصة نسب زياد المعقدة
- ٧٣ ..... الرسالة ٤٥
- ٧٣ ..... اشارة
- ٧٣ ..... نظرة عامّة للرسالة
- ٧٤ ..... القسم الأول
- ٧٤ ..... اشارة
- ٧٤ ..... الشرح والتفسير: دعوة الوالى إلى مأدبة فاخرة!
- ٧٤ ..... اشارة
- ٧٥ ..... تأمل
- ٧٥ ..... من هو عثمان بن حنيف؟
- ٧٦ ..... القسم الثانى
- ٧٦ ..... اشارة
- ٧٦ ..... الشرح والتفسير: لم أذخر من الدنيا شيئاً لنفسى
- ٧٨ ..... القسم الثالث
- ٧٨ ..... اشارة
- ٧٨ ..... الشرح والتفسير: كيف أكون أميرالمؤمنين ولا اشاركهم فى مكاره الدهر؟
- ٧٨ ..... اشارة
- ٨٢ ..... تأمل
- ٨٢ ..... قصة فدك المحزنة
- ٨٥ ..... القسم الرابع
- ٨٥ ..... اشارة
- ٨٥ ..... الشرح والتفسير: لست كالبهيمة المربوطة!
- ٨٩ ..... القسم الخامس



٨٩	اشارة
٨٩	الشرح والتفسير: أيتها الدنيا ابتعدى عني!
٨٩	اشارة
٩٢	تأمل
٩٢	طلاق الدنيا
٩٣	القسم السادس
٩٣	اشارة
٩٣	الشرح والتفسير: هل الغرض الأكل والنوم فقط؟
٩٣	اشارة
٩٤	تأمل
٩٤	الرياضة المشروعة وغير المشروعة
٩٤	القسم السابع
٩٤	اشارة
٩٤	الشرح والتفسير: أيتها الوالي! إحذر المشاركة في مثل هذه الضيافة!
٩٤	اشارة
٩٨	تأملان
٩٨	١. الزهد والانتفاع من المواهب الإلهية
٩٩	٢. من هم حزب الله؟
١٠٠	الرسالة ٤٦
١٠٠	اشارة
١٠٠	نظرة عامة للرسالة
١٠٠	الشرح والتفسير: عامل الناس بالرفق!
١٠٣	الرسالة ٤٧
١٠٣	اشارة

- ١٠٣ ..... نظرة عامة للرسالة
- ١٠٤ ..... القسم الأول
- ١٠٤ ..... اشارة
- ١٠٤ ..... الشرح والتفسير: كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً!
- ١٠٤ ..... القسم الثاني
- ١٠٤ ..... اشارة
- ١٠٤ ..... الشرح والتفسير: أفضل الأعمال صلاح ذات البين!
- ١٠٨ ..... القسم الثالث
- ١٠٨ ..... اشارة
- ١٠٨ ..... الشرح والتفسير: وصايا هامة على فراش الشهادة!
- ١٠٨ ..... اشارة
- ١١٤ ..... تأمل
- ١١٤ ..... أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١١٥ ..... القسم الرابع
- ١١٥ ..... اشارة
- ١١٥ ..... الشرح والتفسير: توصية الإمام عليه السلام المؤكدة حول قاتله!
- ١١٧ ..... الرسالة ٤٨
- ١١٧ ..... اشارة
- ١١٧ ..... نظرة عامة للرسالة
- ١١٨ ..... الشرح والتفسير: نصيحة جامعة لمعاوية
- ١٢٠ ..... الرسالة ٤٩
- ١٢٠ ..... اشارة
- ١٢٠ ..... نظرة عامة للرسالة
- ١٢٠ ..... الشرح والتفسير: الحرص على الدنيا لا يوصلك إلى شيء!

- ١٢٢ ..... الرسالة ٥٠
- ١٢٢ ..... اشارة
- ١٢٣ ..... نظرة عامة للرسالة
- ١٢٣ ..... القسم الأول
- ١٢٣ ..... اشارة
- ١٢٣ ..... الشرح والتفسير: لا يبعدنكم المقام عن الناس!
- ١٢٤ ..... القسم الثاني
- ١٢٤ ..... اشارة
- ١٢٤ ..... الشرح والتفسير: حقوق الإمام وحقوق القادة
- ١٢٨ ..... الرسالة ٥١
- ١٢٨ ..... اشارة
- ١٢٨ ..... نظرة عامة للرسالة
- ١٢٨ ..... القسم الأول
- ١٢٨ ..... اشارة
- ١٢٩ ..... الشرح والتفسير: حذارٍ من ظلم الناس!
- ١٢٩ ..... اشارة
- ١٣٠ ..... تأمل
- ١٣٠ ..... ماذا يعنى الخراج؟
- ١٣٠ ..... القسم الثاني
- ١٣٠ ..... اشارة
- ١٣١ ..... الشرح والتفسير: رعاية إنصاف فى أخذ الخراج
- ١٣٣ ..... الرسالة ٥٢
- ١٣٣ ..... اشارة
- ١٣٤ ..... نظرة عامة للرسالة

- ١٣٤ ..... الشرح والتفسير: آداب الصلاة وأوقاتها! -
- ١٣٤ ..... اشارة
- ١٣٦ ..... تأمل
- ١٣٦ ..... أداء الصلوات الخمس في ثلاثة أوقات -
- ١٣٨ ..... الرسالة ٥٣ -
- ١٣٨ ..... اشارة
- ١٣٩ ..... نظرة عامة للرسالة -
- ١٣٩ ..... خمسون نكتة مهمة في عهد واحد -
- ١٤٣ ..... القسم الأول -
- ١٤٣ ..... اشارة
- ١٤٣ ..... الشرح والتفسير: التوصية الاولى التقوى وجهاد النفس -
- ١٤٣ ..... اشارة
- ١٤٦ ..... تأمل
- ١٤٦ ..... أخطار النفس الأمارة -
- ١٤٧ ..... أهمية بلاد مصر -
- ١٤٨ ..... القسم الثاني -
- ١٤٨ ..... اشارة
- ١٤٨ ..... الشرح والتفسير: احترام حقوق جميع المواطنين! -
- ١٥٢ ..... القسم الثالث -
- ١٥٢ ..... اشارة
- ١٥٢ ..... الشرح والتفسير: لا تكن مغروراً أبداً -
- ١٥٥ ..... القسم الرابع -
- ١٥٥ ..... اشارة
- ١٥٥ ..... الشرح والتفسير: إحذر من لعنة المظلومين! -

١٥٧	القسم الخامس
١٥٧	اشارة
١٥٧	الشرح والتفسير: كن مع جمهور الناس!
١٦١	تأمل
١٦١	أنواع الحكومات
١٦١	القسم السادس
١٦١	اشارة
١٦١	الشرح والتفسير: عليك بستر العيوب!
١٦٢	اشارة
١٦٤	تأمل
١٦٤	موارد الاستخبارات والتستر على عيوب الناس
١٦٤	القسم السابع
١٦٥	اشارة
١٦٥	الشرح والتفسير: إحذر هؤلاء المستشارين!
١٦٥	اشارة
١٦٦	تأمل
١٦٦	أهمية المشورة في حياة الإنسان
١٦٧	القسم الثامن
١٦٧	اشارة
١٦٨	الشرح والتفسير: الوزير الجيد والوزير السيء!
١٧٠	القسم التاسع
١٧٠	اشارة
١٧١	الشرح والتفسير: إحيى السنن الحسنه
١٧٤	تأمل

- ١٧٤ ..... سبب ظهور السنن
- ١٧٥ ..... القسم العاشر
- ١٧٥ ..... اشارة
- ١٧٥ ..... الشرح والتفسير: الطبقات الاجتماعية المختلفة
- ١٧٥ ..... اشارة
- ١٧٧ ..... تأمل
- ١٧٧ ..... الشرائح الاجتماعية
- ١٧٧ ..... القسم الحادي عشر
- ١٧٧ ..... اشارة
- ١٧٨ ..... الشرح والتفسير: الأواصر بين الطبقات الاجتماعية
- ١٨٢ ..... القسم الثاني عشر
- ١٨٣ ..... اشارة
- ١٨٣ ..... الشرح والتفسير: شروط قادة الجيش
- ١٨٦ ..... القسم الثالث عشر
- ١٨٦ ..... اشارة
- ١٨٦ ..... الشرح والتفسير: أفضل قادة الجيش
- ١٨٩ ..... القسم الرابع عشر
- ١٨٩ ..... اشارة
- ١٨٩ ..... الشرح والتفسير: طرق حل المشكلات
- ١٨٩ ..... اشارة
- ١٩٠ ..... تأمل
- ١٩٠ ..... من هم اولوا الأمر؟
- ١٩١ ..... القسم الخامس عشر
- ١٩١ ..... اشارة

الشرح والتفسير: يجب أن يتصف القضاة بهذه الصفات الاثنى عشر! ..... ١٩٢

تعريف مركز ..... ٢٢٧





تشكل هذه الرسالة (طبقاً لما أورده السيد الرضى فى نهج البلاغة) من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يتضمّن نصيحة لمعاوية، النصيحة المقترنة بالتوبيخ والتحذير من إضلال الناس وإعادتهم إلى عصر الجاهلية، وأنه ينبغى عليه أن يتدبّر فى عاقبة هذا الأمر.

وفى القسم الثانى، يتحدّث الإمام عليه السلام عن الأشخاص الذين يحيطون بمعاوية وهم

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦

السائرون فى خط الضلالة والانحراف ويعيشون التفاخر القومى والقبلى ويتبعون معاوية على هذا الأساس، ولكن ثمة جماعة من أهل البصيرة عندما أطلعوا على مسلك معاوية المشبوه والفاقد تركوا التعاون معه وأداروا ظهورهم إليه وأنابوا الله تعالى، وفى ختام هذا المقطع من الرسالة، يدعو الإمام على عليه السلام معاوية إلى الالتزام بتقوى الله والورع وعدم اتباع الشيطان ويذكره بأن الدنيا فانية وغير ثابتة على كل حال وأن الآخرة قريبة.

وفى القسم الثالث، يدعو معاوية إلى الالتزام بتقوى الله والورع وعدم اتباع الشيطان ثم يلفت نظره إلى إقتراب أجله وأنه عما قريب سوف يواجه صحيفة أعماله فى محكمة العدل الإلهية.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧

وَأَرَدَيْتَ جَيْلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا؛ خَدَعْتَهُمْ بِعَيْكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وَجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ إِلَّا مِنْ فَاءٍ مِنْ أَهْلِ البَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعِيدَ مَعْرِفَتِكَ وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَارَظَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَيَّدْتَ بِهِمْ عِنَ الْقَضِيْدِ. فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ، وَجَادِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيْبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ

## الشرح والتفسير: لا تهلك نفسك ولا الناس

### إشارة

ما أورده السيد الرضى من هذا الكتاب يمثل مقطعاً من رسالة كان الإمام على عليه السلام قد أرسلها لمعاوية، ويتحدّث الإمام عليه السلام فى مطلعها، طبقاً لنقل المؤرخ المعروف المدائنى، من موقع النصيحة والتحذير من الغرور بالدنيا الخداعة والمتقلبه وأن يلتزم بالتقوى ويعلم أنّ الله تعالى للظالمين بالمرصاد، فالدنيا سريعاً ما تنقلب عليه وتعرض عنه وسيواجه حينئذ الحسرة والندامة، فينبغى عليه فى هذا السن المتقدمة من العمر أن يفكر فى نهاية حياته واقتراب أجله وأن لا يعمل شيئاً يكون وبالاً عليه يوم القيامة.

ثم إن الإمام عليه السلام تعرض لهذا الموضوع، وهو أنك ستتحمل، مضافاً لمسؤولية ضلالك وانحرافك، مسؤولية إضلال جمهور من الناس، وكما ذكر السيد الرضى فإن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨

الإمام عليه السلام يقول فى مستهل حديثه:

«وَأَرَدَيْتَ [٢] جَيْلًا [٣] مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا؛ خَدَعْتَهُمْ

بِعَيْكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ».

وهذه إشارة إلى أنّ معاوية يتحمل مسؤولية انحراف جمهور غفير من المسلمين الذين خدعهم بمكره وغيه وسوف يقف يوم القيامة

ليجيب عن ذلك.

وعبارة

«مَوْجٌ بَحْرِيٌّ»

تعبير لطيف عن الحوادث والأزمات التي تشبه عادةً بأمواج البحر، وهي الحوادث الصعبة التي يصعب مواجهتها والتصدي لها، لأنّ الأمواج العاتية كالجبال في البحر تقذف بالبشر من هنا إلى هناك كالريشة في مهبّ الريح، وأحياناً تقتلعهم في مطاويها ودواماتها ويعيش الإنسان في تلك اللحظات الحرجة الظلمة والشدة بحيث تسود الدنيا في عينيه.

والتعبير ب

«الظُّلُمَاتُ» و «الشُّبُهَاتُ»

إشارة إلى أعمال معاوية من قبيل طرح مسألة قتل عثمان والدفاع عنه، ورفع قميصه الدامي وإثارة الناس ضد الإمام عليه السلام والخليفة بالحقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك (والعياذ بالله) الأمر بلعن الإمام على عليه السلام على المنابر وسبّه وشتمه في المحافل، فهل هناك ظلمة أشدّ من هذا، أو شبهة أوحش من هذه؟

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نتيجة هذه الأساليب الماكرة والشبهات المضللة ويقول:

«فَجَازُوا [٤] عَنِّ وَجِهَتِهِمْ، وَنَكَّضُوا [٥] عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا [٦]

عَلَيَّ أَحْسَابِهِمْ [٧]»

، أى أنّ هذه الأمور أدّت إلى عودة بعض الناس عن الحقّ إلى

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩

زمان الجاهلية وأعرضوا عن الإسلام والرسالة الإلهية وأخذوا يتفاخرون بالحسب والنسب كما كان العرب يتفاخرون في الجاهلية. ونعلم أنّ معاوية كان من بقايا العصر الجاهلي، وأبوه أبوسفیان العدو الأوّل للإسلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأنّ غالبية الحروب والفتن ضد الإسلام كانت بقيادة أبي سفيان، وقد أعلن أبوسفیان الإسلام ظاهراً وأخذ ينتظر اليوم الذي تملك فيه بنو امية مقاليد الأمور وسيطروا على أجهزة الحكومة الإسلامية ويجلسون مجلس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحينئذٍ يتحركون على مستوى إعادة الناس إلى قيم وثقافة الجاهلية، ويذكر التاريخ أنّ هؤلاء قد نجحوا في مسعاهم غاية النجاح، ولولا حادثه عاشوراء ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء وبقظة المسلمين في ظلّ هذه الحوادث الدامية بحيث لم تستمر حكومتهم أكثر من ثمانين عاماً، فإنّه لا يعلم أحد ما سيجرى على الإسلام والمسلمين.

ثمّ يستثنى الإمام عليه السلام طائفة من أهل الشرف والدين والإيمان، هؤلاء من الذين انخدعوا بأساليب معاوية وكلامه البراق، ولكنهم عندما رأوا عن كذب أعماله وعرفوا حقيقة أمره أعرضوا عنه والتحقوا بالإمام على عليه السلام وأصحابه يقول الإمام عليه السلام:

«إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُواكَ بَعِيدَ مَعْرِفَتِكَ وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُؤَاوَزَتِكَ [٨]، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقُصْدِ».

مفردة

«إِلَّا»

استثناء من

«جيل»

التي قالها الإمام عليه السلام في مطلع الرسالة وإشار إلى المخدوعين والمغرورين الذين تأثروا بشبهات معاوية من قبيل شبهة قتل

عثمان والمطالبة بدمه وشبهات أخرى والتحقوا به، ولكنهم عندما رأوا أعماله وسلوكياته عن كثب وشاهدوا فساد أعوانه وأنهم عموماً من بقايا عصر الجاهلية أو من أبنائهم،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠

فالتفتوا بسرعة إلى خطئهم وغفلتهم وابتعدوا عنه، هذه الفئة رغم أنهم قلّة في مقابل الكثير ممن اتبعه، ولكن مقامهم الكريم يستوجب أن يذكرهم الإمام عليه السلام بوصفهم أهل البصائر والسائرون في طريق الحقّ والمنيون إلى الله تعالى.

ويذكر المحقق التستري في شرحه لنهج البلاغة ذيل الخطبة ١٥٥ أسماء جماعة من أهل البصائر الذين التحقوا بالإمام على عليه السلام في معركة صفين ومنهم: ابن عم عمرو بن العاص وابن اخته شرحبيل، وعبدالله بن عمرو العنسي، وكذلك جماعة من قراء القرآن [٩].

ثم إن الإمام عليه السلام في المقطع الثالث من هذه الرسالة يوصي معاوية بتقوى الله ويقول:

«فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ [الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ] [١١]، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ».

ورغم أن معاوية بعد شهادة الإمام على عليه السلام بقي على قيد الحياة عشرين سنة، ولكن مع الالتفات إلى أن عمره ستون في ذلك الزمان الذي كتبه الإمام عليه السلام هذه الرسالة فإنه قد مضى عليه الشطر الأكبر من حياته وكل شخص في مثل هذا العمر لابد أن يفكر في نهاية عمره وعاقبته.

وجملته

«وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ»

، تشير إلى أن معاوية قد سلم زمام أموره بيد الشيطان، فالإمام عليه السلام يوصيه بأن يمسك زمامه ولا يترك الشيطان يقوده في دروب الضلالة والانحراف، لأنّ نهاية عمره قريبة وأهم شيء في حياة الإنسان هو حسن العاقبة حيث يمكنه حلّ مشكلاته بهذه الطريقة.

والعجب أن مثل هؤلاء الجبارين عندما يحين أجلهم، كما هو حال فرعون عندما غمرته أمواج النيل، ينتبهون من غفلتهم وفي حين أنه قد ولى وقت جبران

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١

الأخطاء وتغير المسار فلا ينفع الندم والحسرة، وربما لو عادوا لساروا في نفس الخط وكما يقول القرآن الكريم: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» [١٢].

يقول ابن كثير في كتاب «البداية والنهاية»: عندما اشتد المرض بمعاوية ويأس من شفائه ورأى نفسه مشرفاً على الموت أخذ ينشد هذه الآيات:

لَعَمْرِي لَقَدْ عَمَرْتُ فِي الدَّهْرِ بُرْهَةً وَدَانْتُ لِي الدُّنْيَا بِوَقْعِ البَوَاتِرِ  
وَأُعْطِيتُ حُمْرَ المَالِ وَالْحُكْمَ وَالنُّهْيَ وَلِي سَلِمَتْ كُلُّ المُلُوكِ الجَابِرِ  
فَأَضْحَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا يَسُرُّنِي كَحُكْمِ مَضَى فِي المَزْمَنَاتِ العَوَابِرِ  
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أَعْنِ فِي المُلْكِ سَاعَةً وَلَمْ أَسْعَ فِي لَدَاتِ عَيْشِ نَوَاضِرِ  
وَكَنتُ كَذِي طِمْرَيْنِ عَاشٍ بِيْلَعُهُ فَلَمْ يَكُ حَتَّى زَارَ ضَيْقَ المَقَابِرِ

ولا يبعد أن لقب «ذو طمرين» إشارة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يتأسف معاوية على أنه لم يختر طريقه ولم يسلك في طريق الحقّ، لأنّ هذه الكلمة قد وردت في كلام الإمام على عليه السلام نفسه في الرسالة ٤٥ من نهج البلاغة حيث يقول:

«أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْنِهِ...».

ولكن التأسف والتحسر في مثل هذه المواقع كاذب، فلو زالت الأزمه وحلت المشكله لعادوا إلى حالهم السابق وتحركوا في نفس الخط.

## تأمل

### رسائل متواليه

يستفاد من شرح ابن أبي الحديد لهذه الرسالة وجود مراسلات بين أمير المؤمنين على عليه السلام ومعاوية في هذا المقطع الزمني وبلغت بمجموعها خمس رسائل من قبل الإمام عليه السلام وأربع رسائل من قبل معاوية، وفي كل رسالة كان معاوية يزداد وقاحه وجرأه على الإمام عليه السلام، والعجيب أنه يتحدث عن نفسه وكأنه من أولياء الله المقرين

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢

وقد نسي ماضيه وحاضره وأخذ يتحدث في رسائله بكلمات نايه وعبارات وقحه.

والملفت أن ابن أبي الحديد بعد نقله لهذه الرسائل يتحدث بما خلاصته:

«وأعجب وأغرب ما جاء به الدهر، وإن كانت عجائبه وبدائعه جمه، أن يفضى أمر على عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداً له ونظيراً مماثلاً يتعارضان الكتاب والجواب، ويتساوى فيما يواجه أحدهما صاحبه، ولا يقول له على عليه السلام كلمه إلقال مثلها، وأخشن مساً منها، فليت محمداً صلى الله عليه وآله كان قد شاهد ذلك عياناً لا خبراً أن الدعوة التي قام بها وقاسى أعظم المشاق في تحملها، وكابد الأهوال في الذب عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها وشيد أركانها وملا الأفاق بها، خلصت صفواً وشفواً لأعدائه الذين كذبوه لما دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانهم لما حض عليها وأدموا وجهه وقتلوا عمه وأهله، فكأنه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم كما قال أبو سفيان في أيام عثمان وقد مّر بقبر حمزة وضربه برجله وقال: يا أبا عماره، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلاعبون به، ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية علينا كما يتفاخر الأكفاء والنضراء...».

إذا عَيْرَ الطائي بِالْبُخْلِ مَادِرٌ وَقَرَعَ قَساً بِالْفَهَاهَةِ بِأَقْلٍ

وَقَالَ الشُّهَى لِلشَّمْسِ أَنْتَ خَفِيَةٌ وَقَالَ الدُّجَى يَا صُبْحَ لَوْ نُكَّ حَائِلٌ  
وَفَاخَرَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَكَاثَرَتِ الشُّهْبُ الحِصَى وَالجُنَادِلُ  
فِيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِي إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ [١٣]

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣

### الرسالة ٣٣

#### إشارة

إلى قُثَمِ بْنِ العَبَّاسِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ [١٤]

#### نظرة عامة للرسالة

تشكل هذه الرسالة من قسمين:

القسم الأول: يمثل تحذيراً من الإمام عليه السلام إلى قثم بن العباس واليه على مكة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤

وينبهه إلى أن جماعته من أزلام معاوية ممن باعوا بدينهم بدنياهم أرسلهم معاوية في موسم الحج ليشيروا الفتنة وليعملوا على تغيير الواقع لصالح معاوية على حساب إضعاف المؤيدين للإمام عليه السلام، وقد تحدّث الإمام في هذه الرسالة عن أزلام معاوية بكلمات دقيقة وبلغته حيث نجد نظائر هؤلاء في كل عصر وزمان وخاصة في عصرنا الحاضر.

وفي القسم الثاني يوصيه أن يأخذ جانب الحيطة والحذر في مقابل هذه المؤامرة الخطيرة ولا يعمل شيئاً يحتاج بعده إلى الاعتذار وطلب الصفح.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي - بِالْمَغْرِبِ - كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيَّ الْمَوْسِمَ أَنَسُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمِّيِّ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُفِّهِ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالْدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ؛ وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ. فَأَقِمْ عَلَيَّ مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَالنَّاصِحِ اللَّيِّبِ، وَالتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِأَمَامِهِ. وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطْرًا، وَلَا عِنْدَ الْبُؤْسَاءِ فَشَلًّا، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: راقب أوضاع مكة بدقّة

#### إشارة

كما أشرنا آنفاً أنّ هذه الرسالة أرسلها الإمام عليه السلام إلى قثم بن العباس عندما وصل الخبر إلى الإمام عليه السلام من مكة من قبل بعض عيونه وجواسيسه، أنّ معاوية بعث جماعة من أهل الشام لإشاعة الأكاذيب وتسميم الأجواء ضد أمير المؤمنين عليه السلام في أيام الحج، ويستفاد من كلام ابن الأعمش الكوفي في الفتوح أنّ معاوية أرسل جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف رجل ومعهم العدة الكاملة بشكل خفي إلى مكة ليقوموا بانتفاضة عندما تسنح الفرصة المناسبة ويواجهوا أنصار الإمام على عليه السلام ويربكوا أوضاع الحج.

وكيف كان فالإمام في مستهل هذه الرسالة يقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي [١٥]

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦

بِالْمَغْرِبِ [١٦]- كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيَّ الْمَوْسِمَ [١٧] أَنَسُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.

ثم يذكر صفاتهم في ثلاث جمل مختصرة وأعمالهم في أربع، ويقول:

«الْعُمِّيِّ [١٨]

الْقُلُوبِ، الصُّمِّ [١٩] الْأَسْمَاعِ، الْكُفِّهِ [٢٠] الْأَبْصَارِ».

وهذا الكلام في الحقيقة مقتبس من الآية الشريفة في قول تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» [٢١].

وكما ورد في تفسير الآية الشريفة أيضاً أنّ طرق معرفة الإنسان ثلاثة: العقل، الذي يفكر ويتدبر به، العين التي يرى بها الحوادث

المختلفة، والتجارب المتنوعة، والاذن، التي يسمع بها العلوم النقليّة، والأشخاص الذين يفقدون هذه الأعضاء الثلاثة فإنّ جميع طرق المعرفة ستكون موصدة أمامهم.

أجل، فمعاوية اختار هؤلاء البعيدين عن الله والأزلام الذين اختاروا الضلالة على الهدى، والدنيا على الآخرة، ومهمتهم أن يبثوا الإشاعات المغرضة والأكاذيب الملقفة ويرتكبوا ما يحلوا لهم من ذنوب وآثام للوقية بأتباع أمير المؤمنين عليه السلام وإثارة الفتنة في صفوف حجاج بيت الله الحرام.

ثم تحدّث الإمام عليه السلام عن أعمالهم وقال:

«الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ [٢٢] الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧

وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ [٢٣] الدُّنْيَا دَرَاهًا [٢٤] بِالَّذِينَ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ».

وبديهي أنّ الأشخاص الذين يعيشون العمى في القلب، والصمم في الأسماع لا ينتبهون إلى هذه الأمور ومن أجل التمويه على الناس يخلطون الحقّ بالباطل، ومن أجل كسب رضا المخلوق ونيل الجوائز والعطايا لا- يطيعون أمر الله ولا- يمتثلون لتعاليمه، ومن أجل تحصيل متاع الدنيا يبيعون رأسمالهم الديني، هؤلاء الذين بلغ العمش في بصيرتهم إلى درجة أنّهم لا- يرون سوى دنياهم الفاتية والملذات الرخيصة ويغفلون عن الآخرة وما فيها من المواهب المعنوية والمادية العظيمة والأبدية، ولهذا السبب لا يعيرون أهمية للآخرة ويبيعونها بأبخس الأثمان من أمور الدنيا.

وبديهي أنّ معاوية لا يختار أبداً الأشخاص الذين يملكون بعض الإيمان ولهم سابقة في الإسلام لهذه الأعمال الشنيعة، بل يبحث عن الأشخاص الذين لا يملكون ذرة من الإيمان أو العقل أو الوجدان، فهم عبيد وغللمان وضعوا أرواحهم فوق أكفهم سماعاً وطاعة لأوامر السلطان، وهذا هو منهج جميع حكام الجور وقوى الاستكبار والهيمنة.

ثم إنّ الإمام عليه السلام أشار إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ كلّ إنسان يعمل الخير أو يقترب المنكر فسوف يثاب ويعاقب حسب عمله، يقول:

«وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ».

وهذا المفهوم مقتبس من الآيات الشريفة قال تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [٢٥].

وهو إشارة إلى أنّ هؤلاء عندما يتحركون في خط خلق الفتنة وإيجاد المفسدة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨

والاختلاف بين المسلمين لا ينالون في نهاية المطاف سوى الشر والفساد وسوف تصل إليهم وإلى زعيمهم هذه النار وتحرقهم.

ثم يخاطب الإمام عليه السلام قثم بن العباس ويقول:

«فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ [٢٦]، وَالنَّاصِحِ اللَّيْبِ [٢٧]، وَالتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ».

وبهذه الطريقة يشر فيه الإمام عليه السلام العزيمة والروحية وتقوية الإرادة لأداء المهمة الملقاة على عاتقه في مقابل مؤامرات معاوية وأتباعه من أهل الشام ويؤكد له ضمناً أنّه مشرف وناظر لأعماله.

وبهذا البيان الموجز والعميق في محتواه يبيّن الإمام عليه السلام شروط القائد الموفق والوالى الناجح، كسعة آفاق التفكير، الاستقامة والصمود في مقابل الحوادث والتحديات، وحبّ الخير للناس، والإطاعة لإمامه ومقتداه وإمتثال أوامره، ومعلوم أنّ هذه الشروط إذا توفرت في كلّ مدير أو قائد فسوف يكون موفّقاً في عمله وإدارته وباستطاعته مواجهة مؤامرات الأعداء وإحباطها.

ثم إنّ الإمام عليه السلام في ختام هذه الرسالة يذكر تحذيراً آخر لعامله ويقول:

«وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطْرًا [٢٨]، وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلًّا [٢٩]، وَالسَّلَامُ».

ثمة مثل معروف متداول بين الناس يقولون: «إن الاعتذار لا يعيد ماء الوجه للإنسان» فصحيح أن الإنسان ينبغي أن يعتذر للطرف المقابل من خطئه وما صدر منه من خطيئة وزله، ولكن يجب الالتفات إلى أن هذا الاعتذار لا يعيد مكانة الإنسان إلى سابق عهدها، فالأفضل أن يعيش الإنسان الانتباه والحذر لئلا يضطر

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٩

للإعتذار، وكذلك يجب أن يكون مسلطاً على نفسه ويملك شخصيته قوياً بحيث لا يتأثر باقبال أو إدبار النعم الدنيوية، ولا يكون كالأشخاص من الضعفاء النفوس بحيث يفرحون بشدة لأدنى نجاح إلى درجة أنهم يخرجون عن طورهم وفي المقابل يتأثرون ويغتمون من أدنى اخفاق وفشل إلى درجة أنهم يفقدون مشاعرهم ولا يسيطرون على أنفسهم.

وعندما ننظر إلى هذه الرسالة المختصرة للإمام عليه السلام من موقع الدقة والعمق فسوف نرى أنها تتضمن كل شيء، وهذه آية جلية من آيات الفصاحة والبلاغة لكلام الإمام عليه السلام وتشير إلى سعة إطلاعه ومعرفته بجميع الأمور السياسية والاجتماعية والأخلاقية.

## تأمل

### من هو قثم بن العباس؟

«قثم» في الأصل «قاثم» بمعنى الشخص الكريم الجواد «ثم سقطت ألفه» وهذا الاسم يعتبر بالنسبة لقثم ابن العباس اسماً على المسمى، لأنه كان من الأجاويد والكرماء المشهورين، وهو ابن عم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام على عليه السلام وابن أخ عبدالمطلب وأمه ام الفضل لبابة بنت الحارث أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكروا أن أمه كانت بعد خديجة أول امرأة اعتنقت الإسلام، وجاء في كتب الرجال والتواريخ أن القثم كان رجلاً قوياً وذو فضائل، وفي زمان خلافة الإمام على عليه السلام كان والياً على المدينة لمدة معينة ثم صار والياً على مكة من قبل الإمام عليه السلام وظل في هذا المنصب إلى زمان استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام، وفي سنة ٣٨ للهجرة اختير أميراً للحجاج من قبل الإمام أميرالمؤمنين على عليه السلام ويقال إن أميرالمؤمنين عندما ضربه ابن ملجم في محراب مسجد الكوفة، كان قثم حاضراً في المسجد وهو الذي قبض على ابن ملجم وهو يحاول الفرار.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠

وفي أيام معاوية بسبب صداقته مع سعيد بن عثمان والي خراسان توجه قثم إلى خراسان وحضر في حرب ضد الكفار في سمرقند ونال درجة الشهادة هناك [٣٠].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١

## الرسالة ٣٤

### إشارة

إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا بَلَغَهُ تَوَجُّدُهُ مِنْ عَزَلِهِ بِالْأَشْتَرِ  
عَنْ مِصْرٍ، ثُمَّ تَوَفَّى الْأَشْتَرُ فِي تَوَجُّهِهِ إِلَى هُنَاكَ  
قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا [٣١]



## نظرة عامة للرسالة

نعلم أن معاوية بعد قصة التحكيم كان يروم إثارة القلاقل في المناطق الخاضعة لسيطرة حكومة الإمام على عليه السلام، فكان يهجم على المناطق الحدودية من جهة، ومن جهة أخرى كان قد أعطى عهداً لعمرو بن العاص بسبب خدماته الجليلة له أنه إذا نجح في تولى الخلافة واستلام زمام الحكومة الإسلامية فإنه سيعطيه مصر، ومن أجل تحقيق هذه الغاية بذل هذان الرجلان جهوداً كبيرة في هذا السبيل.

وكان الإمام على عليه السلام قد شعر بأن محمد بن أبي بكر واليه على مصر وإن كان رجلاً أميناً، إلا أن مصر تحتاج إلى رجل أقوى وأشد منه وأكثر تجربة ليوقف في نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٢

مواجهة مؤامرات معاوية، ولذلك اختار مالك الأشتر لهذا الأمر وكتب له عهده المعروف بـ «عهد مالك الأشتر». وعندما اطلع معاوية على هذا الخبر وأن مالك الأشتر توجه إلى مصر أصابه القلق من ذلك ودبر له مكيده لقتله قبل وصوله إلى مصر، فأمر أحد جواسيسه الذي كان على إرتباط وثيق بآل عمرو بن العاص، أن يقتل مالكاً بالسم بأيه صورة، فجاء هذا الرجل إلى مالك وأظهر له المودة وعرف نفسه أنه من شيعة الإمام على عليه السلام ومن أتباع أهل البيت عليهم السلام وتحذرت له عن فضائل الإمام وبني هاشم إلى أن صدقه مالك ووثق به واعتقد أنه واقعاً من أتباع أهل البيت عليهم السلام وفي ذلك الوقت أهدى هذا الرجل طعاماً مسموماً لمالك «والمعروف أنه كان عسلاً مسموماً» وعندما تناول مالك من هذا العسل شعر بالتسمم، وقبل وصوله إلى مصر توفي في منطقة يقال لها «قلزم».

وعندما وصل خبر تنصيب مالك الأشتر والياً على مصر إلى محمد بن أبي بكر، بدا منه تأثراً من ذلك، فكتب له الإمام عليه السلام الرسالة أعلاه ليرفع قلقه ويزيل استيائه وأبقاه في منصبه [٣٢].

وعلى ضوء ذلك فإن الغرض من هذه الرسالة رفع ما خالج محمد بن أبي بكر من تأثر واستيائه من جراء تنصيب مالك الأشتر مكانه، وقد أكد له الإمام عليه السلام في هذه الرسالة أنه راضٍ تماماً عن أفعاله وأن استبداله بمالك الأشتر لا يعني أنه قد قصر في مهمته بل لغرض كان محمد بن أبي بكر يعلم به أيضاً، وكذلك تهدف هذه الرسالة لتقوية إرادة محمد بن أبي بكر وتحكيم موقفه في مقابل العدو لحفظ حكومة مصر، ويوصيه الإمام عليه السلام بالتوكل على الله والاستقامة في طريق التصدي للأعداء.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغْنِي مَوْجِدُتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ، وَلَا أَزْدِياداً لَكَ فِي الْجِدِّ وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوْوَنَهُ وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلِيَّيَهُ. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتَهُ أَمْرٌ مَضِرٌّ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا، وَعَلَى عِدُونَا شَدِيدًا نَاقِمًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ! فَلَقِدِ اسْتِكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ؛ أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَصَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ! فَأَضِجْ لِعِدْوِكَ، وَأَمْضِ عَلَى بَصِيْرَتِكَ، وَسَمِّرْ لِحَرْبٍ مِنْ حَارِبِكَ، وَدَعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الْأَسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِينَكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

## الشرح والتفسير: تطيب خاطر محمد بن أبي بكر

لقد أشار الإمام عليه السلام في هذه الرسالة المختصرة إلى عدة نقاط مهمة فقال أولاً:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغْنِي مَوْجِدُتُكَ [٣٣] مِنْ تَسْرِيحِ [٣٤] الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ [٣٥]، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً [٣٦] لَكَ فِي الْجَهْدِ، وَلَا أَزْدِياداً لَكَ فِي الْجِدِّ».



وبهذا الكلام سعى الإمام عليه السلام لتطيب خاطر محمد بن أبي بكر وأكد له أنه راضٍ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤

عن عمله وأن هذا التغيير والاستبدال لا يعنى أبداً أن محمد بن أبي بكر مقصّر في عمله، أو أن الإمام عليه السلام مستاء منه.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه مخاطباً لمحمد بن أبي بكر لتهدئته نفسه أكثر ورفع أي التباس في ذهنه وقال:

«وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مُؤُونَةٌ وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلَايَةٌ».

وفي الحقيقة أن الإمام عليه السلام بذكره لهاتين النقطتين، وهما أنه راضٍ من جهة عن أعمال محمد بن أبي بكر، ومن جهة أخرى أنه لو عزله عن موقع معين فإنه سيختار له موقعاً أفضل، وبذلك رفع أي إلتباس وقلق من واليه على مصر.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن مراد الإمام عليه السلام من هذه العبارة أنه سيعطيه مكاناً أفضل وأيسر مؤنة، وهي ولاية حكومة خراسان أو بلاد فارس أو اليمن، لأن جميع مناطق البلاد الإسلامية في ذلك الوقت ما عدا الشام، كانت تحت حكومة الإمام على عليه السلام [٣٧].

ثم ذكر الإمام عليه السلام السبب في اختياره لمالك الأشتر والياً على مصر، ليرفع من جهة الشبهة عن ذهن محمد بن أبي بكر، ومن جهة أخرى يلفت نظره إلى بعض نقاط الضعف والقصور في شخصيته ليتمكن من إصلاحها واستبدالها بنقاط قوة، يقول:

«إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَوَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا، وَعَلَى عِدَدُونَا شَدِيدًا نَاقِمًا [٣٨]، فَرَحِمَهُ اللَّهُ! فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ [٣٩]، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ؛

أَوْلَاهُ [٤٠] اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَصَاعَفَ التَّوَابَ لَهُ!».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥

والحقيقة أن مالك الأشتر رحمه الله كان كذلك، بلاءه المشهود في صفين ودفاعه الحاسم عن الإمام عليه السلام في مواقع مختلفة ووفاء المطلق واستقامته في جميع الحوادث الصعبة التي وقعت في ذلك العصر، كلها شاهد حي على صحة كلام الإمام عليه السلام في حق الأشتر، فقد كان الأشتر هو القائد الفذ الذي جعل جيش معاوية في صفين يصل إلى حد الهزيمة الكاملة، ولكن مؤامرة رفع المصاحف على الرماح أجهضت سعيه وأعاقت تحقيق النصر على معاوية.

يقول ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة عند وصوله لجملة

«فَرَحِمَهُ اللَّهُ»

: «ولست أشك بأن الأشتر بهذه الدعوة يغفر الله له ويكفر ذنوبه ويدخله الجنة، ولا فرق بينها وبين دعوة رسول الله صلى الله عليه و آله،

وَيَأْطُوئِي لِمَنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ عَلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْضُ هَذَا» [٤١].

وقد تحدّث الإمام عليه السلام في رسائل عدّة في نهج البلاغة عن مالك الأشتر بوصفه شخصيّة ممتازة وعالي الهمة، وهذا الثناء يشير إلى أن للأشتر مكانة سامية عند الإمام عليه السلام الذي كان يكنّ له الحب والاحترام، وقد تحدّثنا في شرح الرسالة ١٣ عن بعض فضائل مالك الأشتر وامتيازاته النادرة، وسنشير في ذيل هذه الرسالة والرسائل أخرى أيضاً إلى أمور أخرى عن هذه الشخصية الإسلامية الفذة.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة ثالثة: ولكن الآن حيث استشهد مالك ولا أعرف أفضل منك لتولي هذا المنصب فعليك بالبقاء فيه والاستعداد لمواجهة العدو بشجاعة وبصيرة:

«فَأَصْبِرْ [٤٢] لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ [٤٣] لِحَرْبٍ مِنْ حَارَبِكَ».

وجملة »

فَأُضْحِرْ لِعَدُوِّكَ

« إشارة إلى هذه النقطة، وهى أن الإمام عليه السلام أكد عليها فى خطبة الدعوة للجهاد حيث قال: «وَقُلْتُ لَكُمْ اعْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْزُوكُمْ فَوَاللَّهِ مَا عَزَى

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦

قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا».

وجملته

«وَأَمْضِ عَلَيَّ بِصِيْرَتِكَ»

أمر بضرورة التزام الحذر التام والانتباه الكامل فى مقابل مؤامرات العدو وأن يتحرك بدقته متناهية لإبطال مساعيه وإجهاض مؤامراته.

وجملته »

وَشَمُّوْ لِحَرْبٍ مِنْ حَارِبِكْ

« إشارة من جهة إلى أنك لا تبدأ بالحرب، ومن جهة أخرى إذا بدأك العدو بالحرب فاستعد لدحره ودفع خطره وكن على أهبة الاستعداد بشكل دائم.

وهذه التوصيات الثلاث للإمام عليه السلام لا تخص محمّد بن أبى بكر فقط بل تشمل جميع المسلمين فى كل زمان ومكان، فإذا عملوا بها فذلك سيقودهم إلى النصر المحتم.

وفى ختام الرسالة يدعو الإمام عليه السلام للتوجه إلى الله تعالى والتوسل به فيبده مفتاح جميع المشكلات ولا يمكن تحقيق أى هدف إلا بمعونته، ويقول الإمام عليه السلام:

«وَأَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الْأَسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنَكَ عَلَى مَا يُنْزَلُ [٤٤] بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

ومعلوم أن مثل هذا الإيمان والاعتقاد وهذا التوجه للذات المقدسة لا يورث الإنسان الأثر المعنوى الكبير فحسب، بل يمنحه القوة الروحية والاستقامة فى العمل والنشاط فى المشاعر والانفتاح، وهذه هى الأمور التى تتسبب فى إنتصار جيش المسلمين على قوى الكفر والضلالة فى عصر النبى الإسلام عليه السلام فى حين أن المسلمين كانوا أقل عدداً وعدة من أعدائهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧

**تأمل**

**من هو محمّد بن أبى بكر؟**

محمّد بن أبى بكر، كما يتبين من اسمه، هو ابن الخليفة الأول، ومع إنتمائه لمثل هذا الأب، كان يعيش العشق الشديد للإمام على بن أبى طالب عليه السلام ومستعد لكل أشكال التضحية فى سبيله، وبدوره فالإمام على عليه السلام أيضاً كان يعتمد على محمّد بن أبى بكر اعتماداً كاملاً، ومن هذه الجهة اختاره على مصر، ولكنه استشهد على يد عمال معاوية وقد تأثر الإمام عليه السلام كثيراً بمقتله.

وسبق أن ذكرنا سيرته وترجمته حياته فى ذيل الخطبة ٦٨ من الجزء الثالث من هذا الكتاب [٤٥].

ج ج

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩

**الرسالة ٣٥**

## إشارة

إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ [٤٦]

## نظرة عامة للرسالة

أشار الإمام عليه السلام في هذه الرسالة الموجزة إلى ثلاث نقاط:

الاولى: أنه أبلغ ابن عباس بشهادة محمد بن أبي بكر في مصر على يد أزلام معاوية وتحدث عن محمد بوصفه ابن له ورجلاً صالحاً وشجاعاً ومدافعاً عن الحق.

والثانية: أشار الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهي أنه كان يتوقع مثل هذا الأمر، وبذلك طلب من أهل العراق أن يهبوا لمساعدة محمد سرّاً وعلانيةً بكل سرعة ولكن مع الأسف فإن العناصر الانتهازية وأصحاب الادعاءات الجوفاء لم يصغوا إلى هذه الدعوة وبالتالي وقعت هذه المصيبة في أرض مصر واستشهد محمد على أثرها.

والثالثة: يدعو الإمام عليه السلام الله تعالى من قلب متحرق يحكى عن الحزن الشديد

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠

الذي جرح قلب الإمام عليه السلام، والإمام هنا يسأل الله تعالى أن يخلصه من هؤلاء الناس من ضعفاء الإيمان والمعرضين عن الحق ويقسم أنه لولا عشقه للشهادة لما أحب أن يبقى يوماً واحداً مع هؤلاء الناس.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتَتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا، وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا. وَقَدْ كُنْتُ حَشْتُ النَّاسِ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمْرُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعْوَتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَيَدَاءً، فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارِهًا، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا؛ فَوَاللَّهِ لَوْلا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عِدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ؛ وَتَوَطُّبِي نَفْسِي عَلَى الْمَمِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا.

## الشرح والتفسير: شكوى من الأتباع الضعفاء

كما هو الملاحظ في عنوان هذه الرسالة، أن الإمام عليه السلام يخاطب فيها عبد الله بن العباس، وكان في ذلك الزمان والياً من قبل الإمام عليه السلام على البصرة، وفي مطلع هذه الرسالة يخبره الإمام عليه السلام عن سقوط مصر بيد جيش معاوية واستشهاد محمد بن أبي بكر ويقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتَتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ [٤٧].»

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢

ثم يضيف:

«وَلَدًا [٤٨] نَاصِحًا، وَعَامِلًا كَادِحًا [٤٩]، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا.»

وهذه الصفات الأربع لشخصية محمد بن أبي بكر متجليه بشكل واضح في سيرته وشخصيته وتعكس هذه العبارات عن جملة من

فضائله، في البداية يشير إلى كونه من أهل الخير وبمنزلة الابن له، فمحمّد لم يكن فقط الابن الروحاني للإمام علي عليه السلام، بل مع الالتفات أن أمه أسماء تزوجت بعد وفاة أبي بكر من الإمام علي عليه السلام وكان محمّد قد تربى في حجر الإمام عليه السلام فإنه يعدّ بمثابة الابن للإمام عليه السلام [٥٠].

ثمّ يشير الإمام إلى صفة العامل الكادح لمحمّد في منصب الوالي على مصر وأنه كان ماضى الهمة وشديد العزيمة ومدبّراً خبيراً، ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام لمواقف محمّد في مقابل الأعداء ويقول عنه أنه كان سيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وبعد ذلك يشير الإمام عليه السلام إلى لجوء محمّد باتخاذ تدابير دفاعية في مقابل هجوم الأعداء والحوادث المؤسفة ويشبّهه بالعمد القوى والأساس الصلب والركن الدافع الذي يمنع البناء من الإنهيار ويدفع عنه البلايا والأخطار.

ومن أجل أن لا يتوهم أحد أنّ الإمام عليه السلام قصر في الدفاع عن محمّد بن أبي بكر وحفظه يقول:

«وَقَدْ كُنْتُ حَثِّتُ [٥١] النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ

الْوُقُوعِ [٥٢]، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً [٥٣]، فَمِنْهُمْ الْآبِيُّ كَارِهاً، وَمِنْهُمْ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣

المُعْتَلُ [٥٤] كَاذِباً، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلاً [٥٥].»

وينقل الطبري في تاريخه في حوادث سنة ٣٨ أنّ الإمام عليه السلام في هذه الأثناء دعا أهل الكوفة إلى التجمع: فقام عليّ بالناس وقد أمر فنودي الصلاة الجامعة، فاجتمع الناس فحمد الله وأثناء عليه وصلى على محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ قال:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا صَيْرِيحُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَأَخْوَانِكُمْ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ قَدْ سَارَ إِلَيْهِمْ ابْنُ النَّابِغَةِ عَدُوُّ اللَّهِ وَوَلِيُّ مَنْ عَادَ اللَّهَ، فَلَا يَكُونَنَّ أَهْلُ الضَّلَالِ إِلَى بَاطِلِهِمْ وَالرُّكُونِ إِلَى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ أَشَدُّ اجْتِمَاعاً مِنْكُمْ عَلَى حَقِّكُمْ هَذَا، فَإِنَّهُمْ قَدْ يَدُؤُكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ فِي الْعَزْوِ فَعَجَّلُوا إِلَيْهِمْ الْمُوَاسَاةَ وَالنَّصَرَ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِصْرَ أَعْظَمَ مِنَ الشَّامِ وَأَكْثَرَ خَيْراً وَخَيْرَ أَهْلًا فَلَا تُغْلَبُوا عَلَى مِصْرَ فَإِنَّ بَقَاءَ مِصْرَ فِي أَيْدِيكُمْ عَزٌّ لَكُمْ وَكِبْتُ لِعَدُوِّكُمْ أَخْرَجُوا إِلَى الْجُرْعَةِ بَيْنَ الْحِيرَةِ وَالْكُوفَةِ، فَوَافُونِي بِهَا هُنَاكَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.»

ثمّ يضيف الطبري: فلما كان من الغد خرج يمشى فنزلها بكرة، فأقام بها حتى التصق النهار يوم ذلك فلم يوافيه منهم رجل واحد، فرجع، فلما كان من العشيّ بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب فقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدْ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَابْتَلَانِي بِكُمْ أَيْتُهُا الْفُرْقَةُ مِمَّنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ مَاذَا تَنْتَظِرُوا بِصَبْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ.»

(والقسم المهم من هذه الخطبة أوردناه في ١٨٠ من الجزء السادس من هذا الكتاب).

وينقل الطبري في قسم آخر من كلامه هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قاله بعد استشهاد محمّد بن أبي بكر حيث أخذ يوبخ أتباعه بشدة ويقول:

«دَعَوْتُكُمْ إِلَى غِيَاثِ إِخْوَانِكُمْ مُنْذُ بَضْعِ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً فَتَجَرَّجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ الْجَمَلِ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤

الْأَشْدَقِ وَتَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ تَنَاقُلَ مَنْ لَيْسَ لَهُ تَيْهٌ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَلَا اِكْتِسَابِ الْأَجْرِ...» [٥٦].

وهذه الطوائف الثلاث الذين يتحدّث عنهم الإمام عليه السلام لا ينحصر تواجدهم في ذلك العصر، توجد مثل هذه الشخصيات الهزيلة والنفوس المريضة في كلّ عصر وزمان وينخرطون في أحد هذه الطوائف الثلاث، فالأشخاص الذين يواجهون المصاعب ويحضرون إلى الميدان كارهين لا يوفّقون للقيام بأى عمل إيجابي، والفئة الثانية هم الذين ينسلون من ميدان المواجهات بتبريرات وأعدار مختلفة لابعاد أنفسهم عن مواجهة العدو، والفئة الأخيرة هم الذين يخالفون الحضور في الميدان بصراحة ويحرضون الناس على القعود معهم، فالويل للمجتمع الذي تكون فيه الغالبية من الناس من هذه الطوائف الثلاث، فمهما اوتى القادة لهذا المجتمع من

قدره وعزم وحنكته في إدارة الأمور فإنهم وبسبب عدم توفر الأنصار والأتباع الذين يعيشون روح التضحية والشجاعة والمسؤولية، فإنهم لا يحققون أى نتيجة لمجتمعهم ولا ينجحون في تجسيد طموحاتهم وتطلعاتهم على أرض الواقع المجتمعي.

إن التدبر في الآيات القرآنية يرشدنا إلى أن هذه الطوائف الثلاث كانت موجودة أيضاً في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، رغم أن جماعة المؤمنين المخلصين كانت هي الغالبة.

يقول القرآن الكريم بالنسبة للطائفة الأولى في ذلك العصر: «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسِيقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» [٥٧].

وفيما يخص الطائفة الثانية يستعرض القرآن الكريم قضايا معركة الأحزاب ويقول: «وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» [٥٨].

أما بالنسبة للطائفة الثالثة فيقول: «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥

وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَاتَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» [٥٩].

ثم إن الإمام عليه السلام ينطلق بالدعاء ويتوجه إلى الله تعالى من أعماق قلبه ويسأله أن يخلصه من هذا الواقع الأليم: «أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا».

ولغرض التأكيد على هذه الحقيقة يضيف الإمام عليه السلام:

«قَالَ اللَّهُ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ؛ وَتَوَطُّبِي [٦٠] نَفْسِي عَلَى الْمَيِّتِ، لَأَخْبَيْتُ أَلَّا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا».

إن ندالة هؤلاء الأتباع وخسرتهم وصلت إلى درجة أن الإمام عليه السلام بما يملك من صبر واستقامة بحيث بقي خمس وعشرين عاماً في زاوية البيت وفي الحلق شجي وفي العين قذى كما يقول الإمام عليه السلام نفسه وقد تحمل ذلك، ولكن في هذه المدّة القصيرة من خلافته واجه الإمام عليه السلام ضغوطات وصعوبات بحيث إنه تمنى أن لا يبقى مع هؤلاء الناس ولا يوماً واحداً، وما يدعوه للبقاء معهم هو شوق الشهادة في سبيل الله تعالى.

ومثل هذا الكلام ذكره الإمام عليه السلام في الخطبة ١١٩ حيث قال:

«وَاللَّهِ لَوْلَمَا رَجِئِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعِدُوِّ - وَلَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ - لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ...».

## تأمل

### روعة البلاغة في هذه الرسالة

تعتبر هذه الرسالة من أفصح وأبلغ رسائل وكتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتي كتبها بعبارات موجزة وكلمات بليغة بحيث أدى حقّ المطلب تماماً.

وقد تأثر ابن أبي الحديد كثيراً بفصاحته وبلاغته هذه الرسالة فقال في شرحه لهذه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦

الرسالة: «انظر إلى الفصاحة كيف تعطى هذا الرجل قيادها، وتملكه زمامها، وأعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلوا بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه، سلسلة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال:

«يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقَى بِهِمْ أَبَدًا».

وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة، وتارة منصوبة، فإن أرادوا قشِيرَهَا بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثرٌ بين، وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن، ذكره عبدالقاهر، قال: انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة، الأولى منصوبة الفواصل، والثانية ليس فيها منصوب، ولو مزجت إحدى السورتين بالآخرى لم يمتزجا، وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما.

ثم إن فواصل كل واحد منهما تنساق سياقه بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية، ثم انظر إلى الصفات الموصوفات في هذا الفصل، كيف قال:

«وَلَدًا نَاصِحًا»

«، وَعَامِلًا كَادِحًا»، «وَسَيْفًا قَاطِعًا»، «وَرُكْنًا دَافِعًا»،

لو قال: «ولداً كادحاً» و «عاملاً ناصحاً»، وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا في الموقع واقعاً، فسبحان الله من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة! أن يكون غلاماً من أبناء عرب مكة، ينشأ بين أهله، لم يخالط الحكماء، وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من إفلاطون وأرسطو، ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية، لأن قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط، ولم يرب بين الشجعان، لأن أهل مكة كانوا ذوي تجارة، ولم يكونوا ذوي حرب، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض، قيل لخلف الأحمر [٦١]: أيما أشجع عنبسه وبسطام أم علي بن أبي طالب؟ فقال: إنما يذكر عنبسه وبسطام مع البشر والناس، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة، فقيل له: فعلى كل حال، قال: والله لو صاح في جوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما، وخرج أفصح سحبان

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧

وقس، ولم تكن قريش بأفصح العرب، كان غيرها أفصح منها، قالوا: أفصح العرب جرهم وإن لم يكن لهم نباهة، وخرج أزهدهم الناس في الدنيا، وأعفهم، مع أن قريشاً ذوو حرص ومحبةً للدنيا، ولا- غرو فيمن كان محمداً صلى الله عليه وآله مربيهم ومخرجه، والعناية الإلهية تمدّه، وترفده أن يكون منه ما كان [٦٢].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩

## الرسالة ٣٦

### إشارة

إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل [٦٣]

### نظرة عامة للرسالة

ورد في المصادر التاريخية في قصبة هذه الرسالة أن معاوية بعد واقعة التحكيم سمع أن الإمام علي عليه السلام عازم مرة أخرى على مواجهته وقتاله، فخاف خوفاً شديداً وأخذ يعمل في إضعاف معنويات أهل الكوفة والعراقيين من خلال برنامج إعلامي مدرّوس ومن ذلك أنه أرسل الضحّاك بن قيس مع ثلاثة آلاف نفر إلى العراق وقال له: «سرّ حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وإن وجدته له مصلحة (أي معهم السلاح) أو خيلاً فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة

فأمسى في أخرى، ولا تقيمن لخييل وبلغك أنها

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٤٠

سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها».

فأقبل الضحاك ونهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب ...

فوصلت أخبار حملة الضحاك إلى عقيل وهو في مكة، فقلق من ذلك وكتب كتاباً لأخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم عنه:

«لعبدالله على أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب، سلام عليك فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه، وعلى كل حال إنني فقد خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبدالله بن سعد بن أبي سرح، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، -عرفت المنكر في وجوههم- فقلت إلى أين يا أبناء الشانين، أبعوايئة تلحقون؟ عداوة والله لنا منكم قديماً ظاهرة غير مستنكرة، تريدون بها اطفاء نور الله، وتبديل أمره فأسمعني القوم وأسمعتمهم.

ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون: أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء ثم إنكفاً راجعاً سالمًا، فأف حياة في دهر جرأت عليك الضحاك، وما الضحاك! إلفقع بقرقر وقد وطئت، وقد توهمت -حيث بلغني ذلك- أن شيعتك وأنصارك خذلوك، فكتب إلي -يا بن امي- برأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك بولد أخيك، وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت، فوالله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً، واقسم بالأعز الأجل إن عيشاً أعيشه بعدك في هذه الدنيا لغير هنيء ولا مرىء، ولا نجيع، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» [٦٤].

فكتب إليه الإمام عليه السلام هذه الرسالة جواباً له واطمنته على أن جيش الضحاك قد هرب مولياً ومُنَى بهزيمة منكراً وقتل منهم من قتل، فسّر عقيل لذلك.

والملفت للنظر أن مؤلف كتاب مصادر نهج البلاغة بعد أن يورد هذه الرسالة (رسالة عقيل للإمام عليه السلام) يقول: مع الأخذ بالحسبان أنها وقعت في أواخر عمر الإمام على عليه السلام وأن عقيل قد كتب هذه الرسالة له وبث فيها من شجونه وعواطفه مما

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٤١

يحكى عن محبة شديدة وطاعة مطلقة لأوامر أخيه الإمام على عليه السلام، فما يقال من أن عقيل ترك أخيه أمير المؤمنين عليه السلام والتجأ إلى معاوية، ادعاء محض واكذوبة فاضحة.

وتشير هذه الرسالة إلى عدة أمور:

١. هجوم جماعة من أتباع معاوية على أطراف الكوفة ومواجهتهم لجيش الإمام على عليه السلام الذي أدى إلى إندحارهم وفرارهم.
٢. شكوى الإمام عليه السلام من قريش وأنهم هم الذين وقفوا في مواجهة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والرسالة الإلهية واتحدوا ضد الرسالة الإلهية وأنهم اتفقوا على معاداة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
٣. رأى الإمام عليه السلام بالنسبة للأشخاص الذين نكثوا بيعته والتحقوا بعدوه وأنه يجب التصدي لهم وجهادهم إلى أن يعودوا إلى الحق.

٤. التذكير بهذه الحقيقة، وهي أن إقبال وإدبار الأفراد لا يؤثر على روحياته ومعنوياته، فهو صامد كالجبل الشامخ في مقابل الأعداء ولا يابه لكثرة التحديات والمؤامرات ولا يضعف لما يواجهه من مصائب ومصاعب.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٤٣



## القسم الأول

## إشارة

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا، وَنَكَصَ نَادِمًا، فَلَحِقُوهُ بِنِعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلِإِيَابِ فَافْتَتَلُوا شَيْئًا كَلِمًا وَلَا، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفٍ سَاعِيَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا بَعِيدًا مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمَخَنَقِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْيَا بِلَأْيٍ مَا نَجَا. فَدَعَّ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجَوَّاهُ فِي الشَّقَاقِ وَجَمَّاهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَأَجْمَاهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي! فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي.

## الشرح والتفسير: قصّة الضحّاك بن قيس

كما رأينا آنفاً أنّ هذه الرسالة عبارة عن جواب من الإمام عليه السلام لأخيه عقيل بن أبي طالب فيما يتصل بحملة الضحّاك بن قيس على أطراف الكوفة وهزيمتهم وفرارهم، ومن هنا فإنّ الضمير في «إليه» يعود إلى الضحّاك، رغم أنّ بعض شراح نهج البلاغة يعتقدون أنّ هذه القصة تتعلق بحملة «بسر بن ارباط» على اليمن، والأعجب من ذلك أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ الضمير يعود إلى معاوية في حين أنّ كلا هذين المعنيين بعيدان عن الصواب.

وعلى أية حال، فالإمام عليه السلام في مطلع هذه الرسالة، الذي حذفه السيّد الرضى اختصاراً (وطبقاً لما ورد في كتاب تمام نهج البلاغة ومصادر نهج البلاغة) بعد أن حمد الله أثنى عليه ودعا بالخير لعقيل أعلن له أنّ رسالته وصلت إليه بواسطة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٤٤

عبدالله بن عبيد الأزدى وفهم منها الإمام عليه السلام قلق عقيل من حملة الضحّاك على أطراف الكوفة.

ومن أجل رفع هذا القلق كتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة لأخيه عقيل يشرح له حادثه حملة جيش معاوية بقيادة الضحّاك ويقول له:

«فَسَرَّحْتُ [٦٥] إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا [٦٦]

مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا، وَنَكَصَ [٦٧] نَادِمًا، فَلَحِقُوهُ بِنِعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلِإِيَابِ».

«كَثِيفًا»

يعنى المزدحم والجمع الغفير، وطبقاً لبعض الروايات فإنّ عدد جيش الإمام عليه السلام في هذه الحملة أربعة آلاف نفر من الرجال المستعدين لانزال العقاب بالأعداء والذين يتقضون كالصقر، ولهذا السبب قرر أزلام معاوية وثلول الضحّاك الفرار على القرار وندموا على هجومهم وعدوانهم على أطراف الكوفة، ولكن جيش الإمام عليه السلام ظلّ يتعقبهم إلى أن أوشكت الشمس على المغيب، حيث بيّن الإمام عليه السلام في العبارات اللاحقة أخطار هذه المواجهة.

وعبارة

«مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

إشعار إلى أنّ الجيش المعادي وقائدهم الأصلي في الشام ليسوا من المسلمين.

وجملة

«شَمَّرَ هَارِبًا»

يقصد بها السخريه من الضحّاك، لأنّ شَمَّرَ تأتي عادةً بمعنى الشخص الذي يرفع كفيه استعداداً للقيام بعمل مهم لا للفرار والنكوص



وهو ما اختاره الضحاك في هذه المواجهة الحاسمة.

وجملة »

طَفَلَتِ الشَّمْسُ

« مع الأخذ بنظر الاعتبار أن «طفول» بمعنى الاقتراب، فالجملة إشارة إلى أن الجيشين التقيا عندما أوشكت الشمس على الافول في الافق، والتعبير ب »

الأياب

« كناية عن أن الشمس تطلع في الصباح الباكر وكأنها تخرج من

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٤٥

مقرها وفي وقت العصر تعود إلى مكانها الأول، وهذا تعبير لطيف عن ظاهرة غروب الشمس.

ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه عن هذه الواقعة ويقول:

«فَأَقْتَلُوا شَيْئًا كَلًّا وَلَا، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا [٦٨] بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمَخْتِقِ [٦٩]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأَيًّا بِلَأَيِّ مَا نَجَا».

والجدير بالذكر أننا أشرنا إلى هذه الواقعة ذيل الخطبة ٣٩، وهذه الرسالة متناغمة مع مضامين تلك الخطبة.

وعبارة

«كَلًّا وَلَا»

تعني أن هذا العمل تم انجازه بسرعة وانسجام تام كما في لفظه «لا ولا»، وفي بعض عبارات العرب يقال: «لا وذا»، وكليهما إشارة إلى المدّة القصيرة من الزمان، كما يقال في المثل: «كلمح البصر».

وعبارة

«بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمَخْتِقِ»

، والمخنق تعني ما يشير إلى الرقبة والحنجرة التي تتعرض للخنق بضغط يسير، وهو إشارة أن جيش الإمام عليه السلام أوصلوا الضحاك وجيشه إلى حد الموت بحيث لم يبق منهم سوى رمق ضئيل، وهذه العبارة متداوله في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى فعندما يواجه الشخص على رقبتة ضغوطاً شديدة يقال إنه بلغ به الخناق، أو ضيق عليه الخناق.

واللافت أن إبراهيم الثقفي ينقل في كتابه «الغارات» واقعة معينة تتضمن تفسيراً وشرحاً لعبارة الإمام عليه السلام في قوله:

«وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ»،

ويقول: عندما هرب الضحاك من «حجر بن عدي» قائد جيش الإمام على عليه السلام شعر بالعطش الشديد، لأنه أضل إبله التي تحمل الماء، وعرضت عليه سبته من النوم في ذلك الوقت، وبذلك انحرف عن الطريق، وعندما انتبه من نومه لم يجد من جيشه سوى عدّة نفر ولم

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٤٦

يكن معهم شيء من الماء، فأرسل بعضهم لطلب الماء ولكنهم لم يعثروا على شيء، وفجأة ظهر رجل وقال له الضحاك: يا عبد الله أننى عطشان فاسقنى، فقال: والله لا أسقيك حتى تدفع لى ثمنه، فقال الضحاك: وما ثمنه؟ فقال: ثمن الماء دينك، ثم واصل حكاية القصة إلى وصلوا لجماعة كان معهم الماء وشربوا منه [٧٠].

وعبارة

«لَأَيًّا بِلَأَيِّ»



«فَاطِمَةُ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٤٩

## القسم الثاني

### إشارة

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ؛ لَمَا بَزَيْدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَمَا تَفَرَّقُوهُمْ عَنِّي وَحُشَّةً، وَلَمَا تَحَسَّبَ بَنُ ابْنِ أَبِيكَ - وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعًا مُتَخَشِّعًا، وَلَا مُقَرًّا لِلضَّيْمِ وَاهِنًا، وَلَا سَيْلَسَ الزَّمَامِ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَعَقِّدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ:  
فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبٌ  
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَرَى بِي كَأَبَةٍ فَيَسُمَّتْ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَيْبٌ

### الشرح والتفسير: لا أكف عن مقارعة الخائنين

إنَّ كلام الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة ناظر إلى ما ذكره عقيل في نهاية كتابه إليه وقد سبق ذكره حيث يقول: «فاكتب لى يابن امى برأيك، إن كنت الموت تريد فحملت إليك بنى أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت...»، أى أنك إذا أردت قتال هؤلاء الناكثين للبيعة فأمرنا لنقاتلهم معك فى هذا السبيل، فكتب له الإمام عليه السلام من قوله:  
«وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ [٧٦] حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ».

وكلمة

«محلين»

إمَّا أَنَّهُا تَشِيرُ إِلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ نَقَضُوا بَيْعَتَهُمُ لِلْإِمَامِ وَرَفَعُوا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٠

لواء التمرد والفتنة فى البصرة ووقعة الجمل والأشخاص الذين التحقوا بهم بعد ذلك، أو إشارة إلى قوى الضلالة فى الشام الذين أحلوا سفك الدماء فى معركة صفين والذين استمروا فى نفس المسار الشيطاني، أو إشارة إلى الطائفتين.  
ثم يتحرك الإمام عليه السلام لبيان عزمه الراسخ وإرادته الجازمة لأخيه عقيل فى قتال هؤلاء المتمردين ويؤكد له أن كثرة المخالفين له والخارجين عليه لا تؤثر شيئاً فى عزمه وإرادته ويقول:  
«لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرَّقُوهُمْ عَنِّي وَحُشَّةً».

وهذا الشعار، الذى ينطلق من موقع العمق الفكرى والشعور الوجدانى والمقتبس من الآيات الشريفة: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...» [٧٧]، أو «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي...» [٧٨]، وأمثالها، تشير إلى أن أولياء الله والعظماء من رجال الحق وبالاعتماد على الذات المقدسة، لا يشعرون بشيء من الوحشة من كثرة مخالفيهم ولا يعيشون حالات الغرور من جموع الموافقين، فلو أن جميع المسلمين اتخذوا كلام الإمام عليه السلام هذا شعاراً لهم فى حياتهم وسلوكياتهم، فمن بالبديهي أنهم لا يصابون بالاهتزاز والخور فى مقابل الغزو السياسى والعسكرى والثقافى للغرب وسيحققون النجاحات فى جميع هذه الجبهات.

ثم يخاطب الإمام عليه السلام أخيه فى كلام زاخر بالحيوية والعمق ويقول:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعًا مُتَخَشِّعًا، وَلَا مُقِرًّا لِلضُّيْمِ [٧٩] وَاهِنًا، وَلَا سَلِسَ [٨٠] الزَّمَامَ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِيءَ [٨١] الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَعَقِّدِ».

في هذه العبارات الأربع يبين الإمام عليه السلام المراحل المختلفة للتسليم والإذعان في نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥١

مقابل العدو، أحدها أسوأ من الأخرى الأولى أن يتخذ أسلوب التضرع والخشوع والتوسل في مقابل العدو، والأخرى أن يخشى قدرة العدو ويشعر بالضعف والخور ويستسلم له، والثالثة، أنه مضافاً إلى الاستسلام يفقد زمام أموره من يده ويسلم قياده لعدوه ليرى رأيه فيه

«وَلَا سَلِسَ الزَّمَامَ لِلْقَائِدِ»

، وأخيراً يحنى ظهره ليركبه العدو ويسوقه إلى حيث يريد «وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرَ لِلرَّاكِبِ».

ما أروع هذه العبارات الدقيقة والحية التي تحكى عن غاية الفصاحة والبلاغة في كلام الإمام عليه السلام وأن الإمام ينفي عنه نفسه أى شكل من أشكال الاستسلام والخضوع في مقابل العدو.

وكلمة

«متعقد»

وردت في بعض النسخ «مقتعد»، وتعنى الشخص الذى اختار مكاناً للجلوس والوقوف، وهو إشارة إلى راكب الدابة الذى يركب دابته ولا يستفيد منها فى المسير فقط، بل فى جميع حاجاته، فتارة يقف ويتحدث إلى شخص آخر، وأخرى يشتري حاجات من السوق وهو راكب، وأحياناً يعطى شيئاً لآخر وأمثال ذلك، والخلاصة أنه جالس على مركبه ويقوم بأعماله ووظائفه دون أن يهتم لهذه الدابة وثقله.

وفى ختام هذه الرسالة، ومن أجل التأكيد أكثر على عزمه الراسخ وإرادته الصلبة فى مقابل العدو، يستشهد الإمام عليه السلام بشعر شاعر من طائفة بنى تميم ويقول: إن حالى

كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي تَمِيمٍ وَيَقُولُ: إِنَّ حَالِي

فَإِنْ تَسَأَلْنِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ [٨٢] الزَّمَانِ صَلِيبُ [٨٣]

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَرَى بِي كَأَبَةٌ [٨٤] فَيَشْمَتَ [٨٥] عَادٍ [٨٦] أَوْ يُسَاءَ حَيْبُ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٢

وهنا خلاف فى الشاعر الذى ينسب إليه هذا الشعر، فابن أبى الحديد ينسبه فى شرحه لنهج البلاغة إلى عباس بن مرداس السلمى، ولكنّه يقول إننى لم يجده فى ديوانه.

يقول المحقق التستري فى شرحه لنهج البلاغة: «قال بن أبى الحديد: الشعر نسب إلى العباس بن مرداس السلمى، ولم أجده فى ديوانه» [٨٧].

قلت: بل الظاهر أن هذين البيتين لصخر بن عمرو السلمى، قال فى الأغاني كان صخر طعن فى جنبه فى حرب، فمرض قريباً من حول وقد نتأت فى موضع الطعنة قطعة مثل الكبد، فأحمسوا له شعرة، ثم قطعوها لعله يبرأ، فسمع أن أخته تقول:

كيف كان صبره؟ فقال: بهاتين البيتين» [٨٨].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٣

## إشارة

إلى معاوية [٨٩]

## نظرة عامة للرسالة

هذه الرسالة، كما ورد في تمام نهج البلاغة في بحث سندها، تبتدىء بكلام لم يذكره السيد الرضى للاختصار، ولكن من أجل استيعاب محتوى الرسالة وفهم مضامينها لابد من استعراض المقطع الأول منها، وقبل ذلك ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، وهي أن هذه الرسالة لم تكن رسالة ابتدائية من الإمام عليه السلام لمعاوية بل هي جواب عن رسالة أرسلها معاوية للإمام عليه السلام، ورغم أن نص رسالة مفقود ولم يتعرض له أحد من شراح نهج البلاغة ولكن يتبين من جواب الإمام عليه السلام إجمالاً أن معاوية أشار في رسالته إلى ثلاثة أمور:

الأول: إنه استند في إثبات حقايقته أنه منصوب من قبل عمر بن الخطاب لهذا المقام.

والآخر: أنه اقترح على الإمام عليه السلام أن يضع بيده وتحت اختياره الشام ومصر وأن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٤

يوافق الإمام عليه السلام على أن تكون الخلافة من بعد الإمام له.

الثالث: أنه اتهم الإمام عليه السلام بالمشاركة في قتل عثمان وادعى المطالبة بثأره والانتقام من قاتله.

فكتب إليه الإمام عليه السلام جواباً على ذلك يقول:

«أما بعد، فإن الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة، لم يصب إليها أحد إلا شغلته بزینتها عما هو أنفع له منها وبالأخرة أمرنا، وعليها حثنا فدع، يا معاوية، ما يفنى اعمل لما يبقى واخذر الموت الذي إليه مصيرك، والحساب الذي إليه عاقبتك. واعلم أن الله - تعالى - إذا أردا بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره، ووفقه لطاعته، إذا أردا بعبد سوءاً أغراه بالدنيا، وأنساه الآخرة، وبسيط له أمله، وعاقبه عما فيه ضلأه وقد وصلي كتابك فوجدتك ترمي غير عرضك، وتنشد غير ضالتك، وتخط في عمارة وتبني في ضلأه وتعتصم بغير حجة، وتلوذ بأضعف شبهة فأما سؤالك إلى المتاركة والاقرار لك على الشام، فلو كنت فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمس، وأما قولك: إن عمر ولأكها، فقد عزل من كان ولماه ضاحج، وعزل عثمان من كان عمر ولأه ولم ينصب للناس إماماً إلا من صالح الأمة ما قد كان ظهر لمن كان قبله، أو خفي عنهم عيبه، والأمر يحدث بعده الأمر، ولكل وال رأى واجتهاد...» [٩٠].

\*\*\*

وما ذكره السيد الرضى في نهج البلاغة يمثل المقطع التالي من هذه الرسالة.

وعلى أية حال بالإمكان تقسيم ما ورد من الرسالة في نهج البلاغة إلى قسمين:

الأول: توبيخ معاوية بسبب اتباعه لهوى النفس وتجاهله الحقائق الموضوعية وإنكاره العهود الإلهية.

والثاني: الجواب عن ادعاءات معاوية في المطالبة بدم عثمان ومطالبته الإمام عليه السلام بتسليم قاتله.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٥

فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدُّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُتَبَدِّعَةِ، وَالْحَيْرَةُ الْمُتَعَبِّةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَأَطْرَاحِ الْوُثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلِبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ. فَأَمَّا إِكْتَارُكَ الْحِجَابِ عَلَى عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَدَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلَامُ.

## الشرح والتفسير: ما أنت والطلب بدم عثمان؟

## إشارة

كما أشرنا آنفاً أن المؤرخين وكتاب السير وللأسف لم يذكروا، بحدود علمنا، نص رسالة معاوية للإمام عليه السلام، رغم أن بعض مقاطع تلك الرسالة يمكن استيحاءها من جواب الإمام عليه السلام له، وفي هذا المقطع من رسالة الإمام عليه السلام نرى أن الإمام يوبخ معاوية بشدة بسبب اتباعه للأهواء المطامع الموهومة التي تقوده إلى متاهات الحيرة، ويتبين أن معاوية كان قد كتب للإمام عليه السلام كلمات وقحة وتجراً على الإمام بعبارات لا مسؤوله، ومن هنا يقول له الإمام عليه السلام:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدُّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَالْحَيْرَةُ الْمُتَعَبِّهِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ [٩١] الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ».

فالإمام عليه السلام في هذه العبارة الوجيهة والعميقة المعنى يلخص علل وعوامل انحراف معاوية عن جادة الحق بأربعة أمور، الأول: اتباع الأهواء والنوازع النفسانية، والآخر: اتباع عوامل الحيرة وسبل المتاهة، والثالث: غض النظر عن نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٦

الحقائق الموضوعية، والرابع: نقض العهود والمواثيق الإلهية. وبديهي أن كل واحد من هذه العوامل من شأنه أن يقود الإنسان إلى مهوى الضلالة والتردى في وادي السقوط الأخلاقي، فكيف إذا اجتمعت كلها في شخص واحد؟!

إن الحقائق التي أشار إليها الإمام عليه السلام في هذه الرسالة، والتي ضيعها معاوية تعدد من الخصائص المنحصرة بشخص الإمام عليه السلام في العصر الأول للإسلام والذي كان مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منذ بداية الدعوة إلى آخر أيام النبي المباركة، وفي المقابل نسيان معاوية لسوابقه في عصر الجاهلية وما ارتكبه أبوه و أمه من أعمال شنيعة بحيث لا يسع أي عاقل أن يقارنه بالإمام عليه السلام مع تلك الخصوصيات الفذة والخصال الممتازة التي اجتمعت فيه، ومع كل ذلك يريد معاوية أن يخلف الإمام عليه السلام في مسند الحكومة والخلافة ويطمح أن تكون له السيطرة في حياة الإمام على قسم عظيم من البلاد الإسلامية. «وثائق»:

أي العهود والمواثيق، وهي إشارة إلى المواثيق التي اخذت من الإنسان المؤمن بأن يسير في خط الطاعة والتسليم لأحكام الله تعالى، وجملة

«الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلْبَةٌ»

، بما أن طلبه تعنى المطلوب، فهي إشارة إلى أن الله تعالى يطالب عبده بالوفاء بجميع هذه العهود والمواثيق. فمن جهة فإن كل إنسان مؤمن، وبمقتضى قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» [٩٢]، يحمل الأمانة الإلهية في حياته، ومن جهة أخرى وبمقتضى قوله تعالى: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» [٩٣]، مطالب بإطاعة أوامر الله ورسوله، ومن جهة ثالثة وبمقتضى قوله تعالى: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٧

بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» [٩٤]، مطلوب منه ترك عبادة الشيطان واتباع وساوسه، فكل هذه الأمور متضمنة في ثانيا المواثيق الإلهية وقد أتم الله حجته على عباده بمقتضى هذه الآيات الشريفة.

ويتابع الإمام عليه السلام في المقطع الثاني من هذه الرسالة كلامه في توبيخ معاوية ويقول:

«فَأَمَّا إِكْتَارُكَ الْحِجَابِ [٩٥] عَلَى عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلَامُ».

فالإمام عليه السلام يتعجب من هذا الادعاء الواهي لمعاوية وكأنه يرى نفسه ولى دم عثمان، فيقول له الإمام عليه السلام بتعبير شيق وبلغ، بأنك أنت الذى منعت نصر ك لعثمان وخذلته، لأننا نعلم، والتاريخ أيضاً شاهد على هذا المعنى، بأن عثمان طلب النصرة والمعونة من معاوية وأن يرسل له معاوية جيشاً ليذب عنه وينصره، ولكن معاوية أمر الجيش بالاقتراب من المدينة وعدم دخولها وكأنه يريد أن يقتل عثمان ويهيب الأراضية اللازمة لتولى الخلافة ثم يقول للناس إننى أرسلت جيشاً لنصرته ولكن الجيش تأخر عن الوصول للمدينة.

يقول البلاذرى المؤرخ المعروف: «لَمَّا أُرْسِلَ عُثْمَانُ إِلَى مَعَاوِيَةَ يَسْتَمِدُّهُ، بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ أَسَدِ الْقَسْرِيِّ، جَدَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ أَمِيرَ الْعِرَاقِ وَخَالَ لَهُ: إِذَا آتَيْتَ ذَاخُشْبَ فَأَقِمْ بِهَا، وَلَا تَتَجَاوَزَهَا، وَلَا تَقُلْ: الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ، فَإِنِّي أَنَا الشَّاهِدُ وَأَنْتَ الْغَائِبُ. قَالَ الرَّوَايُ: أَقَامَ بَدَى خُشْبَ حَتَّى قَتَلَ عُثْمَانَ، فَاسْتَقْدَمَهُ حِينَئِذٍ مَعَاوِيَةُ فَعَادَ إِلَى الشَّامِ بِالْجَيْشِ الَّذِي أُرْسِلَ مَعَهُ». ويضيف البلاذرى هنا: «وَأَمَّا صَنَعُ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ لِيَقْتُلَ عُثْمَانَ فَيَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ» [٩٦].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٨

والملفت أن الشيخ مغنية في شرحه لنهج البلاغة بعد أن ذكر هذه القصة قال:

«تشهد جميع المواقف من سيرة معاوية أن هذه الحادثة، وفيما سبق نقلناها عن المؤرخين والباحثين القدامى والجديد، أن معاوية خذل عثمان في حياته وطلب منه أن يجعله ولياً دمه، وأنه بعد أن تم له الأمر تجاهل عثمان ودم عثمان، وأنه كان يستقبل قتلته ويجيزهم بالأموال (انظر كتاب معاوية، العقاد، ص ١٥٠ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦)» [٩٧]. يعنى أن جميع الشواهد التاريخية فى سيرة معاوية تشهد أن هذه الرواية عين الحقيقة والواقع، ولكن عندما هدأت الأوضاع ورأى معاوية أن الطلب بدم عثمان ذريعة جيدة لدعوة الناس إليه، رفع قميص عثمان وأخذ بالبكاء والنحيب وإثارة أحاسيس الناس، والأعجب من ذلك أنه عندما استشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجلس معاوية على مسند الخلافة، ليس فقط لم يترك فقط قتله عثمان، بل استقبلهم برحابة صدر وأجرل لهم العطاء.

## تأمل

### رسالة معاوية إلى ابن عباس وجوابه

ومن النقاط الملفتة للنظر أن ابن أبى الحديد أورد فى ذيل هذه الرسالة مورد البحث رسالة معاوية إلى ابن عباس فى أيام صلحه مع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيث دعاه إلى بيعته، ومن جملة ما ذكر له فى هذه الرسالة: «ولعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضاءً، وأن يكون رأياً صواباً، فإنك من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه، وما جرى بينى وبينك صلح فيمنعك منى ولا بيدك أمان».

ولكن ابن عباس لم يشعر بالخوف من تهديد معاوية وأجابه جواباً حاسماً

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٩

ومطولاً يقول فيه: «وأما قولك إنى من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه، وما جرى بينى وبينك صلح فيمنعك منى، فأقسم بالله لأنت المتربص بقتله، والمحِبُّ لهلاكه، والحابس الناس عنه على بصيرة فى أمره، ولقد آتاك كتابه وصرىخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت به، حتى بعثت إليه معذراً بأجره، أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يُقتل، فقتل كما كنت أردت، ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك، فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه، وتقول: قتل مظلوماً، فإن يك قتل مظلوماً فأنت أظلم



الظالمين، ثم لم تزل مصوّباً مصعّداً، وجائماً ورايضاً؛ تستغوى الجهّال، وتنازعنا حقّاً بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت ... «وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» [٩٨] (وهذه الجملة الآية مقتبس من الآية ١١١ من سورة الأنبياء).

ويستفاد من رسالة معاوية إلى ابن عباس، وكذلك رسالته للإمام عليه السلام، أنّه كان ينسب بكلّ وقاحة، ما كان سهيماً فيه للوصول إلى أهدافه ومطامعه، لأي شخص يريد لكي يثير إحساسات العامّة من الناس ضده ويجعله يستسلم لمطالبه ويدعن لخلافته، في حين أنّ جميع الشواهد التاريخية تشير إلى أنّ معاوية كان في باطنه يرغب في قتل عثمان ولم يتقدم خطوة لنصرته، مع أنّ عثمان طلب منه بصراحة النصر والمساعدة، وعلى حدّ تعبير محمّد بن مسلمة الأنصاري الذي كتبه في جواب معاوية، أنت في حياة عثمان لم تقدم على نصرته بل نصرته بعد موته:

«وَلَنْ كُنْتَ نَصَرْتَ عُثْمَانَ مَثِيّاً لَقَدْ خَدَلْتَهُ حَيّاً» [٩٩].

وذكرنا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، ص ٤٢١، والجزء الثاني، ص ٤٨٠، والجزء الثالث، ص ٢٢٦، تفاصيل جديرة بالنظر فيما يخص رسالة الإمام عليه السلام لمعاوية لبيعته والإشارة إلى علل وعوامل مقتل عثمان.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦١

## الرسالة ٣٨

### إشارة

إلى أهلِ مِصْرَ لَمَّا وُلِّيَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ [١٠٠]

### نظرة عامة للرسالة

نعلم بأنّ الإمام عليه السلام كتب رسالة وسلّمها لمالك الأشتر وفيها يذكر المناهج العمليّة والأساليب الإداريّة في المجالات المختلفة في قضايا الحكومة والإدارة، وهذه الرسالة المعروفة بـ «عهد مالك الأشتر» وردت في نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، وسيأتي بيانها وشرحها، وقد كتب رسائل أخرى أيضاً إلى أهل مصر عندما أرسل إليهم مالك الأشتر والياً على مصر، وإحدى هذه الرسائل هي ما سنبحثه الآن، والأخرى المرقمة ٦٢ في نهج البلاغة، ويتبين من جميعها ما كان لمالك الأشتر من مقام وشخصيّة قويّة وإيمان عميق وأنّه إنسان قوى وشجاع ومدبر ومدبّر ومخلص.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٢

والرسالة مورد البحث تتشكل من قسمين:

القسم الأوّل: يتضمّن مدح وتمجيد أهالي مصر، الذين هبوا للدفاع عن الإسلام في وقت ساد فيه الظلم والفساد المجتمعات البشريّة وانطفأت جذوة الحق والعدالة في الامّة وشاعت المنكرات والقبائح في فضاء البلاد الإسلاميّة.

وفي القسم الثاني: يستعرض شخصيّة مالك الأشتر بوصفه رجلاً يتمتع بامتيازات ومواهب ممتازة بحيث تجعله جديراً بالولاية والإمارة، ويذكره في هذه الرسالة بعبارات راقية قلّما ذكر الإمام عليه السلام أحداً بهذه الصفات، وبعد ذلك طلب الإمام من أهالي مصر أن يتواصلوا معه من موقع الطاعة لأوامره والتقدير لشخصيته.



نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٣

## القسم الأول

## إشارة

مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجُورُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبُرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

## الشرح والتفسير: المصريون الذين غضبوا لله

يستهل الإمام عليه السلام رسالته لأهالي مصر، كما تمت الإشارة إليه، بوصف بليغ لهؤلاء المؤمنين، ويقول:

«مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجُورُ سُرَادِقَهُ [١٠١] عَلَى الْبُرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ [١٠٢]، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ».

وفيما يتصل بوقت صدور هذه العبارات الواردة في الرسالة يتفق جميع شراح نهج البلاغة أنها تشير إلى عصر كان عبدالله بن أبي سرح المجرم المعروف والياً على مصر من قبل عثمان بن عفان، فقد سلك هذا الوالي ومعه أزلامه وأعوانه طريق الظلم والجور على أهالي مصر بعيداً عن التعاليم الرسالية والأحكام الإسلامية، فلم يعترف عملاً بالأمر المعروف والنهي عن المنكر ولا اتخذ خطوات عمليته في هذا المجال.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٤

ولا ننسى أن عبد بن أبي سرح كان من جملة كتّاب الوحي في بداية الأمر ولكن بسبب خيانتة فقد سخط عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ونزلت آية من القرآن في ذمه، فكان أن ارتد عن الإسلام والتحق بالمشركين وأخذ يتآمر ضد الإسلام، وعندما فتح المسلمون مكة كان هذا الرجل أحد الأفراد المعدودين الذي أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقتلهم، ولكن بما أن عبدالله أخو عثمان من الرضاعة فقد أخفاه عثمان في داره، ثم جاء به إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وطلب منه الأمان له، فأعرض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بوجهه عنه وكرر عثمان طلبه هذا ثلاث مرات، وأخيراً وافق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على طلبه، وعندما غادر عثمان ومعه عبدالله من عند النبي قال النبي صلى الله عليه وآله لمن حوله من أصحابه:

«لَقَدْ صَمَتْتُ لِقَوْمٍ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَضْرِبُ عَنْقُ»

، فقام رجل من الأنصار وقال:

«فَهَلَّا أَوْمَأَتْ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ»

، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ» [١٠٣].

وعلى أيه حال فإن أهل مصر ثاروا ضد هذا الرجل الخائن، ولكنه صمد لهم وتمسك بمنصبه بقوة، ومن هنا تحركت جماعة من أئمة أهل مصر باتجاه المدينة يطالبون عثمان بعزله، ولكن عثمان، ليس فقط لم يعزل هذا الوالي بل كتب إليه كتاباً وأرسله مع غلامه يتحدث فيه عن لزوم معاقبة رؤوس المعترضين ويوصيه باعدامهم أمام الملأ. ويعاقب البعض الآخر بشدة ليكونوا عبرة للآخرين، فاكشف الثوار المصريون هذه الرسالة وارتفعت أصوات اعتراضهم ضد عثمان وقالوا: يجب علينا العودة إلى المدينة لعزل عثمان من

سدة الخلافة.

وفى ذلك الوقت كانت جماعات كثيرة قد أقبلت من الكوفة والبصرة وكانوا يحملون معهم اعتراضات وشكاوى مماثلة، أضف إلى ذلك أن الكثير من المهاجرين والأنصار كان يرون أن عثمان، وبسبب أعماله السلبية، غير جديرة بخلافة المسلمين وينبغي عزله، ولكن عثمان ثبت في موقعه وأصر على البقاء في الخلافة وفي هذا المقام، وتسبب ذلك بسيادة الغضب وسخط الثائرين عليه وأخيراً نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٥

استطاعوا قتله على يد أبي حرب الغافقي المصري، وذهب بعض المؤرخين إلى أن قاتله أشخاص آخرون ١٠٤]، هذا في حين أن الإمام على عليه السلام أرسل ولديه الإمام الحسن والحسين عليهما السلام إلى دار عثمان لمنع دخول الناس إليها، لأن الإمام على عليه السلام لم يكن موافقاً على قتل عثمان، رغم أنه كان يعتقد بلزوم عزل عثمان.

وأما ما يرتبط بالرسالة مورد البحث وما ورد فيها من تقدير وتبجيل من الإمام على عليه السلام لأهالي مصر فبعض المؤرخين استنبط من هذه الرسالة أن الإمام عليه السلام كان موافقاً على قتل عثمان.

يقول ابن أبي الحديد في هذا المورد: «هذا الفصل يشكل على تأويله، لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا لله حين عصى في الأرض، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان، وإتيان المنكر، ويمكن أن يقال إن كان متعمداً: إن الله تعالى عصى في الأرض لا- من عثمان، بل من ولاته وأمرائه وأهله، وذهب بينهم بحق الله، وضربت الجور سرادقه بولايتهم وأمرهم على البر والفاجر، والمقيم والضامن، فشاع المنكر، وفقد المعروف».

ثم يضيف ابن أبي الحديد: «ويبقى أن يقال: هب أن الأمر كما تأولت، فهؤلاء الذين غضبوا لله إلى ماذا آل أمرهم؟ أليس الأمر آل إلى أنهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا عثمان؟ فلا- تعدوا حالهم أمرين: إما أن يكونوا أطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصياً مستحقاً للقتل، أو يكونوا اسخطوا الله تعالى بقتله، فعثمان إذاً على حق، وهم الفساق العصاة، فكيف يجوز أن يبجلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين؟ ويمكن أن يجاب على ذلك بأنهم غضبوا لله، وجاءوا من مصر، وأنكروا على عثمان تأميره الامراء الفساق، وحصروه في داره طلباً أن يدفع إليهم مروان ليحبسه، أو يؤذبه على ما كتبه في أمرهم، فلما حصر طمع فيه مبغضوه وأعداؤه

نفحات الولاية؛ ج ١٠؛ ص ٦٦

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٦

من أهل المدينة وغيرها، وصار معظم الناس إلباً عليه، وقيل عدد المصريين بالنسبة إلى ما اجتمع من الناس على حصره، ومطالبته بخلع نفسه، وتسليم مروان وغيره من بني امية إليهم، وعزل عماله والاستبدال بهم، ولم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه، ولكن قوماً منهم ومن غيرهم تسوروا داره، فرماهم بعض عبيده بالسهم، فجرح بعضهم، فقادت الضرورة إلى النزول، والاحاطة به، وتسرع إليه واحد منهم وقتله، ثم إن ذلك القاتل قُتل بالوقت، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وشرحناه، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه أن يفسق الباقون، لأنهم ما أنكروا إلبا المنكر، وأميا القتل فلم يقع منهم، ولا- راموه ولا- أرادوه، فجاز أن يقال: إنهم غضبوا لله، وأن يثنى عليهم ويمدحهم» [١٠٥].

وقد وافق بعض شراح نهج البلاغة على هذا الكلام والتقرير، ويظهر من كلماتهم أن هذا الكلام خالٍ من التكلف، لأن القرائن التاريخية من جهة تشير إلى أن الإمام على عليه السلام لم يؤيد أحداً على قتل عثمان بل كان مانعاً عن قتله، رغم أنه كان يعترض بشدة على أعمال عثمان وتسليطه أفراد من بني امية الفاسدين على أموال وأرواح المسلمين، ومن جهة أخرى أن الرسالة مورد البحث تشير إلى أن قيام أهالي مصر يستحق الثناء والتبجيل، ويمكن الجمع بين هذين الأمرين بما ذكر آنفاً وأن كلام الإمام عليه السلام في هذه الرسالة لا يدل إطلاقاً على مدح قتله عثمان ١٠٦].

وضمناً فقد بين الإمام في هذه الرسالة خصوصيات المجتمع الفاسد في عبارات موجزة وذلك بقوله: إن مثل هذا المجتمع هو الذي تظهر فيه المعاصي والمنكرات وتتكسر فيه حالات الجور والظلم لتستوعب جميع الأخيار والأشرار، فلا أمان لأحد لا في المدن ولا في البراري وأن الرذائل ستشتد وتقوى على حساب الفضائل.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٧

## القسم الثاني

### إشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَا لَيْسَ بِكُمْ بِنُجْوَى مَدْحَجٍ، فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيُفِي مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلَ الظُّبَيْءِ، وَلَا نَابِي الضَّرْبِيَّةِ؛ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُجَحِّمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آتَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَيَّ وَعَدْوُكُمْ.

### الشرح والتفسير: نصبت عليكم والياً مقتدراً وبصيراً بالأمر

ينطلق الإمام عليه السلام في هذا المقطع من رسالته لأهالي مصر من موقع التمجيد والتعريف بمالك الأشر، وبعد أن يصفه بست صفات ممتازة جداً، يأمر أهالي مصر بالطاعة له ويدعوهم لامثال أمره وكأن هذا الأمر بالطاعة مقترن بالدليل على ذلك.

بداية يقول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ»

. المجيء بكلمة «عبد» نكرة يراد به التعظيم والإشارة إلى أن مالك الأشر في مقام العبودية لله تعالى جدير بهذا المقام، والإمام عليه السلام يصفه بأهم وأعلى صفة للإنسان وهي مقام العبودية لله، وهذا هو ما نقوله في صلاتنا اليومية لمقام النبوة والرسالة، حيث نقول في التشهد:

«أشهد أن محمداً عبده ورسوله»

، وهذه هي الحقيقة التي يفتخر بها

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٨

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويقول:

«كفى بى عزاً أن أكون لك عبداً» [١٠٧].

يتابع الإمام عليه السلام وصفه لمالك الأشر ويذكر الصفة الثانية والثالثة بقوله:

«لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ [١٠٨] عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ [١٠٩].»

وهذان الوصفان في الحقيقة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان لتحقيق النصر على العدو، والاستعداد الدائم في زمان الخوف من هجوم العدو وعدم الخشية من حيله ومكره، ولا كثرة عدده وعدته، وهو ما يلزم القائد الفذ والزعيم المقدم، والتاريخ يشهد أن القادة والامراء الذين هزموا بالمعارك لم يكونوا يتمتعون باحدى هاتين السمتين، فإما أنهم غفلوا عن مكر العدو، أو قادم الخوف من العدو إلى الهزيمة والذلة.

ثم يتعرض الإمام عليه السلام للصفة الرابعة ويقول:

«أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بَنِي الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ [١١٠]».

عبارة »

حَرِيقِ النَّارِ

« تعتبر فى الحقيقة أبلغ تعبير لبيان الهجمات الشرسة لمالك الأشر على الأعداء فى ميادين القتال، لأنه ليس كمثل النار فى الإفناء والإهلاك، فالماء يغرق، والحجر يكسر، ولكن النار تحرق وتحول الشئ إلى رماد.

وينقل المحقق التستري فى شرحه نهج البلاغة عن كتاب (صفين لنصر بن مزاحم) خرج رجل من أهل الشام- فى معركة صفين- قلما رؤى أطول وأعظم منه وشجاعاً مقداماً فدعا إلى المبارزة طبقاً للعادة المتداولة فى الحروب فى ذلك الزمان، فلم يخرج إليه إنسان من جيش أمير المؤمنين عليه السلام لمبارزته أو الخروج له- وخرج إليه مالك الأشر فقتله، فقال رجل منهم: اقسام بالله لأقتلن قاتلك، فحمل

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٦٩

على مالك الأشر فضربه، فإذا هو بين يدي فرسه وحمل أصحابه فاستنقذوه جريحاً، فقال أبو ربيعة السهمي:

«كان هذه ناراً فصادفت إعصاراً»

، أى أنه لم يقاوم أمام الإعصار [١١١].

ثم يخرج الإمام عليه السلام بنتيجة من هذه الأوصاف المذكورة لمالك الأشر ويقول:

«فَأَسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ».

وبديهى أن العبد المخلص لله تعالى والمنتبه لمخططات العدو والذى لا- يجفل ولا- ينكل عن الأعداء بل يهجم عليهم كالنار أو الصاعقة، هو الشخص الذى ينبغى إطاعة أمره والاصغاء لتوجيهاته، والملفت للنظر أن الإمام عليه السلام يقول:

«فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ»

، وهو إشارة إلى أنه لا- أحد من البشر معصوم سوى الأنبياء والأوصياء ومن هنا فإن إطاعة أوامره يجب أن يكون محدوداً فى إطار مطابقتها للحق، وعلى ضوء ذلك فالإمام عليه السلام يوصى بهذه التوصية حتى لأقرب المقربين منه، ولذلك يقول ابن أبى الحديد فى شرحه لهذه العبارة: «وهذا يشير إلى القدرة الإيمانية والصلابة الروحية للإمام بحيث إنه لا يرى التساهل والتسامح حتى بالنسبة لأحب الأفراد إليه، ولذلك يقيد إطاعة أمره بهذا القيد، لأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» [١١٢].

ثم يتعرض الإمام عليه السلام للصفة الخامسة للمال الأشر ويقول:

«فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلَ [١١٣] [الظبية [١١٤]، وَلَا نَابِي [١١٥] [الضريية]» [١١٦].

جملة:

«سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ»

تعد أفضل تعبير عن رجل شجاع كمالك الأشر

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٠

من حيث قوة شكيمة ورسوخ عقيدته وشدّة بطشه بالأعداء.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن سيف الله لقب خالد بن ولید، ولكنهم اختلفوا فى من لقبه بهذا اللقب، فذهب بعض إلى أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله هو الذى منحه هذا اللقب، ولكن ابن أبى الحديد يصرح بأن الصحيح أن هذا اللقب لخالد قد لقبه به أبوبكر بسبب حروبه مع أهل الردة ومسيلمة الكذاب وانتصاره عليهم، ولكننا نعلم أن خالد بن ولید كان قد اقترف أعمالاً سيئة

وتصرفات سلبية كثيرة ولا- يقبل المقارنة مع مالك الأشتر وهو الرجل الشجاع والصادق والمخلص، والجدير بالذكر أن ابن الأثير يقول: «عندما قتل خالد مالك بن نويرة (بدون مبرر شرعي) وتزوج من زوجته، غضب عمر عليه وقال لخالد، قتلت مسلماً ثم نزوت على امرأته، اقسام والله لأرجمنك بأحجارك، وأصرّ على أبي بكر أن يقتص من خالد بسبب قتله مالك بن نويرة، ولكن أبا بكر قال في جوابه: لقد فعل خالد وأخطأ ولكنني لا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين» [١١٧] (وهذا هو السبب الذي دعى البعض إلى أن يلقبوه بسيف الله، ولكن يا لهذا السيف!!).

ثم يستطرد الإمام عليه السلام بذكر نتيجة لهذا الاستدلال ويقول:

«فَإِنْ أَمَرَكُمُ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمُ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِمُوا».

ثم يصف الإمام عليه السلام الأشتر بالصفة السادسة والأخيرة ويقول:

«فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُخَّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَيَّ نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةَ شَكِيمَتِهِ [١١٩] عَلَيَّ عَدُوَّكُمْ».

وبديهي أن مالك الأشتر لم يكن يصدر أوامر وتوصيات من الإمام عليه السلام في

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧١

الأمر الجزئية وفي التفاصيل مع تلك الفاصلة الكبيرة بين مصر والعراق والكوفة، هذا يعني أن الإمام عليه السلام قد علمه مبادئ عامية وأصولاً كلية (كما ورد في عهده المعروف للمالك الأشتر في الرسالة ٥٣ كما سيأتي لاحقاً) وفوض معرفه الفروع والتفاصيل لمالك من خلال ردّها إلى تلك الأصول الكلية، وهذا هو الاجتهاد بمعناه الصحيح وهو: ردّ الفروع إلى الأصول. إن هذه الصفات الست إذا توفرت في أي شخص فإنه سيبلغ مرتبة الإنسان الكامل الجامع لجميع الكمالات المادية والمعنوية والظاهرية والباطنية.

وبذلك يقول الإمام عليه السلام في آخر جملة من هذه الرسالة: بالرغم من أنني أود أن يكون مالك الأشتر معي، ولكنني «وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَيَّ نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةَ شَكِيمَتِهِ عَلَيَّ عَدُوَّكُمْ».

في هذه العبارة يصرّح الإمام عليه السلام بأنه بالرغم من أن مالك الأشتر يعدّ ضرورياً ولازماً في جيشه وتحت قيادته، ولكن لأهميته مصر من حيث سعتها وتاريخها وأهلها الواعين والملتزمين بالقيم والرسالة فإنني آثرتكم على نفسي وتنازلت لكم عن قائد مقدم هو مالك الأشتر، وهذا من جهة يبين مكانه الأشتر السامية، ومن جهة أخرى، يبين أهميته مصر وأهلها.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٣

## الرسالة ٣٩

### إشارة

إلى عمرو بن العاص [١٢٠]

### نظرة عامة للرسالة

هذه الرسالة مليئة بالتوبيخ الشديد من قبل الإمام عليه السلام لعمر بن العاص حيث يوبخه الإمام عليه السلام لخضوعه واتباعه الأعمى لمعاوية ويصف معاوية أيضاً بالصفات اللائقة به.

والقسم الآخر من هذه الرسالة يتضمن تهديداً من الإمام عليه السلام لعمر ومعاوية ويقول: لو أنى انتصرت عليكما فساعاقتكما بما تستحقان وإن لم أنتصر فإن العقاب الإلهي ينتظركما.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٤

والجدير بالذكر، طبقاً لما ورد في كتاب تمام نهج البلاغة، أن لهذه الرسالة مطلع وخاتمة في عبارات قليلة لم يذكرهما السيد الرضى، فبدأيتها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَبْتَرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ، شَانِيءٍ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وخاتم الرسالة:

«وَاللَّهِ حَسْبُكُمْ وَكَفَى بِانْتِقَامِهِ انْتِقَاماً وَبِعِقَابِهِ عِقَاباً سَلَامٌ لِأَهْلِهِ» [١٢١].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٥

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا أَمْرِيءِ ظَاهِرٍ غَيْهٍ، مَهْتُوكِ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسِفُّهُ الْخَلِيمَ بِخِلْطِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ؛ اتَّبَعَ الْكَلْبَ لِلضَّرْعَامِ يُلُودُ بِمَخَالِيهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيْسَتِهِ فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ. فَإِنْ يُمْكِنُ لِلَّهِ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْرُكُمْ بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقِيَا فَمَا أَمَامُكُمْ شَرٌّ لَكُمْ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: لقد بعث دينك بدنيا غيرك!

يتحرّك الإمام عليه السلام في مستهل رسالته من موقع التوبيخ واللوم لعمر بن العاص ويقول له:

«فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا أَمْرِيءِ ظَاهِرٍ غَيْهٍ، مَهْتُوكِ سِتْرُهُ ١٢٢»،

يَشِينُ ١٢٣] الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسِفُّهُ الْخَلِيمَ ١٢٤] بِخِلْطِهِ ١٢٥».

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن جملة:

«يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ»،

إشارة إلى ما أمر به معاوية من سب الإمام على عليه السلام وبنى هاشم في المجالس، حيث كان هؤلاء الأعاظم وطيلة سنوات متمادية يسبون في مجلس معاوية ومجالس أخرى،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٤

ولكن معنى العبارة المذكورة لا ينحصر بهذا المعنى، بل إن عمرو بن العاص كان، مضافاً إلى ذلك، يهزأ من الشخصيات المرموقة من أنصار الإمام على عليه السلام وشيعته ويتحدّث معهم لدى حضورهم في مجلس معاوية بكلمات ركيكة وعبارات نابيهة قاصداً بذلك إهانتهم والسخرية منهم، وفي المقابل كان الكثير منهم يردونه بجواب قاطع وحاسم من دون الاعتناء بالأخطار المحدقة بهم بسبب جرأتهم في حضور معاوية، وعلى كل حال فإن معاوية كان رجلاً سيء الكلام وهاتكاً للحرمة.

ومن ذلك أن «جارية بن قدامة» كما ينقل العقد الفريد، دخل يوماً إلى مجلس معاوية فقال له معاوية: «ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية! قال: ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك معاوية! وهى الانثى من الكلاب، قال: لا أم لك! قال:

أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا، قال: إنك لتهددني، قال: إنك لم تفتننا قسراً، ولم تملكنا عنوةً، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً، وأعطيناك سماعاً وطاعةً، فإن وقيت لنا وقينا لك، وإن فرغت إلى غير ذلك، فإننا تركنا وراءنا رجالاً شداداً، وألسنة

حَدَادًا، قَالَ معاوية: لَا كَثْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ أَمْثَالِكَ، قَالَ جارية: قُلْ مَعْرُوفًا وَرَاعِنَا، فَإِنَّ شَرَّ الدُّعَاءِ الْمُحْتَطَبِ» [١٢٦].

وجملة:

«وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ بِخَلَطِهِ»،

إشارة إلى أنه يقال في مجلسه كلام تافه وركيك إلى درجة أن الإنسان العاقل يعد سفيهاً في ذلك المجلس، وهذه هي نتيجة المشاركة في مجلس يحضره معاوية ورفاقه.

هذه الأوصاف الأربع التي وصف بها الإمام عليه السلام معاوية، بإمكانها تجسيد شخصيته معاوية بكل وضوح وتبين من يدعي خلافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومن يجلس على منبره، والأعجب من ذلك حال الأشخاص الذين قرأوا سيرته وتاريخه ومع ذلك يعتبرونه من الصحابة الأجلاء لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا يسيحون أية إهانة تلحق به! هذه نتيجة التعصب الأعمى الذي يجر الإنسان إلى كثير من البلايا والآفات.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٧

ويتابع الإمام عليه السلام خطابه لعمر بن العاص:

«فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ؛ اتَّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ [١٢٧] يُلُوذُ بِمَخَالِيهِ [١٢٨]، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيَسْتِهِ [١٢٩] فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ!».

وعادة في مثل هذه الموارد يتم التشبيه بالثعلب الذي يتحرك تبعاً للأسد المفترس لينتفع من فضلات مائدته وبقايا فريسته، ولكن الإمام عليه السلام استخدم التشبيه بالكلاب بدل الثعلب، لإظهار شدة دنائه ووقاحة عمرو بن العاص، ونعلم أن عمرو بن العاص هو الشخص الذي لم يكن قادراً على تولى الحكم والإمارة بنفسه، ولكن من خلال مكره ودهائه في تقديم الخدمة لمعاوية بحيث أنه أعطاه أخيراً ولاية مصر، فكان أن خسر الدنيا، لأنه لم يبق له سمعة فيها، وخسر الآخرة بما لا حاجة لبيانه.

وجاء في كتاب تاريخ يعقوبى أن عمرو بن العاص عندما دنت منه الوفاة نظر إلى أمواله الكثيرة (وقد صعب عليه أن يفارقها جميعاً ويذهب خال اليمين) فقال لابنه: «ودَّ أبوك أنه كان مات في غزاة ذات السلاسل، إنني قد دخلت في أمور ما أدري ما حجتى عند الله فيها»، ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته وقال: «ياليته كان بعراً ياليتنى مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني، آثرت دنياي وتركت آخرتي، عمى على رشدي حتى حضرني أجلى، كأنى بمعاوية قد حوى مالى وأساء فيكم خلافتي» [١٣٠].

ويواصل الإمام عليه السلام توبيخه لعمر بن العاص ويقول:

«وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ».

إشارة إلى أنك كنت تملك الدنيا والآخرة لأنك تملك الاستعداد الكافي للفوز بهما، ولكنك للأسف قد سرت في طريق الباطل وتوغلت في الرذيلة في حين أن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٨

الكثير من الناس يمكنهم وبواسطة ذكائهم وقابلياتهم أن يعيشوا السعادة في الدنيا ويتنعمون بها بطريق حلال دون أن يضرب ذلك بأخترتهم ولكنهم قد يخطئون المسار ويتكبدون عن الطريق.

وهنا ربما يثار هذا السؤال وهو: لو أن عمرو بن العاص كان قد أذعن للحق، فهل سيعطيه الإمام عليه السلام ما أراد، مثلاً يعطيه إمارة مصر، في حين أن سيرة الإمام على عليه السلام تأبى ذلك؟

وفي مقام الجواب عن هذا السؤال يمكن القول: إن عمرو بن العاص إذا كان واقعاً يطلب الحق ويسير في الصراط المستقيم ويعيش تقوى الله تعالى، فإنه بما لديه من ذكاء ومواهب يكون جديراً بهذا المقام فلا يبعد أن الإمام عليه السلام سيكلفه بتولى هذا المنصب، أضف إلى ذلك أن المراد بجملة: «ما طلبت» ليس فقط حكومة مصر، بل أن يملك الإنسان المقام اللائق حتى لو كان مقاماً أدنى من



حكومة مصر.

وفي ختام هذه الرسالة ينطلق الإمام عليه السلام من موقع التهديد لمعاوية وعمرو ويقول:

«فَإِنْ يُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ».

وقد أورد بعض شراح نهج البلاغة في هذا المورد بحثاً يتلخص في أن الإمام عليه السلام إذا كان قد انتصر على معاوية وعمرو بن العاص فهل سيقتلها، أو أنه سيعفو عنهما، أو سيعاقبهما بعقوبة أخرى؟ ورغم أن الكلام عن مسألة لم تقع إطلاقاً لا يعدّ ذا فائدة، ولكن من المعلوم أن الإمام عليه السلام إذا كان يعفو عنهما فإنه لا يعفو عن حقّ الناس، وما إرتكباه من جرائم وجنایات في سبيل تحقيق مطامعهما في الرئاسة والدنيا، والشاهد على هذا الكلام ما ورد في ذيل هذه الرسالة وروايات أخرى قال:

«فَإِنْ يُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا».

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٧٩

## تأملان

### ١. عمرو بن العاص في الجاهلية والإسلام

يقول العالم المصري المعروف «محمّد عبده» في شرحه لنهج البلاغة في مستهل هذه الرسالة: «من مآسى الزمن ومهازله في الوقت نفسه أن عمرو بن العاص هو الذي أرسلته قريش إلى نجاشي الحبشة يطالب بتسليم جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين، وردّهم إلى مكّة لترى فيهم قريش رأيها، وأن عمرو بن العاص نفسه هو الذي قاتل على بن أبي طالب في صفين، فبنفس الروح التي قاتل بها ابن أبي طالب الأوّل، قاتل بها ابن أبي طالب الثاني، وهكذا كانت محنة الإسلام في أن الذين قاتلوه لدى ظهوره عادوا يقاتلونه بعد انتصاره، فتلبس بلباس الإسلام نفسه».

ثم يضيف هذا العالم المصري: وقد كان لعمر بن العاص ما أراد من أن يكون له مصر طعمة خالصة، وذلك صورة من صور حكم ابن العاص بمصر.

ثم ينقل عن المقرئزي وهو من أشهر مؤرخي القرن التاسع قوله: خلف عمرو بن العاص سبعين بهاراً دنانير، والبهار جلد ثور، وبلغه إردبان بالحصرى، هذا ما انتهى إليه أمر الإسلام: سبعون بهاراً دنانير منهوبة من أقوات الشعب وأرزاقه يخلفها وال واحد» [١٣١].

### ٢. بعض أعمال معاوية

نقل ابن أبي الحديد في شرحه لهذه العبارة من كلام الإمام عليه السلام:

«ظَاهِرٌ عَيْتُهُ»

، يقول: «فأما قوله عليه السلام في معاوية: «ظاهر عيته»، لا ريب في ظهور ضلاله وبغيه، وكل باغ هاو، أما

«مَهْتُوكِ سِتْرُهُ»

فإنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمار، ومعاوية لم يتوقّر ولم يلزم قانون الرئاسة إلّا منذ خرج على أمير المؤمنين عليه السلام،

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٠

واحتاج إلى الناموس والسكينة، وإلّا فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك موسوماً بكلّ قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه، إلّا أنه كان يلبس الحرير والديباج، ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها وعليها



جلال الديباج والوشى، وكان حينئذ شاباً وفيه نزق الصبى وأثر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة ونقل الناس عنه فى كتب السير أنه كان يشرب الخمر فى أيام عثمان فى الشام، وأما بعد وفاة أمير المؤمنين واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه، فقيل: إنه شرب الخمر فى ستره، وقيل: أنه لم يشربه، ولا خلاف فى أنه سمع الغناء وطرب له وأعطى ووصل عليه أيضاً [١٣٢].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨١

## الرسالة ٤٠

### إشارة

إلى بعض عماله [١٣٣]

### نظرة عامة للرسالة

من هو المخاطب فى هذه الرسالة؟ لم يتحمل بعض الشراح عناء الفحص عنه ويبنوا ذلك بصورة إجمالية، ولكن يستفاد من البلاذرى فى «أنساب الأشراف» وابن الدمشقى فى «جواهر المطالب»، أن المخاطب بهذه الرسالة هو عبدالله بن العباس الذى كان والياً على البصرة.

توضيح ذلك، طبقاً لما نقله هذان المؤرخان، كتب أبو الأسود رسالة بهذا المضمون إلى أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تعالى قد جعلك والياً أميناً لنا عارفاً بوظيفتك، وقد اخترناك ورأيناك أميناً تريد خير الأمة وتؤدى حقها للبيت المال ومعرضاً عن الدنيا، وأنتك لم تنفق من أموال هذه الأمة شيئاً لنفسك ولم تقبل رشوة، ولكن ابن عمك تصرف فى أموال بيت المال بدون علمك، ولم أر من السليم أن أكتمك هذا الأمر ولهذا كتبت لك هذا الكتاب.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٢

وفى مقام الإمام عليه السلام الجواب عن هذه الرسالة إلى أبى الأسود الدؤلى يشكره فيها على موقفه هذا، ثم كتب الرسالة مورد البحث إلى ابن عباس [١٣٤]، ويتحدث فيها معه بلغه التبويخ واللوم ولكن ليس على محمل على القطع واليقين، بل ورد كلامه عليه السلام فى هذه الرسالة بأنه إذا كان ما وصلنى صحيحاً وقد عصيت أمرى ولم يؤدِّ حق الأمانة ... وكذلك أمره بأن يرسل له فوراً حساب بيت المال، وفى ختام الرسالة يحذره من الحساب الإلهى الذى هو أدق وأعظم من حساب الناس.

ولكن تردد بعض شراح نهج البلاغة فى كون هذه الرسالة إلى ابن عباس، واعتبر مقامه بشهادة التاريخ مقاماً شامخاً أن يكون قد ارتكب مثل هذه الأعمال.

والجدير بالذكر أن البلاذرى بعد ذكره لرسالة أبى الأسود ورسالة الإمام عليه السلام لابن عباس قال: إن ابن عباس كتب كتاباً للإمام على وصرح فيها أن الخبر المذكور غير صحيح (ومن أخبرك بهذا الخبر إما أنه أخطأ فى ذلك أو لديه غرض معين).  
أما نص رسالة ابن عباس للإمام عليه السلام:

«أما بعد فإن الذى بلغك عنى باطل وأنا لما تحت يدي أحوط وأضبط فلا تُصدِّق على الإظناء رَحِمَكَ اللهُ وَالسَّلَام».

وسياتى المزيد من التوضيح فى هذا الموضوع فى الرسالة الآتية.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٣

أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنكَ أَمْرٌ، إِنَّ كُنْتُ فَعَلْتُهُ فَقَدْ أَسِيخَطْتُ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ

فَأَخَذَتْ مَا تَحْتِ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلَتْ مَا تَحْتِ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: سخط الله وعصيان الإمام

يقول الإمام عليه السلام في مستهل هذه الرسالة القصيرة والمثيرة:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَشْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْرَيْتَ [١٣٥] أَمَانَتَكَ».

في هذه العبارة الموجزة نرى أن الإمام عليه السلام تحدّث مع مخاطبه ابن عباس (أو شخص آخر) بعبارات من موقع الاحتياط، فلم يقل إنك قد ارتكبت إثماً في هذه الأعمال بل يحذّره بأنّه إذا ما وصلني من الخبر صحيحاً فأنت مسؤول أمام الله تعالى وأمام إمامك، وقد افتضحت أمام الناس والامة.

ما أبلغ وأدقّه هذا التعبير بأنّ الإنسان وبسبب ارتكابه لبعض الأمور تسقط شخصيته ومكانته أمام الله والإمام والناس أجمعين. وجملة

«وَأَخْرَيْتَ أَمَانَتَكَ»

ربّما تشير إلى الأمانة في المقام والمنصب أي مقام

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٤

الولاية، وفيها إشارة إلى أنّ عملك يتضمّن فضيحتك في أمر الولاية، أو إشارة إلى الأمانة والاعتبار والحيثية في نظر الناس، أي أنّك فضحت نفسك أمام الخلق فلا اعتبار لك بينهم.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام توضيحاً أكثر في هذا المجال وهو في الحقيقة تفصيل بعد الإجمال، وتبيين بعد الابهام، يقول:

«بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتِ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتِ يَدَيْكَ».

وجملة

«جَرَدْتَ الْأَرْضَ»

أي جعلته عارية وجرءاً ربّما تكون إشارة إلى أنّك أخذت المحصولات الزراعيّة للأراضي الخراجيّة لنفسك، وكذلك يمكن أن تكون إشارة إلى تخريبه للأراضي الزراعيّة بسبب سوء تديره، واحتمل بعضهم أنّ الأرض هنا بمعنى بيت المال، يعني أنّك أخذت الأموال الموجودة في بيت المال وجعلته خالياً، ولكن الاحتمال الأوّل والثاني أقوى حسب الظاهر.

والجدير بالالتفات إلى أنّ كلمة «جرّدت» من مادة «جريد» ويعني تعريه الشيء، ومن هنا قيل للجراد «جراد» لأنّه يعرى الأرض ويأكل الأشجار ويجعل الأرض والأشجار عارية.

وفي ختام هذه الرسالة يقول عليه السلام:

«فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ وَالسَّلَامُ».

وبديهي أنّ حساب الناس أحياناً يخالطه الاشتباه والغفلة، وأحياناً يستطيع المرء إخفاء بعض النواقص عنهم، في حين أنّ الحساب الإلهي لا يمسه الخطأ والاشتباه، ولا يستطيع أي شخص إخفاء أعماله في حكمه العدل الإلهية، كما يقول القرآن الكريم: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمُ الْكُتُبَ مَثَاقِلَ حَبِيَّةً مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ» [١٣٦].

والمراد من الحساب الذي أشار إليه الإمام عليه السلام حساب ما يتجمع في بيت المال

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٥

أعم من محصولات الأراضي الخراجيّة والزكاة والغنائم وأمثال ذلك، إذ أنّ الوالي مكلف أن يكتب للإمام عليه السلام مجموع المكتسبات وكذلك النفقات، ليتبين هل هناك حيف واختلاس في بيت المال أم لا؟

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٧

## الرسالة ٢١

### إشارة

إلى بَعْضِ عَمَالِهِ [١٣٧]

### نظرة عامة للرسالة

هذه الرسالة كما سيأتي بيانه بشكل تفصيلي في نهاية هذا البحث، كتبها الإمام عليه السلام لعبد بن عباس كما هو معروف، وفيها يوبّخه الإمام على عدم رعاية الموازين الصحيحة في بيت المال، وكذلك يهيب به كالأب المتحرق الذي يرى ابنه يسير في طريق الخطأ والزيف، ويدعوه إلى إصلاح المسير والعودة إلى الطريق القويم، ومن هنا يوجه الإمام عليه السلام لابن عباس كلمات لاذعة ويخاطبه بلغة التأنيب والتوبيخ.

وفي القسم الأول من هذه الرسالة يذكره الإمام عليه السلام بإحسانه له أنه كان يعتبره من

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٨

خواصه وقد أوكل إليه أحد المناصب المهمة في حكومته، أي منصب والي البصرة.

وفي القسم الثاني يشير الإمام عليه السلام إلى إساءة هذا الوالي ويوبّخه على عدم رعاية موازين العدل في أمر بيت المال ويأمره بتقوى الله تعالى وإعادة أموال المسلمين إلى بيت المال.

وفي القسم الثالث، يقسم الإمام عليه السلام لو أنّ ولديه الحسن والحسين عليهما السلام مع شدة قربهما إليه، قد ارتكب مثل هذا العمل فإنّ سيقف منهما موقفاً حازماً ولا يتسامح معهما في هذا الأمر.

وفي القسم والرابع والأخير من هذه الرسالة يحذّره الإمام عليه السلام ويبيّن له فناء الحياة الدنيا وعدم ثباتها وأنه سيرحل منها عمّا قريب، وسيحضر في محضر محكمة العدل الإلهي وعليه أن يجيب على ما ارتكبه من أعمال سيئة وأنه سيندم حين ذاك على الكثير من أعماله حيث لا ينفع الندم.

أمّا بالنسبة للمخاطب في هذه الرسالة وهل أنّه عبد الله بن عباس حقيقة، وهو من أصحاب الإمام على عليه السلام المعروفين، أم أنّه أخوه عبيد الله أم شخص آخر؟ هناك خلاف كثير بين المؤرخين وشراح نهج البلاغة وعلماء الرجال، وسنشير إلى هذه المسألة في ختام هذه الرسالة وسنبيّن ما هو الأقرب في نظرنا.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٨٩

### القسم الأول

## إشارة

أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبَطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمَوَاسَاتِي وَمُؤَازَرَتِي وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ، وَالْعِدُوَّ قَدْ حَرَبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزَيْتَ، وَهَيْدَةَ الْأُمَّةِ قَدْ فَتَكْتَ وَشَعَّرْتَ، قَلْبَتَ ابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُتْنَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ. وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ اللَّهُ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَيْدَةَ الْأُمَّةِ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنُوِي عِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنْتِكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَشْرَعْتَ الْكُرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَيْئَةَ، وَاحْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمُصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ اخْتِطَافَ الذُّبِّ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمَغْرَى الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْجِجَازِ رَحِيبِ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرِ مُتَأْتِمٍ مِنْ أَخْرَجِهِ، كَمَا أَنَّكَ لَا أَرِيَا لِعَيْرِكَ خَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَائِكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ، فَسَبِّحَانَ اللَّهَ! أَمَا تُوْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ!

## الشرح والتفسير: ألا تؤمن بالمعاد؟!

في بداية هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى تعاطفه وحبّه لهذا الوالي ويذكره بخدماته ومؤازرته له في مواقع الشدّة ليشير فيه الشعور بالندم مما اقترفه من خطئه يقول عليه السلام:

«أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي [١٣٨]

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٠

وَبَطَانَتِي [١٣٩]، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمَوَاسَاتِي وَمُؤَازَرَتِي [١٤٠] وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ».

يشير الإمام عليه السلام في هذه العبارات المقتضبة إلى ثلاث نقاط فيما يتصل بهذا الوالي:

١. إن هذا الوالي كان سهيماً ومؤازراً للإمام عليه السلام في إدارة وتدبير أمر الحكومة والامية وكان يملك أحد أهم المناصب الحساسة في الدولة.

٢. أنه كان محرم أسرار الإمام عليه السلام ومن بطانته والموثوقين في الامور.

٣. كان هذا الوالي من أكثر الولاة قرباً واعتماداً لدى الإمام عليه السلام من بين جميع أقربائه وأرحامه، ومن هذه الجهة لم يكن يتوقع في مقابل كل هذا الاعتماد والمحبة أن يقوم بعمل سلبى تجاه حكومة الإمام.

ثم يستعرض الإمام عليه السلام مخالفات واليه وعامله ويتبدىء الكلام بالقول:

«فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ [١٤١]، وَالْعِدُوَّ قَدْ حَرَبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزَيْتَ، وَهَيْدَةَ الْأُمَّةِ قَدْ فَتَكْتَ [١٤٢] وَشَعَّرْتَ [١٤٣]، قَلْبَتَ ابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ [١٤٤] فَفَارَقْتَهُ مَعَ

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩١

الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُتْنَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ [١٤٥]، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ».

وجملته

«قَلْبَتَ ابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ»

تعنى في معناها الحرفي: قلبت الدرع لابن عمك على باطنه، وهي كناية عن إعراضه عن الإمام عليه السلام، لأن المجاهدين في ميدان الحرب عندما يواجهون الطرف الآخر وجهاً لوجه يلبسون الدرع أمامهم ويكون ظهر الدرع في الواجهة، ولكن في حالة الهرب يكون

باطن الدرع في مواجهتهم، ومن هذه الجهة استخدمت هذه الحالة كناية عن الشخص الذي يعرض عن شخص آخر أو عن شيء. وفي الجمل الخامس الاولى يرسم الإمام عليه السلام حالة الزمان: صعوبة الظروف في المحيط الاجتماعي، جراءة العدو في الحرب، عدم اهتمام الناس بأمر الأمانة، عدوان الأمة على الأحكام الإلهية.

ثم يستعرض الإمام عليه السلام مخالفات ابن عمه معه من أبعاد مختلفة وذلك في عدّة جمل: الإعراض عن الإمام، التماهي مع المناوئين، خذلانه للإمام وعدم نصره الحق، الانسياق مع الخاذلين وخيانتهم لبيت المال مع الخائنين، وعلى ضوء ذلك فإن جميع هذه الصفات التي أطلقها الإمام عليه السلام عليه بهذه الجمل البليغة والزاهرة بالمعنى جسد الإمام حالات هذا الوالى الذي خذل الإمام في ساعات المحنة، ونرى الإمام عليه السلام بين الجملتين الآخرتين بفاء التفرغ: مفارق الإمام مع المفارقين والخيانة في الأمانة.

ثم إن الإمام عليه السلام يتحرك لرصد أعمال هذا الوالى ويتحدث معه بلغة الوجدان لإثارة أحاسيسه الدينيّة بهذه العبارات: «وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهُ تَرِيدُ بِجَهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَتَوَى غَوْتَهُمْ [١٤٦] عَنْ فَيْئِهِمْ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٢

بداية يشكك الإمام عليه السلام، في هذه الجمل الثلاثة، في إخلاص تيه هذا الوالى في أمر الجهاد، ثم يشكك الإمام في كون أعماله تستند إلى الدليل والبيّنة الشرعيّة، وأخيراً يشبه الإمام عليه السلام عمله بمن يريد إغفال الناس وخداع الأمة لسلب حقوقهم من بيت المال.

ولعل هذا الوالى (سواء كان ابن عباس أو غيره) عند قراءته لهذه العبارات والجمل يستيقظ ضميره ويتحرك على مستوى إعادة أموال بيت المال.

ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه لهذا الوالى ويقول:

«فَلَمَّا أَمْكَنَّاكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ [١٤٧]، وَعَاجَلْتَ الْوُثْبَةَ [١٤٨]، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةَ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ اخْتَطَفَ [١٤٩] الذُّبِّ الْأَزَلِ [١٥٠] دَامِيَةَ [١٥١] الْمِعْزَى [١٥٢] الْكَسِيرَةَ [١٥٣]، فَحَمَلْتُهُ إِلَى الْحِجَازِ رَجِيبَ [١٥٤] الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأْتِمٍ [١٥٥] مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ لَأَبَا لِعَغْرِكَ حَدَرْتَ [١٥٦] إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ».

هذه العبارات البليغة في خطاب الإمام عليه السلام ناطقة بالمعنى وتشبيه الإمام لحالة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٣

هذا الشخص صريح وشديد ولا يمكن تصور بيان المقصود بأبلغ من هذه العبارات الدقيقة والكلمات المتماسكة.

عبارة تعبير به

«أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ»

و

«عَاجَلْتَ الْوُثْبَةَ»

و

«اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ»

وتشبيهه بالذئب الذى يجرح ويدمى المعزى الكسيرة، وكذلك قوله:

«تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ»

وكانّه يحسب أنّ بيت المال كميراث ورثه من والديه، كلّها جمل معبرة عن شناعة وقباحة هذا العمل الذى يقام به هذا الوالى.

جمله

«لَا أَبَا لِعَيْرِكَ...»

تعدّ نوعاً من الاحترام لذلك الوالى، لأنه عندما تحقير شخص: «لا أبا لك» ومن هذا المنطلق فالإمام عليه السلام فى الوقت الذى يخاطب فيه هذا الوالى بتلك العبارات اللاذعة والتوبيخات القارعة، فإنه لا يزال يحترمه بالمقدار اللازم.

وبعبارة تعبير به

«تُرَاثِكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ»

تعبير جميل يقال فى هذه الموارد بالنسبة للشخص الذى يقع على أموال ويتصرف بها دون وازع فيقال له: كأنّ هذا المال إراثاً ورثته من أبيك وأممك.

وفى ختام هذا المقطع من الرسالة يظهر الإمام عليه السلام تعجبه الشديد من هذا السلوك المنحرف لعامله ويقول:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ [١٥٧]

الْحِسَابِ!».

وهذه إشارة إلى أنّ الشخص الذى يؤمن بالقيامة والمعاد ويعتقد حقاً ما ورد فى قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ\* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [١٥٨].

لا ينبغي أن يتصرف فى أموال بيت المال مثل هذا التصرف الذمى، فمثل هذا العمل يتقاطع مع الإيمان والاعتقاد بالمعاد الحساب، أو أن يكون إيمانه ضعيفاً إلى درجة وكأنه قد نسى يوم القيامة وما سيوجهه من حساب على أعماله.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٥

## القسم الثانى

### إشارة

أَيُّهَا الْمَعْدُودُ- كَانَ- عِنْدَنَا مِنْ أَوْلَى الْأَبَابِ، كَيْفَ تُسَيِّعُ شَرَابًا وَطَعَامًا.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا، وَتَتَبَّاعُ الْإِمَاءَ وَتَتَكَبَّرُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، وَأَخْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ! فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْزُقْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأَعْدِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفْرًا مِثِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا، وَأُقْسِمَ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسِيرُنِي أَنْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي، أَتُرْكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعِيدٍ، فَضَحَّ رُوَيْدًا، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعَرِضْتَ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادَى الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَبِتَمَنَّى الْمُضَيِّعِ فِيهِ الرَّجْعَةَ «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ».

### الشرح والتفسير: لا تسامح فى بيت المال حتى مع أولادى

فى هذا المقطع من الرسالة يواصل الإمام عليه السلام توبيخه وإعتراضه الشديد لعامله ويقول:

«أَيُّهَا الْمَعْدُودُ- كَانَ- عِنْدَنَا مِنْ أَوْلَى الْأَبَابِ، كَيْفَ تُسَيِّعُ [١٥٩] شَرَابًا وَطَعَامًا.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٦

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا، وَتَشْرَبُ حَرَامًا، وَتَتَبَّاعُ الْإِمَاءَ وَتَتَكَبَّرُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ

أَفَاءَ] [١٦٠] اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ،  
وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادًا».

والتعبير بـ «كان» ناظر إلى الماضي إلى أنك كنت عندنا في السابق من العقلاء وأهل الحزم والحنكة، ولكنك بهذا العمل الذى صدر منك، فقدت ذلك الموقع ولم تعد كما كنت فى السابق.

جمله

«كَيْفَ تُسَيِّغُ ..»

إشارة إلى أن جميع حياتك ومعيشتك ستختلط بالحرام وسيكون ماكلك ومشربك من مال المقتصد من بيت المال، فلا يجوز لك تناول شىء من هذا المأكل والمشرب، وهكذا فى الجوارى التى تشتريها بهذا المال الحرام أو الزوجات التى تدفع لهن المهر من هذا المال الحرام كل ذلك يتسبب فى أن تكون حياتك العائليّة ومعيشتك ملوثة بالحرام.

جمله

«مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ...»

إشارة إلى أنه إذا كانت هذه الأموال متعلقه بأشخاص أثرياء فإنّ قبح هذا العمل وغضب هذه الأموال كان أقلّ شناعه، وأما إذا كان الغضب من متعلقاً بأموال اليتامى والمحرومين والمجاهدين فى سبيل لله فسيكون أقبح وأشنع بمراتب عديدة.

ثم إن الإمام عليه السلام بعد هذا التوبيخ المطول يستنتج من ذلك:

«فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْذُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ».

ثم يتحرك الإمام عليه السلام فى خطابه لهذا الوالى بلغه التهديد الشديد، ويقول:

«فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعَذِّبَنَّ [١٦١] إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ!».

وهذه إشارة إلى أنني لا أسل سيفى إلأى سبيل الله وفى مقابل أعدائه من قوى

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٧

الظلم والكفر والانحراف، وأيما شخص ضربته بسيفى هذا فإنّ مصيره الحتمى سيكون إلى النار وبئس المصير.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال، ولماذا يستحق الشخص المختلس لشىء من بيت المال للإعدام، فى حين أن الوارد فى الحدود الإسلامية أن مثل هذا السارق لا يستحق إلا الإجراء حدّ السرقة عليه، مضافاً إلى أن إجراء حدّ السرقة على هذا المورد بعيد أيضاً، لأنّ من شروط حدّ السرقة أن تقع السرقة من حرز، يعنى أن يكون السارق قد سرق المال من حرز أو خزانه مقفولة، ويقوم السارق بكسر هذا القفل ويسرق ما فيه وحينئذٍ يترتب عليه حدّ السرقة، ونعلم أن الوالى مسلط على بيت المال وليس المال فيه مقفل وفى حرز. وفى مقام الجواب عنه هذا السؤال يمكن القول، أولاً: أن مثل هذه السرقة مقترنة مع إنكار الحرمة، وبعبارة أخرى أن هذا المختلس كان يرى حليه مثل العمل وهذا بدوره نوع من إنكار الضرورى من الدين.

وثانياً: إن الإمام عليه السلام قال:

«وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَمَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ [١٦٢]، وَلَا ظَفِرًا مَنِيَّ بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأَزِيحَ [١٦٣]

الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا».

وبديهى أن مراد الإمام عليه السلام لا يعنى أبداً أن يقوم الإمام الحسن والحسين عليهما بغيص أموال بيت المال، بل المراد بيان المبالغة فى هذا المطلب وأنه لا أحد مصون عن العقاب فى حال تخلفه عن الحق والعدالة.



وبيان آخر أنه يستفاد من القضية الشرطية التي تبتدىء بكلمة «لو» وأمثالها لا يعنى احتمال وقوع الشرط، لأن مثل هذه التعبيرات ربما تقال لتأكيد المطلب حتى في الأمور المستحيلة، كما ورد في الآية الشريفة: «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدَّ فَاْنَا أَوْلُ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٨

العابدين» [١٦٤] وهذا التعبير يدل على تأكيد النفي لمقولة الجهلاء من أهل الكتاب الذين ينسبون الولد لله تعالى.

ويبين الإمام عليه السلام في هذا المقطع من كتابه من موقع التأكيد على أن المسائل العاطفية لا ينبغي أبداً أن تتدخل في الأحكام الإلهية ولا ينبغي أن يكون التعامل وفقاً للروابط على حساب الضوابط، كما ورد في القرآن الكريم في مسألة إجراء الحد الشرعي: «وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ» [١٦٥]، وفي مورد إجراء الحقوق يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» [١٦٦].

ثم يدخل الإمام عليه السلام من طريق آخر لا يقاظ هذا الوالى العاصى من غفلته ويتحدث معه بلهجة الواثق وبلغه مؤثره ويقول: «وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يُسْرُنِي أَنْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي، أَتُرْكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي».

وهذه إشارة إلى أن الأموال الكثيرة حتى لو كانت حلالاً وقد اكتسبها الإنسان بطرق مشروعة لا- توصل الإنسان إلى مرفأ السعادة والراحة، فكيف بها إذا كان قد استولى عليها بطريق حرام، لأنه لا سبيل له في إنفاقها سوى أن يتركها ميراثاً لمن بعده، فيكون وزره ووباله عليه ولذته ونعيمه للآخرين، فهل من العقل أن يقدم الإنسان على مثل هذا العمل؟! فكيف الحال لو كان قد جمع هذا المال من طرق حرام وغير مشروعة فيما يترتب على ذلك من مصائب ووبال على صاحبه.

وفي هذا السياق ورد في كتاب الكافي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه كان يدعو بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ وَمَنْ أَحَبَّ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ الْعَصَافَ وَالْكَفَافَ وَارْزُقْ مَنْ أَبْغَضَ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ الْمَمَالِ وَالْوَالِدَ» [١٦٧].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٩٩

وفي ختام هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى نهاية الحياة والحوادث التي سيواجهها الإنسان بعد مماته لغرض إيقاظ وجدان هذا الوالى وتحريك عناصر الخير في نفسه ويبين له الخطر الكامن في هذا الطريق الذى سلكه، يقول:

«فَصَّحَّ [١٦٨]

رُؤَيْدًا، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى [١٦٩]، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى [١٧٠]، وَعُرِضْتَ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ

بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ (وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) [١٧١].

وهنا نرى أن الإمام عليه السلام أمير المؤمنين هو ذلك المعلم اليقظ والقائد الفذ يسعى لتنبه مخاطبه بهذه العبارات الشديدة، ويلفت نظره إلى ما سيواجهه في ساعات الموت ومن ثمة الدفن تحت التراب والحضور في ساحة المحشر للحساب في محكمة العدل الإلهي وما سيعيشه من حالات الندم الشديد وتمنيه العودة للدينا ولكن بعد فوات الأوان كما تشير إلى ذلك الآية الشريفة: «وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ» [١٧٢].

تأمل

من هو ابن عباس؟

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٠

لا شك أن ابن عباس معروفاً في الأمة الإسلامية ولدى المذاهب المختلفة من الشيعة وأهل السنة، معروفاً في العلم والمعرفة والفضل



حتى أنه لُقّب ألقاب مثل «حبر الأئمة» و «ترجمان القرآن» وقد أورد المؤرخون في سيرته أنه كان قد حضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في ريعان شبابه وقد سمع من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الكثير من الأحاديث الهامة والمذكورة في الكتب المعتمدة، وكان ابن عباس مشهوراً بتفسير القرآن ومن أصحاب الرأي والنظر وكان التلميذ المخلص للإمام علي عليه السلام والمحِبُّ له.

ومن هذه الجهة عندما يصل العلماء وشراح نهج البلاغة إلى هذه الرسالة يترددون في كون المخاطب لها هو ابن عباس، فهذه الرسالة تتضمن أشد أنواع التوبيخ والذم من الإمام علي عليه السلام لمخاطبه وأنه يتهمه بالخيانة في بيت المال والاستيلاء على مبالغ كبيرة من هذا المال ونقله من البصرة إلى الحجاز.

وبخاصة إذا أخذنا بنظر الحسبان الجواب الحاد والجريء الذي كتبه ابن عباس في جوابه عن هذه الرسالة وقد ورد في كتب التاريخ، فإن المسألة ستعقد أكثر.

ومن هذه الجهة انقسم المؤرخون الذين أوردوا هذه الرسالة في كتبهم إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى تقول: إن ابن عباس وإن كان يتمتع بمقام جليل ويعتبر من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المرموقين وقد أدرك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في شبابه وصباه، إلا أن ذلك لا يعني أنه معصوم من الخطأ وأنه من البعيد صدور مثل هذا الزيف في حقه، وطبقاً للمثل المشهور: «الجواد قد يخبو» فإن غير المعصوم ربما يزل مثل هذه الزلّة مهما كان يملك من مقام ووجاهة. وطائفة أخرى يعتقدون أن المخاطب لهذه الرسالة هو أخو ابن عباس، أي عبيد الله بن عباس أو شخص آخر، ويستشهدون لذلك بعدة شواهد وقرائن تاريخية تؤكد أن ابن عباس لم يقم بهذا العمل أبداً.

وهناك طائفة ثالثة لم تستطع أن تتخذ لها موقفاً في هذه المسألة مثل ابن أبي الحديد، الذي مرّ عليها مرور الكرام وتركها في إبهامها ولم يكشف اللثام عن

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠١

غموضها، حيث قال: «قد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب، فإنّ أنا كذّبت النقل وقلّتُ:

هذا الكلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، خالفت الرواة، فإنهم قد أطبقوا على روايته هذا الكلام عنه، وقد ذكر في أكثر كتب السيرة: إن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته إطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام، والكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبنو عمه، فأنا في هذا الموضوع من المتوفقين» [١٧٣].

ولكن الطائفة الأولى لم تقبل بهذا الكلام وذهبوا إلى أن المخاطب لهذه الرسالة للإمام عليه السلام هو ابن عباس مع حفظ جلاله قدره ومقامه.

ومن جملة هؤلاء «ابن ميشم» يقول في شرحه لنهج البلاغة: «وإعلم أنّ هذين القولين لا مستند لهما، أمّا الأوّل: فهو مجرد استبعاد أن يفعل ابن عباس ما نسب إليه، ومعلوم أنّ ابن عباس لم يكن معصوماً وعلى عليه السلام لم يكن يراقب في الحقّ أحداً ولو كان أعزّ أولاده كما تمثّل بالحسن والحسين عليهما السلام في ذلك، فكيف بابن عمه، بل يجب أن تكون الغلظة في الأقرباء في هذا الأمر أشدّ.

ثم إن غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقتة إياه، لأنه عليه السلام كان إذا فعل أحد من أصحابه ما يستحق به المؤاخذه أخذه به سواء كان عزيزاً أو ذليلاً قريباً منه أو بعيداً، فإذا استوفى حقّ الله منه أو تاب إليه ممّا فعل عاد في حقّه إلى ما كان عليه كما قال: «القوى عندي ذليل حتى أخذ الحقّ منه والدليل عندي عزيز حتى أخذ الحقّ له»، فلا يلزم إذن غلظته على ابن عباس ومقابلته إياه بما يكره مفارقة له وشقاؤه على ما بينهما من المحبّة الوكيدة والقراءة.

وأما الثاني: فإنَّ عبيدالله كان عاملاً له عليه السلام في اليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك» [١٧٤].

أما من ذهب إلى القول الثاني فإنه يرى أنَّ عظمة مقام ابن عباس لا ينسجم أبداً

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٢

مع مضمون هذه الرسالة لأنَّه «حبر الامية» وبحر عميق من العلم والفضل وكان من أتباع وأنصار الإمام على عليه السلام ومتفانياً في خدمته والدفاع عنه في أيام المحنة التي لم يكن للإمام عليه السلام من أنصار إلا بعدد أصابع اليد، وحتى في معركة صفين عندما طرحت مسألة التحكيم نرى أنَّ الإمام عليه السلام اختاره لأمر التحكيم في مقابل رجل داهية وشيطان وهو عمرو بن العاص (رغم أنَّ جماعة من الجهلة والسفهاء اعترضوا على هذا الاقتراح ورشحوا إلى ذلك المنصب رجل سفيه مثلهم وهو أبو موسى الأشعري وأصروا على الإمام عليه السلام في قبوله) أجل فإنَّ دلالة قدر ابن عباس ومقام الشامخ لا تتناسب ولا تنسجم مع إرتكابه لمثل هذه الأعمال. ولكن هؤلاء لم يبينوا على وجه التحديد من هو المخاطب لهذه الرسالة، أضف إلى ذلك فهناك قرائن وشواهد أخرى تنفي أن يكون المخاطب لهذه الرسالة هو ابن عباس، ومن ذلك أنَّهم ذكروا:

١. جاء في الأمالي للسيد المرتضى أنَّ عمرو بن عبيد جاء إلى سليمان العباسي فسأله سليمان: هل سمعت بشعر الإمام على عليه السلام قال في ابن عباس: إنَّه يفتنا في كلِّ أمر ولكنَّه يأخذ أموالنا في ليلة واحدة؟

فأجابه عمرو: لا يمكن أن يقول الإمام على عليه السلام مثل هذا الكلام عن ابن عباس وأنَّ ابن عباس لم يترك الإمام على عليه السلام أبداً وكان حاضراً معه وإلى جواره إلى ساعة استشهاده، بل كان حاضراً أيضاً في واقعه صلح الإمام الحسن عليه السلام.

٢. وأضاف عمرو بن عبيد: كيف يعقل أن تجتمع كلُّ تلك الأموال الكثيرة في بيت مال البصرة مع أنَّ الإمام على عليه السلام كان بحاجة ماسة إلى المال وكان يوزع ما يتجمع في بيت المال على المحتاجين والفقراء في كلِّ اسبوع حتى يفرغ كله ويأمر بكنس بيت المال كلَّ يوم سبت، فمع هذه الحالة كيف يمكن لابن عباس أن يجمع كلَّ هذه الأموال في بيت مال البصرة؟ فمع الأخذ بنظر الاعتبار حاجة الناس إلى المال فإنَّ ابن عباس كان قد نقل هذا المال إلى الكوفة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٣

٣. يروى الطبري في تاريخه في حوادث سنة أربعين عن أبي عبيد أنَّ ابن عباس كان والياً على البصرة إلى زمان استشهاد الإمام على عليه السلام ثمَّ جاء إلى الكوفة واشترك في مراسم صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية ثمَّ عاد إلى الكوفة وجمع متعلقاته وأخذ معه قليلاً مبلغاً زهيداً من بيت المال وقال: أخذ هذا المبلغ من بيت المال بوصفه حقاً لي وكراتب أخذه من بيت المال (ثمَّ توجه إلى الحجاز).

٤. يروى المرحوم المحقق التستري في شرحه لنهج البلاغة أنَّ ابن عباس كان في البصرة عند استشهاد الإمام على عليه السلام جاء إلى الكوفة من فوره عندما سمع الخبر والتحق بالإمام الحسن عليه السلام، ولما قام الإمام الحسن بالقاء خطبة في صبيحة اليوم الذي استشهد فيه أبوه، قام ابن عباس بأخذ البيعة من أهل الكوفة للإمام الحسن عليه السلام واستجاب الناس له [١٧٥].

٥. على فرض أنَّ هذه القصيدة تتعلق بابن عباس، ولكن ورد في بعض الروايات أولاً، أنَّ الأموال المختلصة كانت قليلة، وثانياً: أنَّ الإمام عليه السلام عندما أرسل له هذه الرسالة قام ابن عباس بإعادة المال فوراً واعتذر من الإمام على ما صدر منه وقبل الإمام إعتذاره، كما يظهر يروى المرحوم التستري عن يعقوب بن أنس بن عباس تصرف بمقدار من بيت المال، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام برده فردّه، ثمَّ ينقل مثل هذا المعنى عن سبط ابن الحوزي الذي يقوله في نهايته: ثمَّ ندم واعتذر إلى على عليه السلام وقبل الإمام عليه السلام عذره [١٧٦].

\*\*\*

النتيجة: مع وجود اختلاف في الروايات في شأن هذه القصيدة وأحياناً تكون الروايات متناقضة، فكيف يمكن التصديق بأنَّ رجلاً مهماً

وشخصيته مرموقه كابن عباس وهو حير الامة والعالم والفقهاء والمعروف يرتكب مثل هذا العمل بهذه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٤

الضخامة التي ينسبها إليه المخالفون.

ألا يحتمل أن عمال بني امية وأزلام معاوية الذين وضعوا الأحاديث الكثيرة في مقابل حفته من المال لتأييد حكومه بني امية أو لدم مخالفيتهم، حتى أنهم نسبوا إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أحاديث موضوعه على لسان ابن عباس وبخاصة ما ورد في الروايات أن معاوية كان يلعن بعد الصلاة كل من: الإمام على والحسن والحسين عليهم السلام وابن عباس ومالك الأشتر وقيس بن عباد (رحمهم الله تعالى) [١٧٧].

يقول مؤلف كتاب معجم رجال الحديث بعد نقله لهذه الأقوال: ومن مجموع ما قيل عن ابن عباس يستفاد أنه كان رجلاً جليل القدر ومدافعاً عن أمير المؤمنين والإمام الحسن والحسين عليهم السلام كما ذكر العلامة الحلي وابن داود في كتبهما الرجالية، وينقل المحدث القمي عن الشهيد الثاني بعد ذكر بعض الأحاديث الواردة في ذم ابن عباس قوله: إن جميع هذه الأحاديث ضعيفة.

وذكر المرحوم صاحب المعالم في كتابه «تحقيق طاووسى»- بعد ذكره لمحبه وإخلاص ابن عباس لأمر المؤمنين عليه السلام ونصرتة له ودفاعه عنه، الذي لا يقبل الشك أو التردد فيه: ليس من المستبعد أن يقوم بعض الأشخاص بحسد ابن عباس وينسبوا له هذه الأقاويل الباطلة.

ومن هنا فإن أغلب علماء الرجال من الشيعة وأهل السنة يذهبون إلى صحة واعتبار الأحاديث التي يرويها ابن عباس ولا يعتنون بمثل هذه الشبهات عنه، وعلى ضوء ذلك لابد من القول إن المخاطب لهذه الرسالة شخص آخر غير ابن عباس، رغم أننا لا نكاد نعرفه بشكل دقيق، أمّا التعبير الوارد في هذه الرسالة عن المخاطب ابن عمه فحاله حال ما يقال في الكلام للمخاطب بأنه أخ وأمثال ذلك فهو كناية عن شدة العلاقة والرفقة، ومن هذه الجهة لم يورد السيد الرضى اسم ابن عباس، مع أن في الكثير من الموارد الأخرى يذكر المخاطبين لكتب الإمام عليه السلام، واكتفى في هذا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٥

المورد بعبارة: إلى بعض عماله.

ونختم الكلام هنا بحديث ينقله المرحوم العلامة المجلسي في بحار الأنوار في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام وجاء في هذه الرواية عن رجل من أهل الطائف قال: أتينا ابن عباس رحمه الله عليهما نعوذ في مرضه الذي مات فيه، قال: فاغمي عليه في البيت، فاخرج إلى صحن الدار، قال، فأفاق فقال: إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنني سأهجر هجرتين، وإنني سأخرج من هجرتي، فهاجرت هجرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهجرة مع علي عليه السلام، وإنني سأعمى فعميت، وإنني سأغرق فأصابني حكة فطرحتني أهلى في البحر فغفلوا عني فغرقت، ثم استخرجوني بعد، وأمرني أن أبرأ من خمسة: من الناكثين وهم أصحاب الجمل، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام، ومن الخوارج هم أهل النهروان، ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم، فقالوا: لا قدر، ومن المرجئة الذين ضاهوا اليهود في دينهم فقالوا: الله أعلم، قال: ثم قال:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْيِي عَلَى مَا حَيَّ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمُوتُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ»

قال: ثم مات [١٧٨].

والجدير بالذكر أن قبر ابن عباس موجود في الطائف وإلى جانبه مسجد فخم اطلق عليه اسمه.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٧

## إشارة

إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل نومان بن عجلان الزرقى مكانه [١٧٩]

## نظرة عامة للرسالة

يخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الرسالة عامله على البحرين عمر بن أبي سلمة (ابن ام سلمة زوجة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله)، وفيها يثنى الإمام عليه السلام على خدماته وحسن سيرته ويدعوه للمشاركة في قاتل المناوئين في صفين، وقد عين الإمام بدله النعمان بن عجلان وهو من زعماء قبيلة بني عجلان.

ومن أجل أن لا يتكدر خاطر ابن أبي سلمة أو يستاء من هذا التبديل، فقد كتب له الإمام عليه السلام في هذه الرسالة عبارات الشكر والمدح وخاطبه بلغة مفعمة بالمحبة من قبيل:

«وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعُدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٨

ونستوحى من كلمات الإمام عليه السلام في هذه الرسالة النمط الأفضل في كيفية التعامل مع هذه المسائل وعزل بعض المسؤولين ونصب آخرين مكانهم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٠٩

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجَلَانَ الزُّرْقِيَّ عَلَى الْبُحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمِّ لَكَ، وَلَا تَثْرِيْبٍ عَلَيْكَ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوَلَايَةَ، وَأَدَيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعُدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

## الشرح والتفسير: أحسنت! لقد أدت الأمانة

## إشارة

ينطلق الإمام عليه السلام في مستهل هذه الرسالة بقوله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجَلَانَ، الزُّرْقِيَّ عَلَى الْبُحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ».

ولكن بما أن عمر بن أبي سلمة رجلاً طيباً ومخلصاً ومدبراً ومدبراً وربما يتأثر سلبياً بهذا التغيير في المنصب يخاطبه الإمام عليه السلام في ثمان جمل قصيرة وعميقة المعنى ويؤكد له أن مثل هذا التبديل في الوظيفة لا يعنى إطلاقاً صدور خطأ من جانبه وبذلك يرفع ما قد يخالجه من قلق في هذا الشأن.

يقول الإمام عليه السلام:

«بِلَا ذَمِّ لَكَ، وَلَا تَثْرِيْبٍ [١٨٠] عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوَلَايَةَ، وَأَدَيْتَ

الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ [١٨١]، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ [١٨٢]».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٠

ونرى أنّ الإمام عليه السلام في هذه التعبيرات يؤكّد له بشكل كامل أنّ هذا التغيير في المسؤولية ليس بسبب تقصيره في أدائه لوظيفته بل لأنّه يريد إلقاء مسؤوليته أهم على عاتقه.

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام لمضمون هذه المسؤولية الجديدة ويقول:

«فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ [١٨٣] بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعُدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.»

إنّ سيرة عمر بن أبي سلمة وسوابقه الجليلة ووفاءه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع حالات بيان ذلك في شرح حاله، وكلّها شاهد على هذا المعنى.

وجملته

«أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ ...»

لا تعنى الاستشهاد في سبيل الله مع الإمام عليه السلام، بل بمعنى حضوره مع الإمام في ميادين القتال والجهاد.

وجملته

«مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ ...»

، تبين أنّ عمر بن أبي سلمة رجلاً شجاعاً ومدبراً وحازماً ووفياً للإمام عليه السلام، وعبارة:

«جِهَادِ الْعُدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ»

تشير إلى أنّ عمر بن أبي سلمة يتمتع بمقام كبير ومكانة جليلة إلى درجة أنّ الإمام عليه السلام يستعين به لإقامة عمود الدين والتصدي لقوى الظلم والانحراف.

## تأمل

### التعرّف على عمر بن أبي سلمة المخزومي والنعمان بن عجلان؟

كما ورد في نص الرسالة أنّ عمر بن أبي سلمة كان والياً على البحرين من قبل أمير المؤمنين عليه السلام قبل النعمان بن عجلان الذي جعله الإمام والياً على البحرين بعده، ومن اللازم التعرف على هذين الرجلين بشيء من الاختصار.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١١

أمّا عمر بن أبي سلمة فأتمه أمّ سلمة زوجة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المعروفة، وقد ولدت من زوجها السابق هذا الابن، وأبوه أبو سلمة، وقد ولد هذا الابن في السنة الثانية من الهجرة إلى الحبشة، لأنّ أباه كان من المهاجرين إلى الحبشة وقد توفي بعد عمر طويل نسيباً في عام ٨٣ هـ للهجرة في عهد خلافة عبد الملك بن مروان، وقد روى بعض الأحاديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله [١٨٤].

وقد كان عمر بن أبي سلمة مع الإمام على عليه السلام في معركة جمل وكانت أمّه تحته على نصره الإمام على، وقد كتبت للإمام رسالة ودفعتها إلى ابنها يوصلها إلى الإمام عليه السلام: وجاء في مضمونها لو أنّ الجهاد كتب على النساء لجنّت لأقاتل معك الأعداء، ولكنني أرسلت ابني هذا بدلاً منّي.

ثمّ إنّ أمير المؤمنين على عليه السلام عينه والياً على البحرين وبلاد فارس في أيام خلافته، ويكفيه فخراً أنّه قد تربى في أحضان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسار في خط الولاية وفي نصره الإمام على عليه السلام [١٨٥].

وجاء في بعض الروايات أنّ عمر بن أبي سلمة كان من الأشخاص الذين نقلوا الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

فيما يتصل بإمامة الاثنى عشر [١٨٦].

أما النعمان بن عجلان فكان من صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومن كبار الأنصار وكان شاعراً وخطيباً بارعاً، ومن جملة ما أنشده في يوم السقيفة بعد أن أثنى على مواقف الأنصار في مواطن مختلفة ونصرتهم للإسلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ذكر في قصيدته بيتين من الشعر في الدفاع عن الإمام علي ونصرته:

وَكَانَ هَوَانًا فِي عَلِيٍّ وَإِنَّهُ لَأَهْلٌ لَهَا مِنْ حَيْثُ تَدْرِي وَلَا تَدْرِي  
وَصَيُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَقَاتِلُ فُرْسَانَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٢

وبسبب هذه السوابق الجليلة عينه الإمام علي عليه السلام على حكومة البحرين بعد عمر بن أبي سلمة ووضع بيده بيت المال، ولكن للأسف أن الأموال الكثيرة تدفع بالإنسان نحو منزلقات الخطيئة والمفسدة، قام هذا الوالي باعطاء مبلغ كبير من بيت المال لكل فرد من أفراد قومه وقبيلته يأتيه إلى البحرين فلما وصل خبر ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، كتب له كتاباً توبيخياً وطلب منه أن يرفع إليه حساب بيت المال، ولكن بما أن النعمان لم يتمكن من حساب الأموال بشكل صحيح ودقيق، فقد أخذ ما تبقى من بيت المال وهرب إلى الشام والتحق بمعاوية [١٨٧].

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٣

## الرسالة ٤٣

### إشارة

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله  
على أزدشير خرة [١٨٨]

### نظرة عامة للرسالة

هذه الرسالة تشبه ما ورد في الكتاب ٤١، وخلاصتها أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى وال آخر يدعى مصقلة بن هبيرة الشيباني رسالة توبيخية وشديدة اللهجة، لأن الخبر وصل إلى الإمام عن أن مصقلة يتلاعب في بيت المال ويهب منه إلى أفراد قبيلته بدون حساب وكتاب، فالإمام عليه السلام يلومه بشدة على هذا العمل، وينصحه أن لا يبيع آخرته بدنياه، ولا دينه بالدينار، ولكن الإمام لا يتهمه بشكل قطعي في هذه الرسالة، بل يقول: إذا كان ما بلغني عنك صحيحاً فأنت قد ارتكبت خطأ كبيراً واسخطت إلهك.

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٥

بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ: أَنْتَكَ تَقْسِمُ فَيءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَا حُهُمْ وَخِيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فَيَمَنِ اعْتِمَاكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسِيمَةَ، لِيُنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَانًا، وَلَتَخَفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا، فَلَا تَسْتَهِنَنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُضْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمِهِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ: يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصُدُّوْنَ عَنْهُ.

### الشرح والتفسير: جميع المسلمين سواسية في بيت المال

## إشارة

يستفاد من عنوان هذه الرسالة وكذلك ما ورد في الخطبة ٤٤ من هذا الكتاب، أن مصقلة بن هبيرة الشيباني كان أحد عمال الإمام عليه السلام وكان والياً على قسم مهم بلاد فارس يسمى «اردشير خرة» ويشمل عدة مدن وقرى، وكما يقول ابن أبي الحديد كان مصقلة من أحفاد نزار بن معد بن عدنان [١٨٩].

وكانت لمصقلة بن هبيرة قصبة فيما يتصل بأسرى بني ناجية وقد وردت تفاصيلها في الخطبة ٤٤ إذ أن بني ناجية كانوا من النصارى الذين أسلموا بعد الفتح وبقية جماعة منهم على نصرانيتهم أو أنهم ارتدوا على الإسلام، وبعد هزيمة أصحاب الجمل في البصرة بايع الناس في تلك المنطقة لأمير المؤمنين عليه السلام سوى بني نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٦

ناجية الذين جهزوا جيشاً لمقاتلة الإمام، فأرسل لهم أمير المؤمنين، معقل بن قيس وهزمهم وأسر جماعة منهم، وعندما حملوا الأسرى إلى الكوفة وصلوا في طريقهم إلى منطقة «اردشير خرة» وكان فيها مصقلة والياً عليها من قبل الإمام عليه السلام، فاشتراهم مصقلة من معقل وكان عددهم خمسمائة نفر ودفع في مقابل ذلك غرامة تساوي خمسمائة ألف درهم وأطلق سراحهم ثم دفع هذا المبلغ من أموال بيت المال على أساس أنه قرض يقترضه من بيت المال ويسدده بعد ذلك ولكن مصقلة أخذ يسوف في تسديد الدين، ثم إنه جاء بعد مدة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة ودفع له مبلغاً من المال وهو يتوقع أن يعفو الإمام عن الباقي ولكن الإمام لم يقبل بذلك، لأنه ربما تكون موافقته وتنازله عن الحق المذكور بدعه بحيث يتداعى إلى الأذهان ما كان يفعله عثمان بصرفه في بيت المال، وبما أن مصقلة كان يخشى من عدالة الإمام ومطالبته ببقية المال رجع الهرب إلى الشام والالتحاق بمعاوية.

ومهما يكن من أمر فإن الرسالة مورد البحث تشير أيضاً أن مصقلة كان من أتباع مدرسه عثمان بن عفان وكان يوزع أموال بيت المال على أقربائه وأرحامه قبل حادثة أسرى بني ناجية، وعندما وصل خبره إلى الإمام عليه السلام كتب له الإمام الرسالة مورد البحث.

وتشير هذه الرسالة إلى ثلاثة نقاط في غاية الأهمية الأولى أنه يقول:

«بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَشْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ».

وهذه العبارة التي ذكرها الإمام عليه السلام بشكل مقتضب تشير إلى أن الإمام كان قد سمع خبراً عن مصقلة لم يجزم بصحته وأنه اتخذ جانب الاحتياط لثلاثتهم شخصاً بريئاً.

ثم إن الإمام عليه السلام يبين بشكل واضح ومفصل الخبر المذكور ويقول:

«أَنَّكَ تَقْسِمُ فِيَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَارَتْهُ رِمَاحُهُمْ، وَخِيَلُهُمْ وَأَرِيَقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنْ اعْتَمَاكَ [١٩٠]

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٧

مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ».

ومعلوم أن مصقلة إذا كان قد ارتكب مثل هذا العمل فإنه يكون قد اقتصرت عملاً شنيعاً، لأنه أنفق المال الذي يعتبر حصيلة دماء المجاهدين والشهداء من أجل تقوية مكانته الاجتماعية في قومه.

ويتابع الإمام عليه السلام خطاب لمصقلة في القسم الثاني من هذه الرسالة ويقول:

«فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ [١٩١]، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَانًا، وَلَتَخْفَنَ

عِنْدِي مِيزَانًا».

وهكذا نرى أن الإمام عليه السلام في هذه العبارات يتخذ مرة أخرى جانب الاحتياط في الحكم على المتهم فربما وقع بعض الخطأ والاشتباه في نقل المخبرين وبالتالي ستعرض سمعة رجل مؤمن إلى الاهتزاز والهتك، ويقول الإمام: إنه إذا كان هذا الخبر صحيحاً فستسقط من عيني ويخف ميزانك عندي.



ونلاحظ أنّ الإمام عليه السلام في هذا المورد لا يهدده بعقوبة قاسية ولكنه يخاطبه بآلية التوبيخ المعنوية التي تعدّ أقسى وأشد من العقوبة الظاهرية.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه لمصقله ويتحدّث معه بلغة النصيحة الصريحة والعميقة المغزى ويقول:  
«فَلَا تَسْتَهِنَنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ ١٩٢] دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ  
الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا».

وبديهى أنّ أى إنسان عاقل ومؤمن لا ينبغي أن يرجح حقّ أقربائه على حقّ الله تعالى، ويهتم لمصالحهم على حساب طاعة الله، فلا ينبغي لأى إنسان عاقل أن يستبدل رأس مال دينه الذى يقوده إلى الجنّة ويعتبر سبب نجاته فى الآخرة، بمتاع  
نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٨

الدنيا والزائل والرخيص، وعبارة: «  
الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا»

«إشارة إلى أنّ الإنسان يبيع أتمن ما لديه من بضاعة ومتاع بأزهد وأرخص ثمن.

وبما أنّ مصقله ربّما كان يظن أنّ عطاءه لأقربائه من بيت المال يدخل تحت عنوان صلة الرحم وأنه بعمله هذا يتحرك فى خط  
الفضيلة والإحسان، نرى أنّ الإمام عليه السلام تحدّث عن ذلك بعبارة:  
«الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا»

، ولعله إشارة إلى مورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ  
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» [١٩٣].

ثمّ يشير الإمام عليه السلام فى ختام هذه الرسالة إلى نقطة مهمّة من تعاليم الإسلام وأحكامه فيما يتصل بحقوق المسلمين فى بيت  
المال ويقول:

«أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ: يَرُدُّونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ»  
وجملة «

يَرُدُّونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ»

نظر إلى أنّ كلمة «ورود» و «صدور» ترتبط فى الأصل بورود العطشى إلى شريعة المال ثمّ حملهم الماء ثمّ عودتهم إلى مكانهم،  
فالإمام عليه السلام يشير هنا إلى هذه النقطة، وهى أنّ بيت المال كالنهر كبير الذى أجراه الله تعالى للمسلمين وهم فيه سواء، وكل  
شخص يرد هذا النهر من هذا الطريق يروى ظمأه وينتفع منه ثمّ يخرج منه.

وعبارة «

عِنْدِي

«لا- تعنى أنّه ينبغي حمل جميع أموال بيت المال إلى الإمام عليه السلام أنّ الواجب على المسلمين أن يتوجهوا من المناطق القريبة  
والبعيدة إلى مركز الحكومة وإلى الإمام لدفع ما عليهم من حقوق الشرعية ثمّ العودة إلى مناطقهم، المراد أنّ هذا العمل يجب أن  
يكون طبق البرنامج الذى احده لك وتحت إشراف، لا أن يقوم عمّالى ووكلائى بتقسيم بيت المال وفق ما يرونه وبوحى ميولهم  
ورغباتهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١١٩

وعلى أيّة حال فهذه الجملة تشير إلى أنّ بيت المال يجب أن يقسم بين المسلمين بصورة متساوية كما كان الحال فى عصر النّبى  
الأكرم صلى الله عليه وآله ولا يكون مثلما كان فى عهد الخليفة الثانى الذى كان يرجح العرب على العجم، الأشراف والصحابة على



الآخرين، أو مثل عصر عثمان الذي كان يقسم بيت المال بين أقربائه وأرحامه من بنى امية بتميز سافر بين المسلمين والإشكال الذي وقع فيه مصقله هو أنه كان متأثراً بثقافة عصر عثمان حيث كان يرى امتيازاً خاصاً على سائر المسلمين.

ومما يجدر ذكره أن أموال بيت المال في هذا المورد لا تختص بالزكاة وأمثالها التي ترتبط بالأصناف الثمانية من المستحقين كما ورد في الفقه، بل يقصد بها أموال الخراج على الأراضي المفتوحة في ذلك اليوم، حيث كان الولاية يضعون الضرائب والخراج على جميع الأراضي المذكورة بنسبة عادلة وكان جميع المسلمين في ذلك سواء، لأن هذه الأراضي قد فتحت عنوة بأيد المجاهدين ولا فرق في هذا الأمر بين الغنى والفقير والعرب والعجم، خلافاً لأموال الزكاة التي تختص بالفقراء والمساكين وباقي الطوائف المستحقين لها، وبما أن غالبية الأموال التي تجتمع في بيت المال من أموال الخراج، ولذلك يطلق عليها عبارة أموال بيت المال.

ومعلوم أن المناطق والأراضي في البلاد الإسلامية تختلف في ميزان الخراج والضرائب المترتبة عليها، ففي بعض المناطق حيث تكون الأراضي زراعية وبساتين كثيرة المحصول، فالخراج عليها يكون كثيراً، وفي بعض المناطق أقل من ذلك حيث يصرف خراج مثل هذه المناطق على أهلها ولا يستحق نقلها مركز الخلافة.

ومن هذه الجهة يقول الإمام عليه السلام: على فرض أنك وزعت خراج تلك المنطقة على جميع الناس، فمع ذلك كان عملك هذا مجاناً للصواب، لأن هذا الخراج يتعلق بجميع المسلمين، سواء من كان في منطقتك أم في منطقتنا، فجميع المسلمين ينبغي أن ينتفعوا ويستفيدوا من هذا المال بصورة عادلة ومتساوية.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٠

## تأمل

### جواب مصقلة للإمام عليه السلام

ورد في بعض الروايات أن مصقله بعد أن استلم رسالة الإمام عليه السلام إليه كتب له رسالة جوابية يرى فيها نفسه، يقول في رسالته للإمام:

«أما بعد، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل إن كان حقاً فليعمل على عزلي بعد نكالي، فكل مملوك لي حرّ، وعلّي أيام ربيعة ومضر، إن كنت رزئت من عملي ديناراً، ولا- درهماً، ولا- غيرها، منذ وُلّيته إلى أن ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين، ولتعلمنّ أن العزل أهون عليّ من التهمة، فلما قرأ- الإمام عليه السلام- كتابه قال: ما أظنّ أبا الفضل إلّاصادقاً» [١٩٤]، (يعني أن المخبرين قد أخطأوا في إخبارهم).

ولكن استفاد من بعض الروايات أن معاوية بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اختار مصقله أن يكون والياً على طبرستان (مازندران في هذا العصر) ولكن مصقله قتل قبل أن يصل إلى تلك المنطقة ولم يعد من سفره هذا أبداً، بحيث صار ذلك مضرب مثل بين الناس، فعندما لا يريد المرء القيام بعمل معين يقول: انتظر حتى يعود مصقله من طبرستان [١٩٥].

وقد كتابنا بحوث مفصلة عن مصقله ذيل الخطبة ٤٤.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢١

## الرسالة ٤٤

### إشارة

إلى زيادِ ابنِ أبيه وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ  
يُرِيدُ خَدِيعَتَهُ بِاشْتِلاحِهِ [١٩٦]

### نظرة عامة للرسالة

إنّ قصّة هذه الرسالة تبدأ من وصول خبر إلى الإمام على عليه السلام أنّ معاوية أرسل إلى زياد بن أبيه رسالة يدعى فيها أنّه أخوه الحقيقي، وعلى هذا الأساس ألحق معاوية زياد بن أبيه الولد غير المشروع بأبي سفيان، وأراد بهذه الطريقة أن يخدع زياد ويتمكن من جذبه إليه لتحقيق أهدافه وغاياته.

الإمام على عليه السلام في هذه الرسالة يحذّر زياد بن أبيه الذي كان في ذلك الزمان والياً على بلاد فارس من قبل الإمام، بأنّ هذه الخطة هي خطة شيطانية مدروسة من قبل معاوية فلا ينبغي أن تقع في حباله وتنخدع برسالته، فكل ابن يرتبط بعلاقة نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٢

البنوة بأبيه وامة في البيت الذي ولد فيه، وحتى النسبة غير المشروعة التي تقوم على أساس ادعاء شخص مثل أبي سفيان بأنّ زياد من نطفته لا تثبت حقيقة، وعندما وصلت الرسالة إلى زياد قبل كلام الإمام وهدأت نفسه، رغم أنّ زياد بعد استشهاد الإمام التحق بمعاوية بسبب هذه الخديعة مع إضافة بعض التهديد لزياد.

ولكن الاستفادة من كتب التاريخ أنّ ام زياد كانت جارية لطبيب معروف عند العرب يدعى «حارث بن كلدة» والتي تزوجت من عبد يدعى «عبيد» وحسب الظاهر كان زياد نتيجة ذلك الزواج، ولذلك يقال له: زياد بن عبيد، ولكن بما أنّ والده كان عبداً وولداً غير معروف فرجح بعضهم أن يقال عن زياد «زياد بن أبيه» والظاهر أنّ زياد نفسه لم يكن يابى هذا الاسم، ولكنّه بعد إحققه معاوية بأبي سفيان ادعى أنّه أخوه كان يقال له: زياد بن أبي سفيان، والحقيقة أنّ كلّ الإنسان يستولى عليه العجب والحيرة من هذه الوقاحة بأنّ شخصاً يدعى لنفسه خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ومع ذلك يصرح بأنّه أخ لابن الزنا، والأمر الآخر المثير للعجب أنّ المحيط الاجتماعي في ذلك الوقت إلى درجة من التلوث والتشوه بحيث قبل زياد بن أبيه هذا الادعاء.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٣

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَرْ لُجْبِكَ، وَيَسْتَفِلُّ عَزْبَكَ، فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ: يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ عَقْلَتَهُ، وَيَسْتَلْبِ عِرَّتَهُ. وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سَفِيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَهُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزَعَهُ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ: لَأَيَّبْتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ، وَالنُّوْطِ الْمُدْبَذِّ.  
فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابَ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ.

قال الرضى، قوله عليه السلام: «الواغل» هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم، وليس منهم، فلا يزال مدفعاً محاجزاً. و «النوط المذبذب»: هو ما يئاط برجل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حث ظهره واشتعلل سيره.

### الشرح والتفسير: احذر من اغوائهم!

#### إشارة

طبقاً لما ورد في كتاب تمام نهج البلاغة، أنّ الإمام عليه السلام في مستهل هذه الرسالة يخاطب زياد بن أبيه ويشوقه على الصبر

والاستقامة في مقابل الوسواس الشيطانية التي تنبعث هنا وهناك، ثم يقول:

«وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَرْزُلُ [١٩٧] لُبُّكَ [١٩٨]،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٤

وَيَسْتَرْزُلُ [١٩٩] غَرْبَكَ [٢٠٠]، فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ».

ويستفاد من هذه العبارات وعبارات أخرى وردت في الرسائل السابقة، أن جواسيس الإمام عليه السلام كانوا ينتشرون في جميع البلاد الإسلامية، حتى أنهم كانوا يصلون إليه الرسائل الخاصة التي تصل إلى ولاته من قبل الأعداء، ليستطيع الإمام التصدي للخطر في الوقت المناسب، ونرى أن الإمام عليه السلام في مطلع هذه الرسالة يحذر زياد بن أبيه من شيطنة معاوية وأن يتخذ جانب الحيلة والحذر من مكره ودسائسه.

ثم يضيف في توضيح ذلك:

«يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَفْتَحِمَ [٢٠١] غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ [٢٠٢] غِرَّتَهُ [٢٠٣]».

وهذا الكلام للإمام عليه السلام مقتبس من الآية الشريفة ١٧ من سورة الأعراف حيث تتحدث عن قول الشيطان: «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ».

والمقصود أن الشيطان يستخدم كل وسيلة لخداع الناس وإغوائهم، فأحياناً يستخدم آليته التطميع أو أخرى التهديد وثالثة الشهوات والأهواء والنوازع النفسانية، ورابعة عن طريق الآمال والتمنيات والمناصب والمقامات الموهومة والعناوين البراقة، والغاية من كل ذلك تنحصر بأمر واحد، ألا وهو إغواء الإنسان وسوقه في متاهات الضلالة والهلكة.

وقد استخدم شيطان الشام هذا الأسلوب أيضاً وسعى إلى خداع الناس كل بحسب طريقته الخاصة لجذبهم إليه والاستفادة منه في مسار تحقيق مطالبه وشهواته.

وينقل عن أحد العرفاء أنه قال: ما من صباح إلا أقعد لي الشيطان على أربعة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٥

مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، أما بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى [٢٠٤] وَأَمَّا خَلْفِي فَيُخَوِّفُنِي الضِّيْقَةَ عَلَى مَخْلَفِي فَأَقْرَأُ: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» [٢٠٥]، وَأَمَّا عَنْ قَبْلِ يَمِينِي فَيَأْتِينِي مِنْ جِهَةِ النَّوْءِ، فَأَقْرَأُ: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [٢٠٦]، وَأَمَّا مِنْ قَبْلِ شِمَالِي فَيَأْتِينِي مِنْ قَبْلِ الشَّهَوَاتِ فَأَقْرَأُ: «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» [٢٠٧]، [٢٠٨].

ووقد ورد في الروايات فيما يتصل بهذه الجهات الأربع للشيطان ما خلاصته: «ما روى عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ»

، معناه، اهْوَنَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ الْآخِرَةِ،

«وَمِنْ خَلْفِهِمْ»

، أَمْرُهُمْ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ، وَالْبُخْلَ بِهَا عَنِ الْحُقُوقِ لِيَبْقَى لَوْرَثِهِمْ،

«وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ»

أَفْسُدَ عَلَيْهِمْ أَمْرُ دِينِهِمْ بِتَرْبِيَةِ الضَّلَالَةِ، وَتَحْسِينِ الشُّبُهَةِ،

«وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ»

بِتَحْيِيْبِ اللَّذَاتِ إِلَيْهِمْ، وَتَغْلِيْبِ الشَّهَوَاتِ عَلَى قُلُوبِهِمْ... [٢٠٩].

أجل، فإن وسواس شياطين الجن والإنس تهجم على الإنسان من كل باب لإغواءه وإضلاله.

وهنا ربّما يطرح هذا السؤال وهو: لماذا لم تذكر النصوص جهةً فوق والتحت في مسألة إتيان الشيطان؟ ذهب بعضهم إلى أن ذلك بسبب أن جهة العلو هي جهة الرحم، لأنّ الرحمة الإلهية تنزل دائماً من هذه الجهة على الإنسان، وأما جهة التحت سبب الخوف والوحشة، فلو أن شخصاً خرج من باطن الأرض ودعا الإنسان إلى عمل معين وذلك من شأنه إخافة هذا الإنسان والاستيحاش منه.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٦

ويحتمل أن الشياطين يأتون إلى الناس بشكل طبيعي، ونعلم أنه لا أحد يأتي إلى شخص آخر من جهة فوق والتحت، بل يأتيه من إحدى جوانبه الأربعة.

نفحات الولاية؛ ج ١٠؛ ص ١٢٦

إنّ الإمام عليه السلام تعرض في سياق كلامه لادعاء معاوية في الحاق زياد بن أبيه به (بوصفه أخاه) واستدل على بطلان هذا الادعاء بدليل منطقي وقال:

«وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ [٢١٠] مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزَعَةٌ [٢١١] مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ: لَأَيُّبْتُ بِهَا نَسَبًا، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ».

وقول الإمام عليه السلام «فلتة» من قبل أبي سفيان إشارة إلى ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه نقلًا عن كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر قال: إن عمر بعث زياد في إصلاح فساد واقع في اليمن، ولما رجع من جهته خطب عند عمر خطبة لم يُسمع مثلها، وأبو سفيان حاضر، وعلى عليه السلام وعمرو بن العاص، فقال عمرو بن العاص: لله أبو هذا الغلام، لو كان قرشيًا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: إنه لقرشي، وإنني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه، فقال على عليه السلام: ومن هو؟ قال: أنا. فقال: مهلاً يا أباسفيان (أى اسكت)! وجاء في رواية أخرى أنه عليه السلام قال: اسكت يا أباسفيان فإذا سمعك عمر فإنه سيسارع في عقابك.

وجاء في رواية ثالثة أن عمرو بن العاص قال له: إذا كنت تعلم أن زياد ابنك، فهلا تستلحقه، قال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق عليّ إهابي [٢١٢].

ومن المعلوم أن أبا سفيان لا يستطيع إثبات أن نطفة زياد من عنده بسبب إرتكابه لعمل منكر مع ام زياد، بل اعتمد على الظن والتخمين، ولكنه تحدّث بلسان بكل صلافة ووقاحة عن ذلك في حضور الإمام على عليه السلام وآخرين، ولهذا السبب

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٧

يذكر الإمام على في رسالته مورد البحث زياد بن أبيه بأن مثل هذه الادعاءات الشيطانية لا تعتبر معياراً لإثبات النسب في الإسلام، ومن هذه الجهة لا يمكنك أن ترث أبا سفيان أبداً، لأن ابن الزنا لا يرث من أبيه وأمّه شيئاً (وأنت بدورك لم تدع ميراثاً لنفسك منه) وعلى ضوء ذلك لا ينبغي أن تسلم نفسك لوساوس معاوية الشيطانية.

وفي ختام الرسالة يقول الإمام عليه السلام:

«وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ [٢١٣]، وَالنَّوْطِ الْمُدْبَذِ».

وبعبارة أخرى إن معاوية إذا أراد أن يدعي إختوك له من هذا الطريق ووافقته على ذلك، فسوف لن تكون ابناً لأبي سفيان ولا أخاً لمعاوية بل تكون وسمه عار لك أيضاً بأنك ابن زنا، حتى أنك لا تنال ميراثاً من تلك العائلة الغريبة عنك ولا تحسب ابن مشروعاً لها، رغم أن إخوة معاوية الذي إرتكب الكثير من أعمالاً قبيحة والشنيعة لا تعد افتخاراً لك.

والجدير بالذكر أن هذه الرسالة وطبقاً لما أورده المرحوم السيد الرضى في ذيلها كانت مؤثرة في قلب زياد إلى درجة أنه قال:

«فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابِ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةَ».

ثم إن معاوية أبقى زياد بن أبيه في موقعه والياً على بعض بلاد فارس، ثم نقله والياً على العراق ووضع تحت تصرفه منطقة مهمّة من العراق، وكانت هذه الوصمة باقية في زياد ابن أبيه بسبب حبه لجاه والمقام بحيث إن هذا الهاجس قاده آخر المطاف إلى وادي الشر والشيطنه.

ويحتمل أيضاً في تفسير هذه العبارة من كلام زياد بن أبيه أن مقصود زياد هو أن أبا سفيان شهد بهذا الأمر قطعاً بأنني من نطفته، وهذا المعنى بقي في نفسه إلى زمان الحاق معاوية لزياد به.

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٨

يتحدّث السيّد الرضى في هذا المورد عن تفسير بعض اللغات الغامضة:

«قال الرضى، قوله عليه السلام: «الواعل» هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم، وليس منهم، فلا يزال مُدفعاً مُحاجزاً. و «التنوط المُدبذب»: هو ما يُناط برجل الرّاكب من قُعبٍ أو قَدحٍ أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حثّ ظهره واشتعلل سيره».

## تأمل

### قصة نسب زياد المعقده

في هذا المورد كلام كثير، إلى درجة أن بعض شراح نهج البلاغة كتب في هذا الموضوع عشرات الصفحات، ونشير في هذا المورد إلى عدّة مسائل:

١. هل أن زياد ابن زنا؟

ما يستفاد من الرسالة أعلاه هو أن الإمام عليه السلام نفى ادعاء أبي سفيان وكذلك معاوية بأن زياد الابن غير المشروع لأبي سفيان، وقال إن هذا ادعاء شيطاني، وفي ظاهر الشرع بأن كل ولد يلحق بأبيه وامه اللذين تربطهما رابطة الزواج ويولد الولد في ذلك البيت. مضافاً إلى أننا نعلم أن الإمام عليه السلام نصب زياد والياً من قبله على فارس، وهذا المنصب يستلزم بمفهومه إجازته لإمامة الجمعة والجماعة، فكيف يمكن أن يختار الإمام عليه السلام شخصاً لهذا المقام وهو ابن زنا، في حين أننا نعلم أن مشروع إمامة الجمعة والجماعة طهارة المولد.

ومن جهة أخرى، فقد ورد في التواريخ فيما يتصل بواقعة كربلاء وعاشوراء أن الإمام سيّد الشهداء عليه السلام قال: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد تركني بين السّلة والدّله ... هيّهات منّي الدّله» [٢١٤].

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٢٩

أمّا ما هو المقصود بكلمة «الدعيّ» في نظر اللغة، بذهب بعض إلى أن المراد هو ابن الزنا، ولكن عندما نراجع كتب اللغة نجد أن لهذه الكلمة مفهوماً عاماً وتعني من يدعى النبوة، وكذلك تطلق على الشخص المتهم بنسبه، وجاء في لسان العرب:

الدعي يعنى من يدعى له النبوة، وكذلك الابن الذي ينسب لغير أبيه.

يقول القرآن الكريم: «وما جعل ادعاءكم أبناءكم» [٢١٥] وعلى هذا الأساس فربما أراد الإمام عليه السلام أن القول بأن زياد قد ولد في اسره حقيرة لا شأن لها كما يولد العبيد، وقد نسب إلى غير أبيه لغرض كسب المكانة والموقع في المجتمع.

ويحتمل أيضاً أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بين الحكم الظاهري للمسألة، وهو «الولد للفراش» ولكن الإمام الحسين عليه السلام ذكر حقيقة الأمر وأن زياد ابن غير مشروع.

وأما لابن زياد المسألة أوضح وأجلى في أنه ابن غير مشروع وأن امه مرجانة المشهورة بالفجور، ومن هذه الجهة وطبقاً لما ورد في تواريخ كربلاء، خاطبت الحوراء زينب عليها السلام ابن زياد عندما رام توييحها وذمها بقولها له: «يا ابن مرجانة».

ويحتمل أيضاً في المقام من «الدعي بن الدعي» يزيد وأبيه معاوية وأنه إشارة إلى نسبهما المتلوث.

٢. والد زياد ووالدته

المعروف أن والد زياد كان عبداً يدعى عبيد وقد تزوج من جارية «حارث بن كلدة» من أطباء العرب المعروفين واسمها سميّة، وقد ولد زياد في بيتها، رغم أن أبا سفيان ومن بعده معاوية سعيوا إلى تبني زياد واعتباره ابناً لأبي سفيان، وأما ما يقال من أن سميّة كانت من ذوات الأعلام (أى النسوة المعروفات بالفحشاء والزنا) فهو

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٠

بعيد، لأن جاريته طيب معروف كحارث بن كلدة لا يمكن أن تكون من ذوات الأعلام كما هو المعروف.

ولكن ورد في كتب التاريخ أن أباسفيان توجه في سفر إلى الطائف وطلب من شخص يدعى أبو مريم، وهو من الأشخاص السيئ الصيت امرأة فاحشة ليمارس معها الجنس، فقدم له أبو مريم سميّة أم زياد، وقالت له: دع زوج عبيد يعود من الصحراء وينام في البيت وسوف أتى إليك، ثم إنّها جاءت إلى أبي سفيان ومارست الجنس معه، ولعل أبا سفيان عندما قال أنّه زياد ابني كان ناظر إلى هذه الواقعة.

٣. قصّة استلحاق معاوية لزياد

إن قصّة الحاق معاوية لزياد بآل أبي سفيان واتخاذ أخاً له تعدّ من عجائب تاريخ الإسلام، يقول الشيخ المصري المعروف محمّد عبده في شرحه لنهج البلاغة:

إن قصّة زياد بن أبيه قصّة غريبة تدعو الإنسان إلى التأمل، لأنّ معاوية نسبه إلى لأبي سفيان ليكون أخاه مدعيّاً أنّ أبا سفيان عاش أمّه سميّة وهي زوجة رجل آخر، فأنجبت زياداً منها.

ثمّ يضيف: وأغرب ما في القصّة أن ادّعاء هذه الاخوة (غير المشروعة) وقعت في مجلس علني ورسمي وبتحقيق الادّعاء على رؤوس الأشهاد فلم يخجل منه زياد، موازناً بين مغنم هذه الإخوة وبين إزدراء الناس له، ففضل إخوة الخليفة على سلامة العرض، وهكذا في سبيل السلطة لم يكن الرجل ذوالنخوة يخجل من أن يثلم عرضه إذا كان في هذه منفعة (ولو بشكل غير مشروع على سلامة وصحة نسبه، أجل، فمثل هذه الأمور مهدت الطريق السلطة والمقام هذا الرجل المتكبر، فلم يخجل من تعرض شرفه ونسبه إلى الاهتزاز في مقابل المنافع التي يجنبها من ذلك) [٢١٦].

ونضيف نحن، أن الأعجب من ذلك أن المحيط الإسلامي الذي أوجده النبي

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣١

الأكرم صلى الله عليه وآله ولم يمض عليه أكثر من نصف قرن تعرض للتلوث والتشويه بسبب تصرفات بني اميّة إلى درجة أن الخليفة يتجرأ بتثيت مثل هذا المنكر في الملأ العام، فالويل للمسلمين إذا سقطوا في أسر مثل هذه الحكومات الجاهلة والملوثة.

وعلى أيّة حال فالقصّة كما يلي: روى المدائني في كتاب فتوح الإسلام: إن معاوية لما أراد استلحاق زياد وقد قدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر، وأصعد زياد معه وأجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته، وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد، فمن كان عنده شهادة فليقم بها، فقام ناس فشهدوا أنّه ابن أبي سفيان، وأنهم سمعوا ما أقرّ به قبل موته، وقام أبو مريم السلولي، وكان خماراً في الجاهليّة، فقال: أشهد يا أمير المؤمنين أن أباسفيان قدم علينا بالطائف، فأتاني فاشترت له لحماً وخمراً وطعاماً فلما أكل قال: يا أبا مريم، أصب لي بغياً، فخرجت فأتيت بسميّة، قلت لها: إن أبا سفيان ممن عرفت شرفه وجوده، وقد أمرني أن أصيب له بغياً، فهل لك؟ فقالت: نعم، يجيء الآن عبيد بغنمه وكان راعياً فإذا تعشى، ووضع رأسه أتيت، فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته، فلم نلبث أن جاءت تجرّ ذيلها فدخلت معه، فلم تزل عنده حتى أصبحت، فقلت له لما انصرفت: كيف رأيت صاحبك، قال خير صاحبة ولولا ذفر في أبطيها، فقال زياد من فوق المنبر: يا أبا مريم لا تشتم أمّهات الرجال فثمت أمك، فلما انقضى كلام معاوية ومناشدته، قام زياد، وأنصت الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أيّها الناس إن معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم،



ولست أدري حقّ هذا من باطله وهو والشهود أعلم بما قالوا، إنّما عبيد أب مبرور ووال مشكور، ثمّ نزل (الظاهر أنّ المراده من الوالى هو معاوية) [٢١٧].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٢

٤. نظرة لسيرة زياد بن أبيه

كما تمّت الإشارة إليه آنفاً فقد كان زياد فى الأصل يدعى زياد بن عبيد، وكان أبوه عبداً وراعياً وكانت أمّه جاريةً أبى حارث بن كلدة الطيب العربى المعروف، وأحياناً يقال له: زياد بن أبيه، وأخرى زياد بن أمّه، لأنّ أباه عبد وليس له مكانة اجتماعية فى الناس، وبعد أن ألحقه معاوية بنفسه صار يقال له زياد بن أبى سفيان وكان منذ صباه ذكياً وخطيباً مفوهاً وبلغياً، ولد فى الطائفة فى عام فتح مكّة، وقيل إنّه ولد فى عام الهجرة وقال آخرون أنّه ولد يوم بدر، ولكنّه لم يشاهد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام فى جميع حروبه، وبقي مع الإمام الحسن عليه السلام إلى زمان صلحه مع معاوية، وبعد ذلك خدعه معاوية وطلب منه المجبىء إليه وتوفى زياد فى الكوفة فى شهر رمضان عام ٥٣ فى سن ٥٦ (وذهب بعضهم إلى أنّ عمره أكثر من ذلك أو أقل).

أمّا سيرة حياته فتتشكل من مرحلتين متفاوتتين تماماً، المرحلة الاولى كان يتحرك فى خط الحقّ، وكان رجلاً موثقاً ومديراً ومدبراً، ولهذا السبب عينه الإمام على عليه السلام والياً له على فارس، وقد أدار المنطقة بشكل جيد وكما يجمع الخراج بأفضل صورة ويرسله إلى أمير المؤمنين عليه السلام فبلغ ذلك إلى معاوية واشتد عليه هذا الأمر، فكتب له رسالته وذكر له فى مضمونها: أمّا بعد فإنّه غزتك قلاع تأوى إليها ليلاً، كما تأوى الطير إلى وكرها، وأيما الله لولا انتظار بك والله أعلم به لكان لك منى ما قاله العبد الصالح: «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّاقِبِلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَهُ وَهُمْ صَاغِرُونَ» [٢١٨] وكتب فى أسفل الكتاب شعر من جملته:

تَنسَى أَبَاكَ وَقَدْ شَالَتْ نُعُومَتُهُ إِذَا يَخْطُبُ النَّاسَ وَالْوَالِي لَهُمْ عُمُرُ

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٣

ورأس النفاق، يهددنى ويبنى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج سيّدة نساء العالمين وأبى السبطين، وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء فى مئة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان، أما والله لو تخط هؤلاء أجمعين إلى لوجدنى أحمر مخشن ضرباً بالسيف.

ثمّ كتب زياد رسالته إلى أمير المؤمنين على عليه السلام وبعث بكتاب معاوية معها: فكتب إليه الإمام على عليه السلام يقول: «أما بعد، فإنّى قد وليتك وأنا أراك لذلك أهلاً، فإنّه قد كانت من أبى سفيان فلتة فى أيام عمر من أمانى التيه وكذب النفس، لم تستوجب بها ميراثاً ولم يستحق بها نسباً، وأنّ معاوية كالشيطان الرجيم يأتى المرء من بين يديه من خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره ثمّ احذره ثمّ احذره والسلام».

أمّا المرحلة الثانية من حياته اختلفت تماماً عن المرحلة السابقة، وتعبير معاصر أنّه انقلب ١٨٠ درجة على ما كان سابقاً، وهذه المرحلة تبتدىء منذ أن خدعه معاوية بواسطة المغيرة بن شعبه، وقد استغل معاوية نقطة الضعف فى زياد هو حبه للجاه والمقام، فدعا إليه بعد قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام وادّعا إخوته (أنّه ابن غير مشروع لأبى سفيان) وولاه حكومة فارس، ثمّ وسع دائرة نفوذه وألحق بولايته الولاية على الكوفة والعراق، فما كان من زياد من أجل تثبيت حكومته والتصدي للثورات الشعبية ضد معاوية وأزلامه، إلّا أن بدأ بقمع الأصوات المناوئة لحكومة بنى امية، وبخاصة الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام فكان يستخدم فيهم القتل والقمع والشدة بأقصى صورها، وقد ارتكب معهم جرائم لا تعد ولا تحصى بحيث إنّه شوّه تاريخ الإسلام بأفعاله، ومن ذلك أنّه قبض على «حجر بن عدى» كان رجلاً شجاعاً ومؤمناً ومن شيعة الإمام على عليه السلام المخلصين ومشهوراً بالصلاح والنقاء ومن صحابة النبى

المعروفين، ومعه جماعة من أصحابه وأرسلهم إلى الشام، وقد أمر معاوية بقتل هذا الرجل الصالح في منطقة «مرج عذراء» وذلك أضاف صفحة سوداء أخرى إلى صفحات حياته السوداء، وقد وصل به الأمر درجة أن الحسن البصرى الذى لم تكن له علاقة جيداً مع الإمام على عليه السلام قال فى حقه: إن معاوية قد ارتكب ثلاثة أمور، كل

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٤

واحدة منها تكفى لهلاكه، الأول، أنه سلط السفهاء والجهلاء على المسلمين ووضع بيدهم مقاليد الحكم والسلطة، والثانى الحاقه لزياد بنفسه خلافاً لقول النبى الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «الولد للفراس وللعاقر الحجر» والثالث: قتله لحجر بن عدى، فالويل له من حجر وأصحاب حجر [٢١٩].

ونحن نقول أيضاً: نعوذ بالله من سوء العاقبة وتورط الإنسان فى فخاخ الشياطين من الجن والإنس أن يفارق الحياة فى حال الكفر والضلالة والجريمة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٥

## الرسالة ٤٥

### إشارة

إلى عثمان بن حنيف الأنصارى - وكان عاملاً على البصرة وقد بلغه أنه دعى إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها - قوله [٢٢٠]

### نظرة عامة للرسالة

تعتبر هذه الرسالة من الرسائل المهمة جداً فى نهج البلاغة التى تتضمن دروساً ومعطيات كثيرة للسالكين فى طريق الحق والإيمان وبخاصة أولياء الأمور والمسؤولين فى البلدان الإسلامية وتتضمن جهات عدة:

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٦

١. بداية يخاطب الإمام عليه السلام واليه على البصرة عثمان بن حنيف ويخبره بخبر مشاركته فى ضيافة أحد أشرف البصرة، وفى تلك الضيافة التى لم يشترك فيها سوى الأثرياء والمتولين، جلبت إلى المائدة شتى أصناف الطعام والمأكولات المتنوعة، والإمام هنا يوبّخه على مشاركته فى مثل هذه المائدة.

٢. وفى القسم الثانى من الرسالة يذكر الإمام عليه السلام أن كل إنسان ينبغى أن يقتدى فى حياته بإمامه وقائده، ثم يبين له سيرة حياته وسلوكه بوصفه إماماً للمسلمين وكيف أنه اكتفى من الدنيا بردائين قديمين وبقرصين من الخبر ولم يدخر لنفسه ثروة ومالاً من زخارف الدنيا، ولكنه يؤكد له بأنى لا أتوقع أن تعيش كما أنا أعيش فى واقع الحياة، ولكن أتوقع منك البساطة والزهد فى الحياة وأن لا تنسى حالات التقوى والنزاهة.

٣. وفى قسم آخر من هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى قصة فدك ويقول: الشىء الوحيد الذى كان فى أيدينا من مال الدنيا هو «فدك» وقد استولى عليها الحساد وأعداء أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله، ورغم أننى لا احتاج لفدك ولغير فدك، فنهاية حياتنا جميعاً الموت، وسيكون بيتنا هو القبر الضيق والمظلم.

٤. وفى مقطع آخر من هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمة وهى أن بساطتى فى المعيشة ليست بسبب أننى لا أتمكن



من التوصل إلى الدنيا وتحصيل المواهب والنعم المادية فيها، بل بسبب ما أتولاه من وظيفة خطيرة ومسؤولية كبيرة في عهدي، والتي تتمثل في منصب الإمامة وزعامه المسلمين، وهذا المقام يستوجب أن اشارك الناس الضعفاء في صعوبات الحياة ومشاكلها، فلا أبيت شعباناً في حين يوجد من ينام جائعاً في أطراف البلد الإسلامي.

٥. وفي مقطع أخرى يجب الإمام عليه السلام عن هذا السؤال، وهو أنه ربّما يقول البعض: إذا كان على بن أبي طالب يأكل من هذا الطعام البسيط فهذا من شأنه أن يكون الإمام ضعيفاً في قوته البدنية بحيث لا يستطيع مقارعة الشجعان في ميادين نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٧

القتال، ولكن حالي كالشجرة البرية التي تواجه صعوبة ومشقة في الماء والغذاء ولكنها قوية وصلبة أمام التحديات. ٦. وفي آخر مقطع من هذه الرسالة (والتي حذف السيد الرضى بعضاً من مقاطعها وفقراتها) يخاطب الإمام عليه السلام الدنيا بلغة المعرض عنها ويعلن بصوت عالٍ أنه برىء من زخارفها وجواذبها، وبعد أن يثنى الإمام على الأشخاص الذين يتحركون من موقع المسؤولية والالتزام بالتكاليف والقيم الإنسانية أمام الله تعالى ويحيوا الليل بالعبادة، يخاطب مرة أخرى عثمان بن حنيف ويوصيه بتقوى الله ويدعوه إلى سلوك مسلك الزهد والبساطة في الحياة يضمن له النجاة في الآخرة من النار.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٣٩

## القسم الأول

### إشارة

أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حَنِيفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادْبَةِ فَاسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوفٌ، وَعَيْتُهُمْ مَدْعُوفٌ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضُمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظَةُ، وَمَا أَتَيْتَ بِطِيبٍ وَجُوهِهِ فَنَلَّ مِنْهُ.

### الشرح والتفسير: دعوة الوالي إلى مادبة فاحرة!

### إشارة

في المقطع الأول من هذه الرسالة يخاطب الإمام عليه السلام عثمان بن حنيف الأنصاري، الذي يعدّ من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأجلاء وقد اختاره أمير المؤمنين ليكون والياً على البصرة ويتحدّث معه بلغة التوبيخ ويقول:

«أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حَنِيفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادْبَةِ فَاسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ!».

«فتية» جمع «فتى» في الأصل تعني الشاب اليافع، وأحياناً تطلق على المسن الذي يملك النشاط والبهجة في حياته، وفي هذه العبارة تعني رجل من الأشراف.

«مادبة» من مادة «أدب» وتعني الدعوة الرسمية المعتبرة التي تراعى فيها الأدب.

و «جفان» جمع «جفنة» (على وزن وزنة) وتعني الآنية الكبيرة المخصصة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٠

للطعام، وهذا التعبير يشير إلى أن المجلس المذكور كان مجلساً ضخماً وقد دعيت إليه جماعة من الأشراف وجيء إلى المائدة بأنواع الأطعمة اللذيذة.

ثم يضيف الإمام عليه السلام:

«وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ [٢٢٢] مَجْفُوفٌ [٢٢٣]، وَعَيْتُهُمْ مَدْعُوءٌ».

هنا نرى أن الإمام عليه السلام يؤكد أن العيب الكبير في هذه المأدبة أنها منحصرة بالأغنياء فقط، فلو أن تلك الأطعمة المتنوعة واللذيذة كانت تشمل الجياع والمحرومين لياكلوا منها فليست في ذلك مشكلة كبيرة، ومن هذه الجهة فإن هذه المائدة كانت مليئة بشتى أنواع الأطعمة اللذيذة والمأكولات المتنوعة، ومن جهة أخرى أن الأثرياء فقط هم المدعون لهذه المائدة دون المحرومين، ولو أضفنا إلى ذلك دعوة عثمان بن حنيف إلى هذه المائدة فستضعف الإشكال.

ونستوحى من سياق هذه الرسالة أن الإمام عليه السلام يطرح إشكالاً رابعاً في دعوة واليه إليها ويتمثل في وجود أموال مشتبه في هذه المأدبة، لأن الإمام عليه السلام يضيف إلى ذلك قوله:

«فَانظُرْ إِلَى مَا تَقْضُمُهُ [٢٢٤] مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ [٢٢٥]، وَمَا أَيَقَنْتَ بِطَيْبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ».

والنقطة الملفتة للنظر، أن الإمام عليه السلام كان يهتم بمراقبة عماله وولاته بشكل دقيق وينظر إلى حركاتهم وسلوكياتهم، لئلا ينحرف الوالى أدنى انحراف وأن لا توجد فيه أية نقطة ضعف حتى المشاركة في ضيافة غير مناسبة له، بحيث إن الإمام عليه السلام يرسل له رسالة مطولة وزاخرة بالنصائح المختلفة ويحذره من مغبة مثل هذه السلوكيات الخاطئة، وربما لانجد في العالم أجمع مثل هذا التوجيه الدقيق والضبط في إدارة الأمور.

نقعات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤١

ومن بين كتب الإمام عليه السلام ورسائله إلى عماله ربما نجد الكثير من مثل هذه الرسالة، وكلها تشير إلى أن الإمام عليه السلام كان في غاية التدبير ومنتهى الدقة في أمر إدارة الحكومة.

والملاحظة الأخرى أن الإمام عليه السلام يرى في هذه الرسالة أن الولاية والمسؤولين في الحكومة الإسلامية ينبغي أن يقفوا إلى جانب الناس وجمهور المستضعفين والمحرومين وأن لا يعتنوا أبداً بالطبقة المترفة الذين تزداد توقعاتهم وتقل معونتهم، والتجارب تؤكد على أن المحرومين المستضعفين هم أول المدافعين عن الدين والبلاد الإسلامية في مواقع الخطر والظروف الصعبة.

## تأمل

### من هو عثمان بن حنيف؟

جاء في كتاب «الأعلام للزركلى»: «عثمان بن حنيف بن وهب الأنصارى الأوسى، أبو عمرو من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله شهد احداً، وما بعدها، وبسبب ورعه ونزاهته ولاه الخليفة الثانى على السواد مسؤولاً على الأراضى الخراجية فى العراق، ثم ولاه على البصرة، ولما نشبت فتنة الجمل (بين عائشة وعلی) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على على، فامتنع، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به على عائشة فأمرتهم بإطلاقه، فلحق بعلى وحضر معه الواقعة ومعركة الجمل، ثم سكن الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية» [٢٢٦]، وقال البعض الآخر: توفى فى زمن خلافة معاوية فى المدينة.

واللافت أن ابن عبد البر ذكر في كتابه «الاستيعاب» أنه عندما فتح المسلمون العراق، تشاور الخليفة الثاني مع أصحابه فيمن يرسله إلى العراق ليكون والياً عليه، فاتفق الجميع على اختيار عثمان بن حنيف وقالوا: إنه يستطيع إدارة ما هو أكبر من نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٢

ذلك، لأنه يملك من البصيرة والعقل والمعرفة والتجربة الكثير [٢٢٧].

وجاء في كتاب «مستدرجات علم رجال الحديث» أن عثمان بن حنيف وأخاه سهل بن حنيف كانا من جملة اثني عشر نفر الذين اعترضوا على أبي بكر وانتقدوا أعماله، ثم يضيف: إن عثمان وأخاه سهل كانا من شرطه الخميس في عهد الإمام على عليه السلام وهم الذين ضمن الإمام على لهم الجنة [٢٢٨].

وجاء في اسد الغابة: أن عثمان بن حنيف قال: إن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: ادع الله أن يعافيني، فقال صلى الله عليه وآله: إن شئت دعوة وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: ادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتَقْضِيَ لِي اللَّهُمَّ فَشَفِّعْ فِيَّ» [٢٢٩].

ونختم هذا المقطع بكلام للإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (طبقاً لما ورد في رجال المامقاني): «وعده مولانا الإمام الرضا عليه السلام من الباقيين على منهج نبيهم صلى الله عليه وآله من غير تغيير ولا تبديل» [٢٣٠].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٣

## القسم الثاني

### إشارة

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَاتَقْدِرُونَ عَلَيَّ ذَلِكُمْ، وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعَفْفٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًا، وَلَا أَعْدَدْتُ لِي إِلَى ثَوْبِي طِمْرًا، وَلَا مَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرًا، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبْرَةٍ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصِيهِ مَقْرَةً.

## الشرح والتفسير: لم أذكر من الدنيا شيئاً لنفسي

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه لعثمان بن حنيف وأمثاله في هذا المقطع من الرسالة ويشير إلى عدة نقاط مهمة لإيقاظ عناصر الخير والإيمان في وجدان عامله، يقول بداية:

«أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ».

وهذه إشارة إلى أن الإنسان في مسيرة حياته المعقدة وسلوكه المادي والمعنوي لا يستطيع أن يتحرك لوحده ومن دون إرشاد وإقتداء بقدوة صالحة، فالإنسان إما أن يكون في ذاته يملك جميع الملاكات واللباقات اللازمة ليكون إماماً للناس أو أن يقتدى بمن تتوفر فيه هذه الملكات والقابليات اللاتقة، وإلا فإنه سيسير في متاهات الضلالة والحيرة.

ثم يضيف الإمام عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ [٢٣١]، وَمِنْ طُعْمِهِ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٤

بِقُرْصِيهِ [٢٣٢].

المشهور أن هذين الثوبين كانا من الكرباس والقرصين من خبز الشعير، وهما يشكلان طعام الإمام عليه السلام اليومى، وقرص واحد لوجبة الظهر والآخر للعشاء، وهذا فى الحقيقة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله الذى يقتدى به الإمام على عليه السلام، كما فى ورد فى الحديث الشريف:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَا اتَّخَذَ قَمِيصِينَ وَلَا إِزَارَيْنِ وَلَا زَوْجَيْنِ مِنَ النَّعَالِ» [٢٣٣].

خلافاً لأهل الدنيا والمترفين من الناس، الذين يملكون أحياناً عشرات الأنواع من الألبسة والأحذية، بل إن بعضهم لا يلبسون لباساً فاخراً لأكثر من مرة أو بعض المرات ثم يتركوه جانباً، وأحياناً نراهم ينقلون من صناديق والحقائب المليئة بالملابس من مكان لآخر عند انتقالهم من منازلهم، وأما مواعدهم الملونة فحدث عنها ولا حرج.

وبما أن الإمام عليه السلام كان يعلم أن من النادر أن يستطيع أى إنسان أن يعيش مثل هذه الحياة الصعبة ويرضى بشظف العيش وخاصية فيما لو كان من كبار المسؤولين وأصحاب المناصب الذين يملكون الإمكانات الكثيرة فإنه يتعرض لهذه النقطة بالذات ويقول:

«أَلَا وَإِنَّكُمْ لَأَتَقَدَّرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ».

وهذه إشارة إلى أنه لا يتوجب عليكم أن تعيشوا مثل هذه الحياة الصعبة وحالات الزهد الشديد، ولكن لا ينبغي أن تغفلوا عن أربع نقاط، وبذلك تعينونى فى أمر الحكومة وإدارة هذه البلاد الإسلامية الواسعة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٥

الاولى: التوصية بالورع، وتعنى فى الحقيقة حالة التقوى فى حدودها العالية، ثم التوصية ب «الاجتهاد» يعنى بذل الجهد والسعى فى طريق حفظ العدل وحماية المحرومين، والثالثة: «العفة» بمعنى حفظ النفس فى مقابل الشهوات والنوازح المختلفة، والرابعة: «السداد» يعنى انتخاب الطريق الصحيح والمستقيم فى اجتناب فى الطرق المختلفة التى تقود الإنسان إلى المتاهة والضلالة.

ومعلوم أن المسؤولين فى البلاد الإسلامية لو التزموا بهذه الأمور الأربعة وتحركوا فى سلوكهم الفردى والاجتماعى بمستويات الطبقة الوسطى من الناس لا أكثر، فإن كل شىء سيكون فى محله وستنحل الكثير من العقد المستعصية فى أمر الحكومة ويعيش عامة الناس حالات الرضا عن هؤلاء المسؤولين.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة ثالثة لتكون عبرة لجميع الولاة والعمال فى حكومته، ويقول:

«فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرَأُ [٢٣٤]، وَلَا أَدْخُرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرَأُ [٢٣٥]، وَلَا أَعْدَدْتُ

لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا، وَلَا حُرْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرًا، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقَوْتِ أَتَانٍ دَبْرَةً».

وهذه إشارة إلى أنني لست كـبعض أهل الدنيا الذين يدخرون من زخارف الدنيا ومتاعها ويتظاهرون بالزهد والتقوى فإن ظاهرى وباطنى واحد، فأنا لا أملك من المال والثروة لظاهراً ولا باطناً، ولست من المرائين والمتظاهرين بالزهد وترك الدنيا.

والملفت أن الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة يحدد الإمكانات المادية للدنيا فى أربعة أشياء: أحدها، الذهب والفضة حيث يجمع الناس الدينار والدرهم ويدخرونها ويفرحون لكمية ما يدخرون، والآخر، الأموال المتنوعة التى تعد رأس المال لهم من قبيل الخيول والإبل ووسائل المعيشة والدور والفرش والأثاث وما إلى ذلك، الثالث: الملابس الفاخرة والمتنوعة، والرابع: الأراضى الزراعية والبيوت

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٦

والقصور، يقول الإمام عليه السلام: إننى لم أتوجه فى حياتى إلى أى من هذه الأمور الأربعة (فى حين أن بإمكانى ذلك).

والعبارة الأخيرة في هذه الرسالة تعكس غاية التواضع والزهد لدى الإمام عليه السلام، بأن يلفت نظر مخاطبه أو مخاطبيه لهذه المسألة المهمة، وهي أن لا يتلوثوا بالحياة المترفة لطبقة الأشراف بل يعيشون حالة المواساة للمحرومين والمعوزين وينخرطون في معيشتهم وحياتهم مع هذه الطبقة المحرومة من المجتمع.

«أَتَانِ دَبْرَهُ»

، تطلق على الدواب التي جرح ظهرها من كثرة الأحمال والعمل الشاق، ولهذا السبب لا تأكل كما ينبغي وتفقد شهيتها للطعام (والجدير بالذكر أن بعض نسخ نهج البلاغة لم ترد فيها هذه الجملة والجملة التي بعدها ولم يذكرها الشراح في شروحهم لنهج البلاغة).

وفي ختام هذا المقطع من الرسالة يتحدث الإمام عليه السلام عن عدم اهتمامه بالدنيا وأنها في نظره ليست ذات قيمة إطلاقاً ويقول بضمون عميق:

«وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصِهِ [٢٣٦] مَقْرَهُ [٢٣٧]».

وتوضيح ذلك أن لشجرة البلوط أنواع وأقسام، إحداها أنها تثمر ثمرة مرة ومضافاً إلى مرورتها فإنها قاسية وصلبة، وبسبب قساوتها يستخدمها الدباغون في دباغة الجلود.

وبديهى أن تناول مثل هذه الثمرة المرة والقاسية غير مستساغ أبداً ومن يضعها في فمه يضطر للفظها فوراً، وهذا التشبيه يعد من أقوى وأبلغ تشبيهات نهج البلاغة عن حال الدنيا، حيث إن الإمام عليه السلام جسد باطن وحقيقة الدنيا في قالب هذا المثال، وتأتى لاحقاً مثل هذه العبارات في نهج البلاغة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٧

## القسم الثالث

### إشارة

بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكُّ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَتْهُ السَّمَاءُ، فَسَدَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَدَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخِرِينَ، وَنَعَمَ الْحَكَمُ اللَّهُ. وَمَا أَضْعَفُ بَدَنِكَ وَغَيْرِ فَدَكِّ. وَالنَّفْسُ مَطَانُنُهَا فِي عَدِّ جَدَّتْ تَنْقَطِعُ فِي ظِلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيْبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فَسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْعَطَهَا الْحَجْرُ وَالْمِيدَرُ، وَسَدَّ فُرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتْرَاكِمُ؛ وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمَنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزَلِقِ. وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصِيفِي هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ. وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقْوَدَنِي جَشَعِي إِلَى تَحْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لِمَاطَمَعِ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ - أَوْ أَبِي تَيْبَانًا وَحَوْلِي بَطُونُ غَزَنِي، وَأَكْبَادُ حَرَى، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطْنَهُ وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ

أَفْعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونُ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!

## الشرح والتفسير: كيف أكون أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟

### إشارة

ومع الالتفات إلى ما تقدم بيانه من قول الإمام آنفاً:

«وَلَا حُرْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَبْرًا»

يستعرض الإمام في هذا المقطع مسألة «فدك» المؤلمة بوصفها استثناء لما ذكره قبل

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٨

قليل، وكذلك لغرض التأكيد على عدم اعتنائه للعالم من جهته، ومن جهة أخرى إشارة إلى أشكال الظلم والجور التي تعرض لها الإمام من قبل مناوئيه:

«بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ [٢٣٨] عَلَيَّهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ [٢٣٩] عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ».

ونعلم أن «فدك» تقع على مقربة من قلاع خيبر، حيث جاء أهالي المنطقة بعد فتح خيبر وصالحوا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على نصف قرية فدك بدون أن قتال، فأعطى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بساتين فدك في حياته إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وبما أن محصول فدك ربما يساعد أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الخلافة، قام المنافسون بعد رحله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأخذها بسرعة من يد فاطمة الزهراء عليها السلام وطردها عمالها على تلك البساتين ولم يعيدوها لها أبداً، وهو ما سيأتي شرحه في ختام هذه الرسالة إن شاء الله.

والمراد من جملة جملة

«كَانَتْ فِي أَيْدِينَا...»

هي مدة أربع سنوات منذ فتح خيبر إلى رحله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وجملة

«فَشَحَّتْ عَلَيَّهَا نُفُوسُ قَوْمٍ...»

إشارة إلى الغاصبين لمقام الحكومة والخلافة حيث دخلوا بفدك وتمسكوا بها خوفاً من وقوعها بيد بني هاشم، مما يعرض حكومتهم للاهتزاز والضعف.

وجملة

«وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ...»

إشارة إلى بني هاشم فعندما رأوا مناوئتهم مصرين على غصب فدك لم يستمروا بمطالبتهم لفدك وتركوها لهم، وبذلك أظهروا عدم اهتمام واعتنائهم بهذا الأمر.

وجملة

«نِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ»

، جملة عميقة المعنى وإشارة إلى الحوادث المؤلمة التي وقعت بعد تداعيات فدك، فهنا يفوض الإمام عليه السلام أمر الحكم في هذه المسألة إلى الله

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٤٩

يوم القيامة، واللافت أنه لم ينقل عن الإمام عليه السلام أنه استعاد فدك في أيام حكومته وخلافته حيث كان بإمكانه ذلك.

ومن أجل أن لا يتصور أحد أن الإمام عليه السلام يرغب في تملك فدك في نفسه، يتابع الإمام القول:

«وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ. وَالنَّفْسُ مَطَانُنُهَا [٢٤٠] فِي غَدٍ جَدْتُ [٢٤١] تَنْقَطُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيْبُ أَحْبَارُهَا».

ثم يواصل الإمام عليه السلام في هذا الحديث بتوضيح أكثر ويتحدث عن القبر ونهاية حياة الإنسان ويقول:

«وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْعَطَهَا [٢٤٢]

الْحَجَرِ وَالْمَدْرُ [٢٤٣]، وَسَدَّ فَرَجَهَا التُّرَابُ الْمَتْرَاكِمُ».

وهذه إشارة إلى أن القبر عادة يكون حفرة صغيرة لا- تتسع لأكثر من جسد الإنسان، بل أحياناً يتم إدخال الميت إلى هذه الحفرة بصعوبة بالغة، وعلى فرض أن الحافر للقبر عمل على توسيع حفرة القبر بنفسه أو بطلب من الورثة، فمع ذلك لا ينفع الميت شيئاً، لأنه لا بد من ملء ثغرات الحفرة بالحجر والطين وتغطية جميع نوافذه وثغراته بشكل كامل، فالإنسان الذي يعيش مثل هذا المصير كيف يرتبط قلبه بمال الدنيا وبساتينها وزينتها وقصورها؟

وما ورد في الروايات أن المرء إذا شعر بالحزن والغم فعليه بزيارة أهل القبور للتخفيف عن غمه وحزنه، فربما يكون ناظراً إلى هذه الحقيقة، وهي أن الغم عادة ما يكون بسبب المال والمقام والديني، وعندما يصل الإنسان إلى آخر منزل في حياته ويرى مصيره في نهاية هذه الحياة وأنه سيودع يوماً جميع ما يملكه من أموال ومقام وجاه، ويكتفى بعدة قطع من الكفن يأخذها معه إلى القبر فذلك من شأنه أن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٠

يزيح من قلبه هذا الغم والغصه.

وينقل المرحوم المحقق التستري قصيدته في هذا المجال عن المرحوم السيد نعمه الله الجزائري، وربما كان لهذه القصة جانب التمثيل يقول: «أن رجلين تنازعا في دار فانطق الله لبيته من جدار تلك الدار، فقالت: إنني كنت ملكاً من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة، فلما صرت تراباً أخذني خزاف بعد ألف سنة فصيرني خزفه فبقيت ألف سنة، ثم أخذني فصيرني لبيته، وأنا في هذا الجدار منذ كذا وكذا، فلم تتنازعا في هذه الدار؟» [٢٤٤].

ثم إن الإمام عليه السلام يبين درساً نافعا لكل سالك إلى الله تعالى ويتحرك في طريق الصلاح والنجاة يوم المعاد ويقول:

«وَأِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوْضَهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَّ آمَنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَيَّ جَوَابِ الْمَرْلِقِ [٢٤٥].»

الرياضة في حقيقتها تطويع النفس وتدجينها وأحياناً تستخدم هذه الكلمة في مورد الحيوانات الجموحه، وأخرى في مورد النفس المعاندة وغير السلسلة القيادة، واليوم تستعمل هذه الكلمة بمعنى الرياضة البدنية، واللافت أن الإمام عليه السلام مع مقامه السامي والعظيم في أمر تصفية النفس وتنقية الروح والسلوك في مدارج الكمال المعنوي والسير إلى الله تعالى والوصول إلى مقام لا يرى فيه سوى الله تعالى ومع ذلك يقول:

«هِيَ نَفْسِي أَرَوْضَهَا...»

، ويشير في ذلك إلى نقطتين: الأولى: أن الإنسان مهما سعى لرياضة نفسه والحركة في عمليته بناء الذات، فإنه لا ينبغي أن يطمئن إلى هذه الهيئة الرقضاء النائمة وعليه أن يعيش الحذر الدائم من خطرها ويقظتها.

والأخرى: أن الإمام عليه السلام عندما يتحدث بمثل هذا الكلام مع كونه قد حاز تلك المقامات والمراتب الجليله في الكمال المعنوي، فينبغي على الآخرين أن يحسبوا حسابهم ولا يغفلوا من أخطار النفس الشريرة والأماره.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥١

ومن اللازم الإشارة إلى هذه النقطة أيضاً، وهي أن الإمام عليه السلام يؤكد أن الغاية من رياضة النفس بآلية التقوى هي تحصيل الأمن يوم القيامة ويوم الخوف الأكبر والنجاة من المنزقات التي تقود الإنسان إلى وادي جهنم، وهذا يعني أن تحصيل حالة الأمن هذه لا تيسر إلا من خلال رياضة النفس وتطويعها على أمور الخير والطاعة والعبودية، وقد ورد في الروايات الإسلامية أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، أي أنه أشد وأعظم من جهاد الأعداء في ساحات القتال والحرب.

وهذا الكلام في الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم حيث يقول: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» [٢٤٦].



وعبارة «مزلق» يمكن أن تكون إشارة إلى جسر الصراط، لأنَّ الاستفادة من الآيات والروايات الشريفة أنَّ الصراط عبارة عن جسر ممتد على نار جهنم أن عبوره بسلام صعب جداً حيث ينزلق منه المنحرفون وأهل الضلالة ويسقطون في جهنم. يقول القرآن الكريم: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا\* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا» [٢٤٧]. وبما أن رياضة النفس على نحوين: فتارة، يروض الإنسان نفسه لعدم وجود أدوات تحصيل الحياة الدنيوية وافتقاده لوسائل المعيشة المرفهة، وأحياناً أخرى يروض الإنسان نفسه بدفاع من الإيمان والإرادة والعزم على تهذيب النفس في عين قدرته على نيل جميع المواهب المادية والدنيوية، ولذلك يتابع الإمام عليه السلام قوله في هذا الشأن لثلاثاً يتصور أحد أن الإمام يروض نفسه على الشاكلة الاولى يقول:

«وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ [٢٤٨]، وَنَسَائِحِ [٢٤٩] هَذَا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٢

الْقَزِّ [٢٥٠]. وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي [٢٥١] إِلَى تَخْتِيرِ الْأَطْعَمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَاطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَحِ -».

وكما أشرنا آنفاً، فالإمام عليه السلام في هذا المقطع يشير إلى الوظيفة الثقيلة للولاء والمسؤولين في البلاد الإسلامية وأنهم لا ينبغي أن يطمعوا في الأطعمة اللذيذة والملابس الفاخرة ويتحركوا على مستوى التكالب على حطام الدنيا في حين أنهم يحملون أو يعلمون بوجود أشخاص جياع وعرات في شتى أصقاع البلاد الإسلامية.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الأبعاد العاطفية، وهذا في الحقيقة يمثل بُعداً ثالثاً لهذه الموضوع، ويقول:

«أَوْ أَيْتَ مِبْطَانًا [٢٥٢] وَحَوْلِي بَطُونٌ غَزَتْ [٢٥٣]، وَأَكْبَادٌ حَرَى [٢٥٤]، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَيْتَ بِيْطْنَهُ [٢٥٥]

وَحوْلِكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ [٢٥٦] إِلَى الْقِدِّ! [٢٥٧]»

جملة

«وَحوْلِكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ!»

فسررها غالبية شراح نهج البلاغة كما أوردناها آنفاً، وقالوا: إنَّ الناس في سنوات القحط والمجاعة يصل بهم لأمر من الجوع أحياناً أن يأكلوا الجلود غير المدبوغة للحيوانات، وهذه الجملة إشارة إلى هذا المعنى، وذهب بعضهم إلى أن المراد من

«تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ!»

إشارة إلى المثل

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٣

المعروف حيث يقال: إنَّ الشخص الفلاني التصق جلد بطنه بظهره من الجوع، ( «القد» يعني الجلد، و «تحن» الميل والانحناء)، وذهب آخرون إلى أن كلمة «القد» يعني القطع من اللحم التي يضعها العرب سابقاً أمام الشمس لتجف ويدخرونها إلى أيام القحط والحاجة، ويبدو أن التفسير الأول أنسب.

وعلى أية حال، فربما تكون جميع هذه المعاني والتفسير واقعية أو تكون للمبالغة.

يقول الشاعر:

نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا بَعِينٍ مَرِيضَةٍ وَفِكْرُهُ مَغْرُورٍ وَتَدْبِيرُهُ جَاهِلٍ



فَقُلْتُ هِيَ الدُّنْيَا الَّتِي لَيْسَ مِثْلُهَا وَنَافَسَتْ مِنْهَا فِي غُرُورٍ بَاطِلٍ  
وَضِيَعَتْ أَحْقَابًا أَمَامِي طَوِيلَةً بَلَدَاتٍ أَيَّامٍ قِصَارٍ فَلَائِلٍ [٢٥٨]

ثم يتابع الإمام عليه السلام كلامه عن ترويضه لنفسه وزهده ويبيّن ذلك بتوضيح أكثر ويقول:  
«أَأَقْتَعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنَّ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ [٢٥٩] الْعَيْشِ!». هنا يذكر الإمام عليه السلام للمعيشة البسيطة ثلاث حكم ويشير إليها بشكل إجمالي:

الاولى: أن المؤمن ينبغي أن يضع يوم القيامة والحساب والكتاب والحشر نصب عينه وبالتالي يعيش الزهد في هذه الحياة. والأخرى أن مسؤولية قيادة الأمة واستلام مقاليد الأمور وخاصة في حالات العسر والشدة التي يعيشها الناس من الناحية المادية، توجب على الإمام عليه السلام أن يختار التقشف في الحياة لمواساة الناس وذلك لغرض تقوية الجانب المعنوي والروحي لهؤلاء المحرومين الذين يقولون: إذا كان لباسنا مثلاً من كرباس يشبه لباس مولانا وإمامنا، وإذا كان طعامنا بسيطاً جداً ويتكون من ماء وخبز الشعير فإنّ هذا الطعام يشبه طعام مولانا وإمامنا، فذلك يتسبب في تسكين خاطرهم ويدفعهم إلى الاطمئنان بأنّ قائدهم وإمامهم يعيش همومهم ويفكر في حلّ مشكلاتهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٤

الثالثة: مع غض النظر عن المسائل المتعلقة بيوم القيامة والمسؤولية الإلهية الملقاة على الأئمة والزعماء في الأمة الإسلامية فإنّ المسائل العاطفية والقيم الأخلاقية لا تبيح للإنسان أن يجلس على مائدة زاخرة بألوان الطعام والشراب في حين أنّ جيرانه يعيشون الجوع والحرمان وأحياناً يبيتون وليس عندهم خبز للعشاء.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال، لماذا لا نرى مثل هذا المنهج للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لدى بعض الأئمة الآخرين في العصور اللاحقة، وما هو السر في هذا الاختلاف؟  
وسياتى بعد قليل جواب هذا السؤال إن شاء الله تعالى.

## تأمل

### قصة فدك المحزنة

«فدك» اسم لقرية تقع شرق خيبر تقريباً وتفصلها عن خيبر أقل من ثمانية فراسخ، ومع المدينة أكثر من عشرين فرسخاً، وكانت فدك في زمن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عامرة وتتضمن عيوناً زاخرة بالمياه وبساتين النخل ومزارع وقلعة، وتعدّ فدك أحد المنازل التي ينزل فيها المسافرين القادمون من الشام إلى المدينة، وهذا الأمر أدى إلى ازدهارها من الناحية الاقتصادية.

يقول الطبري في تاريخه: خرج علي بن أبي طالب عليه السلام في مائة رجل إلى فدك إلى حي من بني سعد بن بكر، وذلك أنّه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر فسارهم إلى الليل وكنم النهار وأصاب عيناً، فأقرّ لهم أنّه يبعث إليهم خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا ثمر خيبر.

فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا - شعروا بتقصيرهم في هذه الواقعة وخافوا من عاقبة أمرهم - بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه أن يسيرهم بحقن دمائهم لهم ويبدلوا الأموال، ففعل وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك مَحِيصَةٌ بن سعود

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٥

أخو بني حارثة، فلمّا نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله أن يعاملهم بالأموال على النصف، وقالوا نحن أعلم بها منكم وأمر لها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على النصف وأنا إذا شئنا أن نخرجكم اخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئاً للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب [٢٦٠]. وجاء في شواهد التنزيل للحسكاني عن ابن عباس أنه قال: عندما نزلت الآية «وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» [٢٦١] أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فدكاً لفاطمة عليها السلام [٢٦٢].

وينقل الشوكاني في تفسيره ما يقارب هذا المعنى [٢٦٣].

وبعد هذه الحادثة صارت فدك بيد عمّال الزهراء عليها السلام، ومن هذا المنطلق ومن جهة أنّ فدكاً هبة من النبي لفاطمة، كانت فاطمة عليها السلام قد استلمت فدكاً، ومن هنا يقول الإمام عليه السلام:

«بَلَىٰ كَأَنِّي فِي أَيِّدِنَا فَدَكُّ»

، وهو شاهد على ما أسلفنا، كما أنّ جملة «إنّ أبابكر انتزع من فاطمة فدكاً» المذكورة في «تاريخ المدينة المنورة» [٢٦٤] شاهد آخر على هذا المدعى.

والعجيب أنّ الخليفة الأول بعد رحلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله استولى على فدك بدون أيّة مقدمات وأخرجها من يد فاطمة عليها السلام، وقد اعترض عليه أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام بشدة على هذا العمل، ولكن أبابكر أجاب: من يشهد لكما أنّ فدك لفاطمة؟

فأجاب الإمام على عليه السلام: يا أبابكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟

قال: لا، قال عليه السلام: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادّعت أنا فيه، من

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٦

تسأل البيئته، قال: إياك كنت أسأل البيئته، قال: فما بال فاطمة سألتها البيئته على ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، ولم تسأل المسلمين البيئته على ما ادعوا شهوداً كما سألتني في ما ادّعت عليهم، فسكت أبو بكر [٢٦٥].

وكان عمر بن الخطاب حاضراً في المجلس ورأى سكوت أبي بكر وأنّ سكوته ربّما ينتهي بضررهما، فقال:

«يَا عَلِيُّ دَعْنَا مِنْ كَلَامِكَ، فَإِنَّا لَمَنْفَوِي عَلَىٰ حُجَّتِكَ، فَإِنِ آتَيْتَ بِشُهُودٍ عُدُولٍ، وَإِلَّا فَهُوَ فِئَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، لَمَّا حَقَّ لَكَ وَلَمَّا لِفَاطِمَةَ فِيهِ» [٢٦٦].

وهذه الحادثة التاريخية فيها الكثير من التعقيدات والتفاصيل وجميع الشواهد تشير إلى أنّ الخليفة في ذلك الوقت كان قد عزم على الاستيلاء على هذا المنبع الاقتصادي وغضبها من أهل البيت عليهم السلام لثلاثيكون سبباً لتقوية موقفهم واقتدارهم، وقد ورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لَمَّا وُلِّيَ أَبُو بَكْرٍ بَنِي أَبِي قُحَافَةَ قَالَ لَهُ عُمَرُ إِنَّ النَّاسَ عَيْبِدُ هَيْدِهِ الدُّنْيَا لَا يُرِيدُونَ غَيْرَهَا، فَمَنْعَ عَنْ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْخُمْسَ، وَالْفَيْءَ، وَفَدَكًا، فَإِنَّ شِبَعَةَ إِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ تَرَكُوا عَلِيًّا وَأَقْبَلُوا إِلَيْكَ» [٢٦٧].

وعلى أيّة حال فإنّ مركز الخلافة في ذلك الوقت أخذ فدكاً من فاطمة الزهراء عليها السلام لمجرد عدم الدليل على مالكية الزهراء لفدك، ولو كان هناك دليل فينحصر في ميراثها من النبي صلى الله عليه وآله في حين أنّ النبي قال:

«نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ وَمَا تَرَكَنَا صَدَقَةٌ»

وهكذا تمّ انتزاع فدك من فاطمة عليها السلام.

في حين أنّ هذا الحديث وبهذه الصورة موضوع بلا شك والصحيح هو ما ورد في أحاديث أهل السنّة وأهل البيت عليهم السلام:

«أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطْلِهِ» [٢٦٨]

وهو كناية عن أن الأموال التي تركها الأنبياء لذويهم لا تعتبر ذات قيمة بالنسبة لميراثهم العلمي.

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٧

ومهما يكن من أمر فإن المخالفين ومن أجل الحيلولة دون حصول أهل البيت عليهم السلام على الإمكانيات المادية، صادروا فدكاً، تارة بذريعة حديث موضوع، وأخرى أن فاطمة عليها السلام لا تملك البينة الكافية لإثبات ملكيتها على فدك، هذا في حين أنهم لم يمنعوا نساء النبي صلى الله عليه وآله من نصيبهن من الميراث مِمَّا تركه النبي، وقد ورد في حديث معروف في صحيح البخاري وغيره: «إن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت» [٢٦٩]، رغم أنهم كانوا قد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي» [٢٧٠].

وفي حديث آخر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِعُضْبِكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ» [٢٧١].

وأما مصير فدك في زمان حكومة الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام فكما ورد في نص هذه الرسالة مورد البحث أن الإمام على عليه السلام في أيام خلافته قد أغمض عينه عن فدك ولم يتحرك بصدد استعادتها من غاصبها، وبديهي أن هذا العمل لم يكن عن رضا قلبي بل بسبب زهد الإمام عليه السلام في الدنيا وإعراضه عما كان الأعداء يصرون عليه من امتلاكهم لفدك، وجملته

«نِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ»

الواردة في نص الرسالة تدل بوضوح على هذا المعنى.

وقد جاء في التواريخ أن عثمان بن عفان في زمن خلافته أعطى فدكاً لمروان بن الحكم، وذهب بعضهم إلى أنها بقيت بيد أبناء مروان إلى زمان عمر بن عبدالعزيز الأموي الذي كان ينهج منهجاً ملائماً نسبياً مع أهل بيت النبوة عليهم السلام، وقد أمر واليه

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٨

على المدينة «عمر بن حزم» أن يعيد فدكاً لأبناء فاطمة عليها السلام فكتب إليه والي المدينة في جوابه، إن أبناء فاطمة كثر وقد تزوجوا مع طوائف كثيرة فأياً منهم اعطى فدكاً؟

فغضب عمر بن عبدالعزيز وكتب إليه كتاباً شديداً بهذه المضمون: عندما أمرك بأمر، مثلاً أن تذبح شاة، فتقول في جوابي، هل هذه الشاة قرناء أم غير قرناء، وإن أمرتك أن تذبح بقرة فستسأل مني ما لونها؟ (أي أنك تتذرع بحجج بني اسرائيل) وعندما يصل إليك كتابي هذا فادفع فدكاً لأولاد فاطمة من على [٢٧٢].

ولكن لم تمض مدة حتى جاء يزيد بن عبد الملك الأموي للخلافة وغضب فدكاً مرة أخرى، وعندما انقرض بنو امية استولى بنو العباس على سدة الحكم، أمر الخليفة العباسي أبو العباس السفاح، إعادة فدك إلى عبد الله بن الحسن بن علي بوصفه وكيلاً عن بني فاطمة، ولكن أباجعفر المنصور الذي جاء بعده أخذ فدكاً من بني الحسن، وقام المهدي العباسي باعادتها إليهم، ولكن موسى الهادي الخليفة العباسي قام بغصبها مرة أخرى، واستمر الأمر على هذا المنوال إلى زمن هارون الرشيد [٢٧٣].

يقول الحائري القزويني صاحب كتاب «فدك»: «إن المأمون العباسي واستناداً لرواية أبي سعيد الخدري بأن النبي قد وهب فدكاً لفاطمة عليها السلام، أمر باعادة فدك لأبناء فاطمة ولكن المتوكل العباسي الذي جاء بعده وبسبب ما يحمله من حقد شديد على أهل البيت عليهم السلام عاد وأخذ فدكاً منهم [٢٧٤].

وعلى ضوء ذلك تبدلت مسألة فدك إلى قضية سياسية وكل من جاء على سدة الحكم كان يتخذ موقفاً منها وفق خلفياته

السياسية [٢٧٥].

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٥٩

## القسم الرابع

## إشارة

فَمَا خُلِقْتُ لِشِغْلِنِي أَكُلِ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلْفُهَا؛ أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرِكَ سُدَى أَوْ أُهْمَلُ عَابِثًا، أَوْ أُجْرَّ حَبْلُ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ! وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعِدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْبَاقِرَانِ، وَمَنَازِلَةِ الشُّجْعَانِ». أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَضْلَبُ عَوْدًا، وَالرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُودًا، وَالنَّابِتَاتِ الْعَدِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا وَأَبْطَأَ حُمُودًا.

وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوءِ مِنَ الضَّوءِ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ. وَاللَّهُ لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أُمَكَّنَتِ الْفُرُصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأُجْهِدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمُرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

## الشرح والتفسير: لست كالبهيمة المربوطة!

يشير الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة إلى أربع نقاط مهمية، الأولى: أنه يشير إلى هدفه من الزهد الشديد والتكفير الشامل ويقول:

«فَمَا خُلِقْتُ لِشِغْلِنِي أَكُلِ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ» [٢٧٦]، هَمُّهَا عَلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُمُهَا [٢٧٧]، تَكْتَرِشُ [٢٧٨]

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦٠

مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا».

والحق أن بعض الناس في هذا العالم يعيشون كما تعيش الدواب والحيوانات، فجماعته تعيش الترف والثراء ولا تشعر ب حياة الفضيلة فأقصى همهم في الحياة هو الطعام الكثير واللذيد، وبعضهم من الطبقة الفقيرة ولكنهم يتحركون في طلب الدنيا ويبحثون عن الملذات الرخيصة فهم كالحيوانات المرسله في المرتع تبحث عن العلف، ومن المعلوم أن كلا هاتين الطائفتين مذمومتين رغم أن أحدهما أشنع من الأخرى والعجب أن كلا هاتين الطائفتين من الحيوانات لا تعلم بمصيرها وأنها سوف ترسل غداً إلى المذبح ويستفاد من لحومها أو استفاد من ظهورها للحمل والركوب، أو تصطاد من قبل الحيوانات المفترسة.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى النقطة الثانية:

«أَوْ أُتْرِكَ سُدَى [٢٧٩] أَوْ أُهْمَلُ عَابِثًا، أَوْ أُجْرَّ حَبْلُ

الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ [٢٨٠] طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ! [٢٨١]».

في هذا المقطع من الرسالة يتحدث الإمام عليه السلام عما يتصل بالعرض من خلق الإنسان وينفى عنه خمسة أمور: الأول: أن يكون حال الإنسان حال سائر الحيوانات السائبة أو المعلوفة التي همها علفها.

والآخر: أن لا يكون هناك أي عرض من خلقه ويترك لحاله.

والثالث: أن يكون العرض من خلقه اللعب واللهو.

والرابع: أن يكون سبباً لإضلال الآخرين وإغوائهم.

والخامس: أن يتحرك الإنسان نفسه في وداى الحيرة والضلالة، وعندما تنتفى جميع هذه الأمور الخمسة، نستنتج أن الإنسان خلق لغاية سامية وهدف مهم وليس

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦١

ذلك سوى القرب من الله تعالى وتحصل الكمال الإنسانى والفضائل النفسانية، ومن المعلوم أن خلق هذا العالم وكل ما فيه من النعم والمواهب الإلهية لو لم تكن له غاية سوى ذلك فإن هذا الخلق سيكون عبثاً ومخالفاً للحكمة، ولكن الله حكيم ولا تنسجم هذه الأغراض الباطلة والأمور التافهة مع حكمته سبحانه.

إن كلام الإمام عليه السلام هذا مقتبس في الحقيقة من آيات القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى \* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّنًى يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى [٢٨٢].»

وبديهي أن الله تعالى الذى خلق الخلق على مراحل عدّة وبكل هذه العجائب التى سخرها للإنسان فى مظاهر الطبيعة كانت له غاية سامية وهدف كبير.

ويقول تعالى فى مورد آخر: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» [٢٨٣].

ثم يبين الإمام عليه السلام النقطة الثالثة فيما يتصل بكلامه السابق وكأنه فى مقابل الجواب عن إشكال مقدر، حيث يقول:

«وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنِ قِتَالِ الْقُرْآنِ، وَمَنَازِلَةِ [٢٨٤] الشُّجْعَانِ.»

هذا المعنى الحاكم على الذمينة العامة والذى يقرر وجود رابطة بين القوة الجسمانية والأغذية الدسمة واللذيذة، يبعث على تصور أن الإنسان إذا اكتفى فى طعامه بخبز الشعير وأمثاله فإنه سيكون ضعيفاً ولا يقوى على شىء ولا يستطيع الصمود طويلاً فى ميادين القتال والحرب.

هنا يتحرك الإمام عليه السلام من موقع الجواب عن هذا الإشكال ويضرب لذلك مثالين جميلين ويقول:

«أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبُرِّيَّةَ أَضْلَبَ عُودًا، وَالرَّوَاتِعَ [٢٨٥] الْخَضِرَةَ أَرْقُ»

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦٢

جُلُودًا، وَالنَّابِتَاتِ الْعِدِيَّةَ [٢٨٦] أَقْوَى وَقُودًا [٢٨٧] وَأَبْطَأَ حُمُودًا [٢٨٨].»

فالأشجار «التي تقوم على ساق» والنباتات «من قبيل الحشائش والأزهار» لو كانت فى الصحارى والبرارى الجافة فإنها سترداد قوة و صموداً، فى حين أن الأشجار والنباتات التى تنمو على شواطىء الأنهار وتستقى من الماء بشكل دائم فإنما ستكون ضعيفة ولا تقوى على الصمود، ومن هذه الجهة فالأشخاص الذين يعيشون الترف والنعم الوفيرة فإنهم سيعيشون حالات الضعف وعدم القدرة على الصمود بوجه التحديات الصعبة، أما الأشخاص الذين يكبرون فى خضم المشكلات والأزمات فإنهم يملكون من القوة والاستقامة الشىء الكثير.

ومن هذه الجهة نرى أن الجيوش المعاصرة تفرض تمارين شاقّة على أفرادها وجنودها لرفع مقدرتهم القتالية ومستوى صمودهم فى الأجواء الصعبة، وإحدى الحكم من صيام شهر رمضان المبارك أن روح الإنسان وجسمه يزدادن قوة وقدره على تحمل مشاكل الحياة وصعوباتها.

وطبعاً هذا لا يعنى أن الإنسان لا يتناول الطعام والغذاء بشكل كافٍ ويعيش معيشة المرتاضين الذين يكتفون من طعامهم بحبة واحدة، بل المراد أن الإنسان لا ينبغى أن يعيش معيشة الترف ويهتم باللذيق المتنوع من الأطعمة.

ثم إن الإمام عليه السلام وتأبيداً لكلامه السابق:

«وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضُّوْءِ مِنَ الضُّوْءِ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ.»

فقد كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله يعيش عيش الزهد والبساطة، ولكنه مع ذلك كان فى غاية الشجاعة ولم يكن من هو أقرب



«لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَرَارٌ غَيْرُ فَرَارٍ لَأَيْرَجُعَ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» [٢٩٣].

ثم إن الإمام عليه السلام وفي النقطة الرابعة والأخيرة من هذا المقطع من الرسالة يقول:

«وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرُصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعَتْ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِشْمِ الْمَرْكُوسِ [٢٩٤]، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ [٢٩٥] مِنْ بَيْنِ حَبِ الْخَصِيدِ [٢٩٦].»

وجملته

«أَطَهَّرَ الْأَرْضَ»

إشارة جلية إلى هذه الحقيقة، وهي أن وجود أمثال معاوية على سطح الأرض من شأنه تلويثها، وما لم يتم إزالة هذا التلوث عن الأرض والحياة فإنها لا تتطهر.

والتعبير ب

«الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ»

إشارة إلى أن أفكار معاوية مقلوبة، فهو يرى

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦٥

الحق في نظره باطل والباطل في نظره حق.

وعبارة

«الْجِشْمِ الْمَرْكُوسِ»

إشارة إلى أن معاوية ليس فقط أفكاره مقلوبة بل إن سلوكياته وظاهره البشري يعيش الانتكاسة في سلوكياته وأعماله.

وأما عبارة

«حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ»

فهي إشارة إلى أن الزراع عندما يحصدون زرعهم، فغالباً ما يختلط المحصول من الحبوب الجيدة مع بعض الأتربة والأحجار صغيرة، حيث يقوم الزراع بإخراج هذه الشوائب من بين الحبوب ليتنفع بها الإنسان، وأنا بدوري ينبغي أن اطهر المسلمين وفضاء المجتمع الإسلامي من هذه الشخصيات التافهة والزائدة لتخليص الإسلام والمسلمين منهم.

وربما يطرح البعض هذا السؤال: هل أن هذا الكلام للإمام عليه السلام ينسجم ويتناسب مع اقتدائه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي بعث رحمة للعالمين؟

وفي مقام الجواب نقول: نعم، فإن الرحمة تكون لازمة في مواقعها والشدة أو الغضب في موقعه، فمن الخطأ استخدام الرحمة إذا كان المورد يستدعي الشدة والحزم، ومن الخطأ أيضاً التعامل بآليات العنف والشدة إذا كان الموقع يستدعي الرحمة والشفقة، وسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أيضاً شاهدة على هذا المعنى، ففي معركة أحد كان النبي صلى الله عليه وآله يدعو لهؤلاء المخالفين ويقول:

«اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»

، ولكن في قصة نقض يهود بنى قريضة لعهودهم ومواثيقهم استخدم أسلوب الشدة والعنف.

وفي الحقيقة أن الإمام على عليه السلام قد تعلم هذه الحقيقة الواضحة من القرآن الكريم حيث يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» [٢٩٧]، ويقول في مكان آخر: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ» [٢٩٨].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦٧



## القسم الخامس

## إشارة

وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ آخِرُهُ:  
إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ، قَدِ انْسَلَّتْ مِنْ مَخَالِكَ، وَأَفَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاخِصِكَ. أَيْنَ الْقُرُونُ  
الَّذِينَ غَزَرْتَهُمْ بِمَدَاعِبِكَ! أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِزَخَارِفِكَ، فَهَذَا هُمْ رَهَائِنُ الثُّبُورِ، وَمَصَامِينُ اللُّحُودِ! وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَوْثِقًا، وَقَالَ بَأْسًا  
حَسِيًّا، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَزَرْتَهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَأُمَمِ الْقَتِيهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكِ أَسْلَمْتَهُمْ إِلَى التَّلْفِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ  
الْبُلْبَاءِ، إِذْ لَمَّا وَرَدَ وَلَمَّا صَدَرَ! هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَخْصَكَ زَلَقًا، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكَ غَرَقًا، وَمَنْ أَزُورَ عَنْ حَبَائِلِكَ وَفَّقًا، وَالسَّلَامُ مِنْكَ  
لِإِيَالِي إِنْ صَاقَ بِهِ مَنَاخُهُ، وَاللُّدُنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ انْسِلَاخُهُ.  
اغْزِبِي عَنِّي! فَوَ اللَّهُ لَأَذِلُّ لَكَ فَتَشْتَدِّلِينِي، وَلَا أَسْلَسُ لَكَ فَتَقُودِينِي.

## الشرح والتفسير: أيتها الدنيا ابتعدى عني!

## إشارة

القسم الأخير من هذه الرسالة (حيث قسمناها إلى ثلاثة أقسام) هو ما يستهله السيد الرضى رحمه الله بالقول:  
«وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ آخِرُهُ».

فالإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة، ومن أجل أن لا يسقط مخاطبه عثمان بن حنيف وجميع مخاطبيه على إمتداد التاريخ  
البشرى، في مصائد النوازع النفسانية والمقامات الدنيوية أو يتورط في اتباع الملذات الرخيصة، يقول له الإمام عليه السلام بتعبير  
نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦٨

في غاية الروعة والبلاغة والجمال الأدبي:

«إِلَيْكَ عَنِّي [٢٩٩] يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ [٣٠٠]

قَدِ انْسَلَّتْ [٣٠١] مِنْ مَخَالِكَ [٣٠٢]، وَأَفَلْتُ [٣٠٣] مِنْ حَبَائِلِكَ [٣٠٤]، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاخِصِكَ [٣٠٥]».

ونرى أن الإمام عليه السلام في هذه العبارات القصيرة يشبه الدنيا بأربعة أشياء، الأول: أن الدنيا تشبه الناقة التي ربما تكون جذابة  
وحلوبة، ولكن صاحبها عندما يريد تركها لترعى في المرتع فإنه يضع لجامها على ظهرها أو رقبتها، فتري هذه الناقة نفسها أنها صارت  
حرّة من صاحبها فتبتعد عنه وتنشغل بالرعى في المرتع.

وفي التشبيه الثاني، يشبه الإمام عليه السلام الدنيا بالسبع الذي يروم صيد الفريسة بمخالبه القوية والخطيرة ويمزقها، ويقول الإمام عليه  
السلام: وأنا قد أفلتت نفسي من مخالب هذا الحيوان المفترس فلا يصل إليّ بعد ذلك.

وفي التشبيه الثالث، يشبه الإمام عليه السلام الدنيا بالصيد الذي نشر حباله وشراكه لصيد الحيوانات أو الطيور، فيقول الإمام: لقد  
عرفت جيداً هذه المصائد والشراك وتخلصت منها فلا أقع فيها أبداً.

وفي التشبيه الرابع، يشبه الإمام عليه السلام الدنيا بالمنزلق الخطير والوادي السحيق الذي يحتوى على مزلق كثيرة، منها: الشهوات،  
المال والمقام، الزوجة والأبناء، والعناوين البراقة والماديات المغرية، فيقول الإمام عليه السلام: لقد ابتعدت عن هذه المزالق جميعاً،  
ومن هذه الجهة فإننى لا أسقط في حبالها ولا في مخالبها ولا في منزلقاتها.

ثم يتابع الإمام عليه السلام خطابه للدنيا ويقول:



«أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتَهُمْ

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٦٩

بِمَدَاعِبِكَ [٣٠٦]! أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِزَخَارِفِكَ! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ [٣٠٧] الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ [٣٠٨] اللُّحُودِ [٣٠٩]!». .

وهذا الكلام مقتبس من العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأقوام السابقة، الذين كانوا يملكون القدرة والجاه والثروة والإمكانات المادية الوفيرة، ولكنهم جميعاً تورطوا في العذاب الإلهي بسبب عصيانهم وتمردهم على الحق والرسالة، وباتوا مدفونين تحت التراب بحيث لا يسمع لهم أدنى صوت ولا يملكون أدنى حركة، ونقرأ في الآية ٩٦ من سورة مريم: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَوْمٍ هَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا».

ونقرأ في الآية ١٢٨ من سورة طه: «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى . بَاتُوا عَلَى قُلُوبٍ غُلْبٍ الْأَجْبَالُ تَحْرُسُهُمْ غَلْبُ الرِّجَالِ فَمَا أَغْنَتْهُمْ الْقُلُوبُ وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عَزِّ عَنِّ مَعَاقِلِهِمْ فَاوَدَعُوا حُفْرًا يَا بَشَسَ مَا نَزَلُوا نَادَاهُمْ ضَارِخٌ مِّنْ بَعْدِمَا قُبِرُوا أَيْنَ الْأَسْرَةُ وَالتَّيْجَانُ وَالحُلُّ أَيْنَ الْوَجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ فَأَفْصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ تَلْكَ الْوَجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتُلُ قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا وَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا وَطَالَمَا عَمَرُوا دُورًا لَتَحْصَنَّهُمْ فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَانْتَقَلُوا وَطَالَمَا كَنَزُوا الْأَمْوَالَ وَادْخَرُوا فَخَلَّفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا أَضْحَتْ مَنَازِلُهُمْ قَفْرًا مَعْطَلَةً وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا [٣١٠]

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٠

وينقل المرحوم العلامة التستري قصة تتضمن دروساً وعبرة عن الأمالي للشيخ الصدوق وخلاصتها: «انطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتى، فوقف عليه بجنوده، فقال له: أخبرني أيها الشيخ لأي شيء تقلّب هذه الجماجم، قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغنى من الفقير فما عرفت، وإني لأقلبها منذ عشرين سنة، فانطلق ذو القرنين وتركه، وقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري» [٣١١].

ثم يخاطب الإمام عليه السلام الدنيا بعبارات حكيمة ومثيرة ويقول:

«وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَرِيئًا، وَقَالَ بَابًا حَسِيًّا، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَرْتَهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتَهُمْ فِي الْمَهَاوِي [٣١٢]، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتَهُمْ إِلَى التَّلْفِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لَأَوْرَدَ [٣١٣] وَلَا صَدَرَ [٣١٤]».

وبديهي أنّ الدنيا، بمعنى المواهب المادية والظواهر الطبيعية لا- تملك قلباً ولا- فكراً ولا- إرادة واختياراً، بل مجرد وسائل وآليات يستخدمها الإنسان لنيل السعادة في حركة الحياة، أو يغرق في مستنقع الشقاء والعناء فيما لو سار في خط الرذيلة وقصر اهتمامه ونظره بها، أضف إلى ذلك أنّ الدنيا بهذا المعنى ليست شيئاً يمكن إجراء الحدّ الإلهي عليها، ولكن الغاية التي يتوخاها الإمام عليه السلام من هذا الكلام هي الكناية اللطيفة والتشبيه الظريف لإيقاظ عقول المغرورين بها وتنبيه الغافلين عن الحقائق الغيبية ليتحركوا على مستوى تصحيح مسيرتهم والعودة إلى عقولهم وفطرتهم والاعتبار من تاريخ الامم السابقة وإصلاح مستقبلهم بالاعتباس من دروس

التاريخ.

وهذا الكلام فى الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم الذى يذكر هذا المعنى بشكل آخر، فالآيات القرآنية تخاطب جميع أفراد البشر وتدعوهم لدراسة تاريخ الأقسام  
نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧١

السالفه الذين تورطوا فى دوامه البلىا والعذاب بسبب غفلتهم وغرورهم وكان مصيرهم الهلاك وقد دفنوا هم وثوراتهم تحت الأنفاظ، فنقرأ فى الآيات القرآنية قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فى قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولى الْأَلْبَابِ» [٣١٥].  
ويقول تعالى فى مورد آخر: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةً أَنْعَمْنَاهُ بِهَا وَكَذَلِكَ وَآوَرْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ \* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» [٣١٦].

ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه بطرح تشبيهات أخرى لحال الأشخاص الذين خدعوا بالدنيا والأشخاص الذين تخلصوا من شركاها وأفلتوا من حبالها، ويقول:

«هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكَ [٣١٧] زَلِقَ [٣١٨]، وَمَنْ رَكِبَ لَجَجَكَ [٣١٩] غَرِقَ، وَمَنْ أَرُوَرَ [٣٢٠] عَنْ حَبَائِلِكَ وَفَقَّ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَأَيَّالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَنَاحُهُ [٣٢١]، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ انْسِلَاخُهُ».

فى هذا المقطع الكلام النورانى للإمام عليه السلام يشبه المواهب المادية فى الدنيا بثلاثة أمور، بداية يتحدث عن المزالق التى تواجه الإنسان فى كل زمان واحتمال سقوطه فى هذه المزالق، وهى المقامات الدنيوية والثروات المادية والشهوات النفسانية، فلو أن الإنسان غفل قليلاً عن هذه الأمور فإنه سيتلوث بالحرام ويقع أسيراً فى شرك الأهواء والنوازع النفسانية.  
والآخر، أن الإمام عليه السلام يشبه الدنيا بالبحر المواج الذى يصعب جداً عبوره بسلام، والكثير من الأحيين تكون أمواج الأهواء والشهوات إلى درجة من الشدة والتلاطم بحيث إنها تبتلع الإنسان وتغرقه فى دوامتها.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٢

والتشبيه الثالث يشبه الإمام عليه السلام زخارف الدنيا وبريقها الخداع بالمصائد والفخاخ، بحيث إن الإنسان إذا استطاع اجتناب هذا البريق الخداع فإنه سيوفق لنيل السعادة ومرتبة القرب الإلهى، وخلاصه منها بذاته يشكل له أكبر افتخار وانتصار فى حركة الحياة مهما واجه فى ذلك من صعوبات وتحديات.

ثم يشبه الإمام عليه السلام الدنيا باليوم الذى يوشك على الانتهاء وأن الشمس توشك على الغروب لسرعة انتهائها وزوالها، كما يقول الشاعر:

حُكْمُ الْمَيِّتِ فى الْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ  
بَيْنَا يَرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يَرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ  
طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَفْدَارِ وَالْأَكْدَارِ  
وَمُكَلِّفَ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مَطْلَبُ فى الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ  
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرِّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَاوٍ  
فَالعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَيِّتَةُ يَقْظَةٌ وَالمرءُ بَيْنَهُمَا خِيَالٍ سَارٍ  
فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرًا مِنَ الْأَسْفَارِ

ونقرأ فى حديث رواه المرحوم الكلينى فى كتاب «الكافى» عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«اضْبُرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَصَبَّرُوا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّمَا الدُّنْيَا سَاعَةٌ فَمَا مَضَى فَلَيْسَ تَجِدُ لَهُ سُرُورًا وَلَا حُزْنَ وَمَا لَمْ يَأْتِ فَلَيْسَ تَعْرِفُهُ»

فَاضْبِرْ عَلَيَّ تِلْكَ السَّاعَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَكَأَنَّكَ قَدْ اغْتَبَطْتَ» [٣٢٢].

وفى ختام هذا المقطع من الرسالة يخاطب الإمام عليه السلام الدنيا ويقول:

«عُزْبِي [٣٢٣]

عَنِّي! فَوَاللَّهِ لَأَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَدْلِينِي، وَلَا أَسْلَسُ [٣٢٤] لَكَ فَتَقُودِينِي».

ولحد الآن لم يرد في الكتب والمدونات والخطب أن شخصاً خاطب الدنيا بمثل

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٣

هذا الخطاب واستدعاها إلى محاكمتها بهذه القوة والحزم وبالتالي أثبت إدانتها وزيفها وتخلص من شراكها ومصائبها.

أجل، فالشخص الوحيد الذي بإمكانه أن يحاكم الدنيا بهذه الطريقة ويخاطبها بهذا الخطاب الشديد القاطع هو الذي استطاع إنقاذ نفسه من برائتها، وضرب على صدرها بيد الإعراض والطرده مع انفتاح جميع الطرق أمامه لتحصيل المآرب الدنيوية، ولكنه لم يستسلم لها ولجواذبها بأيه صورة.

وهذا لكلام يتضمّن جواباً حاسماً على من يقول إن الدنيا قد أجبرتنا على التصرف على سلوك طريق الشر والذيلة، فالإمام عليه السلام يقول: مادام الإنسان ملتزماً بمقتضيات الإيمان والقيم ولم يستسلم للدنيا من موقع الإذعان والخضوع فإنها لا تستطيع إذلاله وإجباره على ارتكاب الخطيئة، فصحيح أن الدنيا بكل ما فيها من الجواذب والزخارف تستهوي الإنسان وتدعوه لمواقعتها، ولكنها لا تجبر أحداً أبداً على اتباعها والتسليم لمطالبها، كما يتحدث القرآن الكريم عن الشيطان ويقول: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ» [٣٢٥].

## تأمل

## طلاق الدنيا

ما يبيّنه الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة في صدد محاكمته للدنيا وأنها لو كانت شخصاً مريئاً وقالاً حسيماً لأجرى حدود الله تعالى عليها بسبب خداعها وإغوائها للكثير من الناس، يدعوننا لتذكر حديث شريف آخر للإمام عليه السلام يشير فيها إلى أنه في عالم المكاشفة رأى الدنيا وقال: «إني كنت بصدقك في بعض حيطانها، وقد صارت لفاطمة عليها السلام قال: فإذا أنا بامرأة قد قحمت عليّ بجمالها فشبهتها ببشينة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٤

بنت عامر الجحى وكانت من أجمل نساء قريش، فقالت: يا ابن أبي طالب هل لك أن تتزوج بي فاغنيك عن هذه المسحاة، وأدلك على خزائن الأرض، فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعدك؟ فقلت لها: من أنت حتى أخطبك من أهلك؟ فقالت: أنا الدنيا، قال فقلت لها، فارجمي وأطلبى زوجاً غيري وأقبلت على مسحاتي وأنشأت:

«لَقَدْ خَابَ مَنْ عَرَّتَهُ دُنْيَا دَيْتِيَّةً وَمَا هِيَ إِلَّا عَرَّتْ قُرُونًا بِنَائِلٍ

أَتَيْنَا عَلَى زِيِّ الْعَزِيزِ بُشِينَةً وَزِينَتَهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ

فَقُلْتُ لَهَا غَرِي سِوَايَ فَإِنِّي عَزُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ

وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا فَإِنَّ مُحَمَّدًا أَحَلَّ صَرِيحاً بَيْنَ تِلْكَ الْجَنَادِلِ

وَهَبَهَا أَتَيْتَنِي بِالْكَنْوَزِ وَدُرِّهَا وَأَمْوَالِ قَارُونَ وَمُلْكِ الْقَبَائِلِ  
أَلَيْسَ جَمِيعاً لِفَنَاءِ مَصِيرِهَا وَيَطْلُبُ مِنْ خُزَائِنِهَا بِالطَّوَائِلِ  
فَعَرَى سِوَايَ إِنِّي غَيْرُ رَاغِبٍ بِمَا فِيكَ مِنْ مُلْكِكَ وَعِزِّ وَنَائِلِ  
فَقَدْ قِنَعْتُ نَفْسِي بِمَا قَدْ رُزِقْتَهُ فَشَأْنُكَ يَا دُنْيَا وَأَهْلَ الْعَوَائِلِ  
فَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ يَوْمَ لِقَائِهِ وَأَخْشَى عَذَاباً دَائِماً غَيْرَ زَائِلٍ [٣٢٦]

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٥

## القسم السادس

### إشارة

وَإِيْمَ اللَّهِ - يَمِيناً أَسْتَيْتِنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - لَأُرْوِضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْتَشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَادُوماً،  
وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينِهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رِعِيهَا فَتَبْرُكُ؟ وَتَشْبَعُ الرَّيْبِيضَةَ مِنْ عَشْبِهَا فَتَرْبُضُ؟ وَيَأْكُلُ  
عَلَيَّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ! قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السَّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةَ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةَ الْمَرْعِيَّةَ!

### الشرح والتفسير: هل الغرض الأكل والنوم فقط؟

### إشارة

يواصل الإمام عليه السلام في هذا المقطع من رسالته المباركة، كلامه فيما تقدّم عن عدم اهتمامه بالدنيا وزخارفها ويقول:  
«وَإِيْمَ اللَّهِ [٣٢٧] - يَمِيناً أَسْتَيْتِنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - لَأُرْوِضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً [٣٢٨] تَهْتَشُ [٣٢٩] مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً،  
وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَادُوماً [٣٣٠]، وَلَأَدَعَنَّ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٦

مُقْلَتِي [٣٣١] كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ [٣٣٢] مَعِينِهَا [٣٣٣]، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا».

في المرحلة الاولى يقسم الإمام عليه السلام لبيّن جدية هذا الأمر وللتأكيد على أهميته وفي المرحلة الثانية، يقول إن شاء مراعاة للأدب مع الله تعالى كما أمر القرآن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله بهذا الأمر، تقول الآية الشريفة: «وَلَا تَقُولَنَّ لِسَيِّءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً»  
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [٣٣٤].

وفي المرحلة الثالثة: يتحدث الإمام عليه السلام عن عزمه الراسخ على ترويض نفسه رياضة شديدة وقاسية، وهذا يحكى عن قوة إرادة الإمام وسلطته العجيبة على نفسه، فما أشق الرياضة التي يفرضها الإنسان على نفسه بحيث تتحمل الجوع الشديد، وبالتالي تفرح فرحاً شديداً إذا قدّم لها يوماً قرصاً من الخبز وقليلاً من الملح.

وفي المرحلة الرابعة: يخبرنا الإمام عليه السلام عما يعيشه من عشق لله تعالى وخوف عميق من الذات المقدسة بحيث إنه يتواصل في البكاء إلى أن لا تنضب عينه من الدموع

«وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينِهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا»

، ومعلوم أنّ مثل هذه الحالة لا تتوفر عند أي شخص إلّا النواذر، والإمام عليه السلام نفسه يشير إلى هذه الحقيقة في مقطع آخر من هذه الرسالة، بأنكم لا تستطيعون أن تفرضوا على أنفسكم مثل هذه الرياضات الشاقة ولكن أعينوني بالورع والتقوى والصلاح في حركة

الحياة.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال: لماذا كلّ هذا البكاء الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في كلامه؟ قطعاً إنّ هذا البكاء هو بكاء الشوق من جهة، وبكاء الخوف من جهة أخرى، الشوق إلى العالم الأعلى والملكوت والقرب من الله تعالى والعشق لصفات الكمال والجمال الإلهي، والخوف من حرمان هذه لنعم والمواهب الإلهية.

نفحات الولاية؛ ج ١٠؛ ص ١٧٧

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٧

إنّ رجال الله يعيشون دوماً بين حالات الخوف والرجاء، وبالتالي يدفعهم ذلك إلى البكاء شوقاً وخوفاً، فكيف بالإمام على عليه السلام وهو إمام العارفين ومقتدى السالكين في طريق الحق والمعنوية؟

ثم إنّ الإمام عليه السلام يستعرض في العبارات التالية جملة من التشبيهات الأخرى ويقول:

«أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ [٣٣٥] مِنْ رَغِيهَا [٣٣٦] فَتَبْرَكَ [٣٣٧]؟ وَتَشْبُعُ الرَّيْبَةَ [٣٣٨] مِنْ عُسْبِهَا [٣٣٩]

فَتَرِبُضُ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فِيهِجَجَ [٣٤٠]! قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ

الْمُتَطَوَّلَةَ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةَ [٣٤١]، وَالسَّائِمَةَ الْمَرَعِيَّةَ [٣٤٢]!».

وبالرغم من أنّ الإمام عليه السلام في هذه العبارات يتحدّث عنه نفسه، ولكن كلامه في الواقع درس لأبناء الدنيا الذين لا همّ لهم في الحياة سوى التمتع بالملذات الرخيصة، فهم يشبهون الأغنام والدواب التي لا تهتم إلا للأكل والعلف والنوم والراحة، فما أقبح بالإنسان أن يهبط من أوج عظمة الإنسانيّة ويدرج نفسه مع الحيوانات وينزل بمستواه إلى مصاف الدواب السائمة في المراتع، وكما يقول الشاعر:

أَتَعْمَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرٌ وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرٌ

وَتُصْبِحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرٌ

وَتَرْفَعُ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُفَاخِرًا وَمَتَوَاكَبِ فِي القُبُورِ صَغِيرٌ

وَدُونَكَ فَاصْنَعْ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ فَإِنَّ بُيُوتَ المَيْتِينَ قُبُورٌ [٣٤٣]

**تأمل**

### الرياضة المشروعة وغير المشروعة

إنّ مسألة رياضة النفس ومنذ القديم تقسم إلى قسمين: رياضة البدن، ورياضة النفس، أمّا رياضة البدن فتتمثّل في أنواع الألعاب الرياضية التي تمتد في التاريخ البشري ولها سابقة تاريخية طويلة، وحتى المسابقات العالمية الحالية مقتبسة من عصر اليونان القديم ومناطق أخرى من العالم، وأمّا رياضة النفس والتي تتحقق عن طريق ترك المشتهيات النفسانية وتؤدي إلى تقوية روح الإنسان وإرادته وتمتد كذلك في التاريخ، فهي المعروفة عن المتراضين الهنود، وحقيقة هذه الرياضة هي أنّ الإنسان بتركه وإعراضه عن رغباته النفسانية وعدم استسلامه لجواذب الشهوة بإمكانه أن يحصل على قوّة عظيمة بحيث أحياناً يستطيع انجاز أعمال خارقة للعادة.

وطبعاً الرياضيات النفسانية بدورها تنسحب في هدفها والغرض منها إلى: أهداف مادية، وأخرى معنوية، أمّا الأهداف المادية فتتمثّل بالقدرة على الإتيان بأعمال خارقة للعادة والتوصل من خلالها إلى بعض المنافع الدنيوية وتحصيل الجاه والمقام، وأمّا الهدف المعنوي

فهو القرب من الله تعالى وتطهير الروح من الرذائل الأخلاقية وتحكيم إرادة الإنسان على شهواته وضبط رغباته وترك ما تدعوه إليه نفسه من الرذائل والمنكرات.

وما ورد من كلام الإمام عليه السلام في هذه الرسالة ناظر إلى القسم الثاني من الرياضة المعنوية في قوله: «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوْضَهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ»  
، وقوله:

«لَأَرَوْضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْتِشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ».

وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة في ذيل الخطبة ٢٢٠ (الخطبة ٢١٤ في شرح ابن أبي الحديد) بحثاً مفصلاً في موضوع رياضة النفس وأقسامها وتحديث في تأثير الجوع في صفاء النفس ونقاها، ثم نقل كلمات الفلاسفة والحكماء في المكاشفات التي تحصل للإنسان من رياضة النفس، وضمن كلامه  
نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧٩  
بالاستشهاد بأبيات من أشعار الشعراء في هذه المجال.

ونقرأ في الأحاديث الشريفة عن أمير المؤمنين على عليه السلام الإشارة إلى هذه المسألة ومن ذلك ما ورد في «غرر الحكم» عن الإمام على عليه السلام:

«مَنْ اسْتَدَامَ رِيَاضَةَ نَفْسِهِ إِنْ تَفَعَّ [٣٤٤].»

وفي حديث آخر في هذا الكتاب قوله:

«الشَّرِيعَةُ رِيَاضَةُ النَّفْسِ» [٣٤٥].

وجاء في حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر عن وصايا الخضر النبي لموسى عليهما السلام أنه قال:

«رِضٌ نَفْسِكَ عَلَى الصَّبْرِ تَخْلَصُ مِنَ الْإِثْمِ» [٣٤٦].

ونقرأ في حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله

: «جَوْعُوا بَطُونَكُمْ وَأَطْمِئُوا أَكْبَادَكُمْ وَأَعْرُوا أَجْسَادَكُمْ وَطَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ عَسَاكُمْ أَنْ تُجَاوِزُوا الْمَلَأَ الْأَعْلَى [٣٤٧].»

ولكن أحياناً يسلك بعض الناس في رياضة النفس طريق الإفراط والانحراف، فيقومون برياضات شاقة جداً وأحياناً خطيرة وغير مشروعة، وقد ذكر الغزالي في «إحياء العلوم» نماذج منها ويوجد الكثير منها مذكور في الكتب الصوفية.

ومن ذلك أن «الشبلي» كان له سرداب ينزل إليه ومعه مجموعة من العصي وكلما غفل قلبه عن الذكر يضرب نفسه بهذه العصي حتى تتكسر، وأحياناً عندما تنكسر جميع العصي يربط يديه ورجليه بالجدار ويلقها بالمسامير [٣٤٨].

وذكروا في حالات «الشيخ أبو سعيد» الصوفي المعروف، أنه لما كان شاباً كان ينهض من فراشه بهدوء بعد ما ينام أهل بيته ويتوجه إلى المسجد، وكانت هناك بئر في زاوية المسجد، فيشد عصاً بحبل من وسطها ويشد قدمه بالطرف الآخر من الحبل، ثم يضع العصا على حافة البئر وينزل إلى البئر ويبقى إلى الصباح معلقاً من

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٠

قدمه في البئر ويقرأ القرآن [٣٤٩].

وحكى عن حالات «أبي بكر الشبلي»: كان في بداية أمره مشغولاً بالرياضة في سنوات مديدة وكان يضع الملح في عينه لثلاثين يوماً [٣٥٠]، وهناك الكثير من هذا القبيل من الأعمال لدى المتصوفة.

ومثل هذه الرياضات الخطيرة تعتبر من النقاط السلبية والسلوكيات غير المشروعة في نظر الإسلام ويجب الاجتناب عنها تماماً، ويشاهد في حالات المرتاضين الهنود وبعض الصوفية مثل هذه الرياضات غير المشروعة التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام، ولكن أفضل رياضة

تتمثل في اجتناب أى شكل من الأشكال المعاصى والذنوب ومن ثمة ترك بعض المشتبهات النفسائيه من المباحات، وقد ورد هذا المعنى فى سيرة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام وأصحابهم، فكانوا أحياناً يلبسون الخشن من الثياب ويقنعون بالأطعمة البسيطة جداً، وينهضون للصلاة والعبادة فى ساعات الليل، ومثل هذه الرياضيات تزيد من نورانيتهم وتعمق من معنويتهم.

وقد ورد فى الخطبة ٢٠٩ فى نهج البلاغة (الجزء الثامن من هذا الكتاب) قصيدة إفراط وتفريط أخوين هما (علاء بن زياد وعاصم بن زياد) حيث كان أحدهما يعيش حياة مرفهة وناعمة والآخر قد ترك العمل والكسب تماماً وانشغل بالعبادة فى زاوية البيت، وقد نهاهما الإمام عليه السلام عن كلا هذين المسلكين، ولمزيد من التوضيح انظر الجزء الثامن، من هذا الكتاب ذيل الخطبة ٢٠٩. وخلصه الكلام أن مسألة الرياضة الشرعية وردت فى نهج البلاغة وكذلك وردت فى الكثير من الروايات الشريفة عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ولا شك فى ترتب الآثار الإيجابية من هذه الرياضة المشروعة على روح الإنسان فيما يتصل بزيادة نورانيته معنويته، ولكن ذلك لا يعنى أن مثل هذه الرياضيات مجبذة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨١

للجميع، ومن هذه الجهة ورد فى العديد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الاذن فى تناول الطيبات والانتفاع من النعم الحلال وشكر الله تعالى على ما وهبه للإنسان من هذه النعم والملذات: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» [٣٥١].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٣

## القسم السابع

### إشارة

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرِ أَشْيَهِرَ عُيُونُهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَتَفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اشْتِغَارِهِمْ دُنُوبُهُمْ، «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». فَاتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ حُنَيْنٍ، وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصَكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصَكَ.

## الشرح والتفسير: أيها الوالى! احذر المشاركة فى مثل هذه الضيافة!

### إشارة

فى المقطع السابع والأخير من هذه الرسالة يتحدث الإمام عليه السلام فى توصيف بليغ عن حياة الإنسان الكامل، وبتعبير آخر: أفراد حزب الله، ويذكر لهم ثلاثة أعمال وأربع صفات، يقول:

«طُوبَى [٣٥٢] لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ [٣٥٣] بِجَنْبِهَا

بُؤْسَهَا [٣٥٤] وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا [٣٥٥]، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى [٣٥٦] عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٤

وَتَوَسَّدَتْ [٣٥٧] كَفَّهَا».

وهذه إشارة إلى أن الأشخاص المحبوبين عند الله تعالى هم الذين يتحركون فى سلوكهم اليومى من موقع أداء الفرائض الدينيه



والتكاليف الفردية والاجتماعية، وفي ساعات الليل يخلون مع ربهم ويطلقون باب رحمته ويبتهلون إليه بالدعاء والمناجاة، وعندما يغلبهم النوم يقنعون باستراحة مختصرة، لا على الفرش الوفيرة والغالية والوسادات الناعمة بل يضطجعون على الأرض ويضعون يدهم تحت رؤوسهم كوسادة.

وهذه إشارة إلى أن العابد ليس هو الشخص الذي يقضى ليله ونهاره بالعبادة وهو قابع في زاوية البيت، بل العابد هو الشخص الذي يؤدى فرائضه الفردية والاجتماعية في النهار، ويتجه في الليل إلى الله تعالى ويقوم بفروض الصلاة والعبادة، وقد ورد في حديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام وأنه قال:

«مَنْ عَمِلَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ» [٣٥٨].

وبهذا المضمون وبشكل أشمل ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ وَمَنْ وَرِعَ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ وَمَنْ قَنَعَ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ أَعْنَى النَّاسِ» [٣٥٩].

وجملته

«افْتَرَشْتُ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدْتُ كَفَّهَا»

إشارة إلى غاية القناعة لدى هؤلاء بحيث إنهم لا يطمعون في فرش مريحة ونوم هنيء، أضف إلى ذلك أن مثل هذه الفرش ربما تعيق الإنسان عن النهوض في أوقات السحر للعبادة والابتهاج لله تعالى.

ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه في وصف حالات هؤلاء الأخيار ويقول: إن هؤلاء

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٥

الذين اتصفوا بهذه الصفات الأربع يعيشون خوف المعاد:

«فِي مَعْشَرٍ أَشْهَرَ [٣٦٠] عُبُوبُهُمْ

خَوْفٌ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ [٣٦١] عَنْ مَضَاجِعِهِمْ [٣٦٢] جُنُوبُهُمْ، وَهَمَّهَتْ [٣٦٣] بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ [٣٦٤] بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ».

فمثل هذا الخوف من الحساب والقيامة أسهر عيونهم ومنع أبدانهم من الإخلاد إلى النوم وجعل شفاههم تتمم بذكر ربهم وأنهم لكثرة استغفارهم تقشعت وتساقطت ذنوبهم:

«وَهَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ»

، وهذه العبارات في الحقيقة مقتبسة من القرآن الكريم كما ورد في صفات المؤمنين الحقيقيين قوله تعالى: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» [٣٦٥].

وفي مورد آخر يقول تعالى: «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ \* وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» [٣٦٦].

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه مستفيداً من الآية الشريفة من القرآن الكريم في وصف هؤلاء المتقين بصفة «حزب الله»: «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [٣٦٧].

وأخيراً يختم الإمام عليه السلام رسالته المنيرة والمثمرة بهذه الجمل يخاطب بها عثمان بن حنيف وجميع السائرين في خط الفضيلة والطالبيين للسعادة ويقول:

«فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَنَ حَنِيفٍ، وَتَكْتَفُفْ [٣٦٨] أَفْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٦

لأن التلوث يمثل هذه الضيافات الثقيلة والموائد المجللة، التي لا طريق للجائعين إليها، والتي يدعى إليها الأشراف والأثرياء فقط وهم



غالباً من الملوئين بالأموال الحرام، ويبعدك عن ذكر الله والمعاد والالتفات إلى المحرومين وتزويد من ثقل ذنوبك وتسبب لك المشاكل يوم القيامة.

وجاء في تاريخ «مروج الذهب»: ذكر الفضل بن الربيع (وزير المهدي): دخل شريك (بن عبدالله) القاضي على المهدي (العباسي) يوماً، فقال له: لا بد أن تجيبني إلى خصله من ثلاث خصال، قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: إما أن تلي القضاء، أو تحدّث ولدي وتعلمهم، أو تأكل عندي أكلة، ففكر ثم قال: الأكلة أخفهنّ على نفسي، فاحتبسه وقدم إلى الطباخ أن يطبخ له ألواناً من المخ المعقود بالسكر والطبرزد والعسل، فلما فرغ من غذائه قال له القيم على المطبخ، يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً، قال الفضل بن الربيع: فحدّثهم شريك بعد ذلك، وعلم أولادهم، وولى القضاء لهم، وقد كتب بارزاقه إلى الجهيند فضايقه في النقص، فقال له الجهيند: إنك لم تبع بزاً، قال له شريك: بلى والله لقد بعث أكبر من البز، لقد بعث ديني [٣٦٩].

أجل، ربّما تكون للقمّة من طعام حرام هذه الآثار السلبية العجيبة في الإنسان، فلو أنّ شريك تعامل مع هذه المسألة بآليات العقل واكتفى بتعليم أبناء الخليفة ربّما استطاع تعليمهم معارف الإسلام وحقيقة الرسالة الإلهية ليدفع ظلمهم وجورهم في المستقبل.

## تأملان

### ١. الزهد والانتفاع من المواهب الإلهية

بعد المطالعة الدقيقة لهذه الرسالة ربّما يثار هذا السؤال: هل أن الإسلام يحرم

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٧

التلذذ بالأطعمة والمأكولات اللذيذة والحضور في هذه الموائد الفخمة، أو أنّ هذا العمل حلال في نفسه؟ وهل هناك تقاطع بين الزهد الإسلامي والاستفادة من النعم الإلهية الدنيوية؟ الكلام في هذا المجال متشعب ومفصل، ولكن يمكن تقديم عصاره لمثل هذا الموضوع فنقول:

وردت روايات كثيرة في تشويق المسلم للزهد في الدنيا منها:

«الزّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الحَلَالِ وَلَا إِزَالَةِ المَالِ وَلَكِنَّ الزّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تُكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْ تُقِ مِمَّا فِي يَدِ اللَّهِ» [٣٧٠].

وجاء في حديث آخر عن أمير المؤمنين على عليه السلام يقول:

«الزّهَادَةُ قِصْرُ الأَمَلِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ المَحَارِمِ» [٣٧١].

وجاء في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَأِيحَاسِبُ اللَّهُ عَلَيهَا المُؤْمِنَ طَعَامًا يَأْكُلُهُ وَثَوْبًا يَلْبَسُهُ وَرَوْحَةً صَالِحَةً تُعَاوَنُهُ وَتُحَصِّنُ فَرْجَهُ» [٣٧٢].

ويتبين من هذه الرواية الشريفة أنّ الانتفاع من هذه المواهب لا يتنافى مع الزهد أبداً، وكذلك ما ورد من الآيات الروايات في هذا الباب ممّا استدعى استعراضها وبيانها لتأليف كتاب مستقل عنها.

ولكن في مقابل هذه النصوص هناك روايات أخرى تدعو الإنسان إلى ترك لذات الدنيا وتمدح ترك التلذذ والتنعم بالمواهب الإلهية الكثيرة، منها:

ما ورد في حديث معروف عن الإمام على عليه السلام قاله ليلة استشهاده بعد أن تناول فطوره المكوّن من خبز وملح وترك ما سواهما، قال مخاطباً إبنته:

«يَا بِنْتِي مَا مِنْ رَجُلٍ طَابَ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ وَمَلْبَسُهُ إِلَّا طَالَ وَقُوفُهُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ» [٣٧٣].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٨

وجاء في حديث آخر في كتاب «كنز العمال» عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قال:

«فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، فَدَعِ الْحَلَالَ لَطُولِ الْحِسَابِ وَدَعِ الْحَرَامَ لَطُولِ الْعَذَابِ» [٣٧٤].

ويبدو أن الجمع بين هذه الآيات والروايات ممكن بإحدى هذه الطرق التالية:

١. إن الاستفادة من المواهب الإلهية حكم لعامة الناس، والتوجه نحو الزهد والترغيب فيه هو حكم للخواص.

٢. إن روايات الزهد تهدف إلى التخفيف من استغلال الآيات والروايات من الطائفة الأولى، وتمنع الإنسان من الإفراط في تناول

الأطعمة والإكثار من الملذات الحلال، لئلا يغرق الإنسان في هذه الملذات فتعيقه بالتالي عن سلوك طريق الهداية والمعنوية.

٣. إن أولياء الدين يمثلون الاسوة والقُدوة للناس في سيرتهم وحياتهم، فينبغي أن يعيشوا معيشة ضعفاء الأئمة ولمواساة المحرومين

والتخفيف عن صعوبة معيشتهم.

٤. إن سلوك طريق الزهد يمنح جميع الأفراد حتى غير الأولياء مزيداً من الهدوء الروحي والصفاء النفسي، لأن الغرق في النعمة

والرفاهية تثقل الروح وبخاصة فيما لو كان الآخرون يعيشون في شغف العيش، فهذه الحالة متنافية مع القيم ومدمومة من جهة عاطفية.

٥. نظراً لما يترتب على الحلال من حساب يوم القيامة، فقد رجحت جماعة من المؤمنين الحياة البسيطة على المعيشة المرفهة لئلا يطول

وقوفهم يوم القيامة للحساب.

وبالنسبة لحقيقة الزهد والجمع بين هذه التعاليم الإسلامية من جهة، والانتفاع من المواهب الإلهية الواردة في الآيات والروايات الشريفة

المذكورة آنفاً من جهة أخرى راجع ما ورد في ذيل الخطبة ٨١ في الجزء الثالث من هذا الكتاب وكذلك يمكنك مراجعة كتاب

دائرة المعارف للفقه المقارن، الجزء الثاني (بحث الزهد والتنمية الاقتصادية).

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨٩

٦. مضافاً إلى ما تقدم فإن التحرك في خط الزهد والإعراض عن الدنيا وملذاتها يعتبر أحد العوامل الرئيسية في تربية الروح وتزكية

النفس كما ورد شرحه في بحث رياضة النفس من هذه الرسالة.

## ٢. من هم حزب الله؟

ما ذكر الإمام عليه السلام في نهاية هذه الرسالة عن حزب الله، مقتبس من آيات القرآن الكريم:

وقد وردت هذه العبارة في آيتين من القرآن الكريم، الأولى في آية ٥٦ من سورة المائدة، يقول تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا [٣٧٥] فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

ونرى في هذه الآية الشريفة أن قبول الولاية الإلهية والأولياء الإلهيين تعد من صفات حزب الله.

وجاء في الآية ٢٢ من سورة المجادلة: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ

أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

في الآية الأولى ورد وصف أفراد حزب الله، كما أشرنا إلى آنفاً بوصف قبولهم لولاية الله ورسوله والأولياء الإلهيين، وفي الآية الثانية

ورد وصفهم بأنهم «يغضون في الله»، أو يعادون أعداء الحق، ويستفاد من مجموع هاتين الآيتين أن مسألة «الحب في الله» و«البغض

في الله» على أساس أنهما من أركان من يتصف بكونه من حزب الله، وما ذكره الإمام عليه السلام في هذه الرسالة بأن حزب الله هم

القائمون في



الرسالة يتناسب مع شخصيته مرموقة مثل مالك الأشر، رغم أن الكثير من شرّاح نهج البلاغة لم يذكروا المخاطب فيها واكتفوا بالإجمال.

يستعرض الإمام عليه السلام في القسم الأوّل من هذه الرسالة لهذا الوالى عدّة صفات حسنة ويثنى عليه ثناءً جميلاً ممّا يعمق فيه الاعتماد على النفس ويكرس فيه القدرة والإرادة على حلّ المشكلات ومواجهة التحديات يقول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ [٣٧٧] بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ [٣٧٨] بِهِ نَخْوَةَ [٣٧٩] الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٩٤

لَهَاةَ [٣٨٠] الثُّغْرِ [٣٨١] الْمَخُوفِ».

وهذه التعبيرات تشير إلى أن الإمام عليه السلام اختار لتولى الأمور جماعة من الشجعان وأصحاب المعرفة والدراية والتدبير ليساعده في هذه الأمور الثلاثة، أى إقامة أركان الدين، وقمع المتمردين والفاستدين، وحفظ الثغور والمواقع الخطيرة على حدود البلاد الإسلامية، وكان مخاطب هذه الرسالة، أى مالك الأشر، أحد هؤلاء الولاة والامراء الموثوقين لدى الإمام.

وكأنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول: إذا أوكلتك لهذا الأمر وفوضت إليك مسؤوليته تدبير مصر وإقامة الأحكام الديتية فيها ولمنع تعديات قوى الظلام والانحراف وحفظ الثغور فى مقابل التهديد الخطير الذى يتمثل بجيش الشام وأتباع معاوية فإن ذلك بسبب لياقتك وجدارتك فى هذه الأمور، والحقيقة أنّ مالك الأشر كان كذلك كما بينه الإمام عليه السلام فى هذه الجملة الموجزة والعميقة المغزى.

إنّ الحوادث التى وقعت لمالك الأشر وذكرها المؤرخون فى كتبهم شاهد حى على هذه الحقيقة.

ومن ذلك عندما أراد الإمام على عليه السلام قتال المتمردين فى واقعة الجمل، أرسل عمّار بن ياسر إلى الكوفة لتحشيد الناس للالتحاق والانضمام إلى جيش الإمام على عليه السلام يقول الراوى: «والله إننى لفى المسجد يومئذ وعمّار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول (ويعبىء الناس للمشاركة فى جيش الإمام ولكن أبا موسى الأشعري كان واقفاً على المنبر ويثبط الناس) إذ خرج علينا غلمان لأبى موسى وقالوا: يا أبا موسى هذا الأشر قد دخل القصر وضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسى

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٩٥

فدخل القصر، فصاح به الأشر اخرج من قصرنا لا أم لك أخرج الله نفسك، فوالله أنّك لمن المنافقين قديماً، قال: أجلنى هذه العشيّة. قال: هى لك ولا- تبتنّ فى القصر الليلة، ودخل الناس ينتهبون متاع أبى موسى، فمنعهم الأشر وأخرجهم من القصر، وقال: إنى قد أخرجته فكف الناس عنه» [٣٨٢].

وكذلك ورد فى كتب التاريخ: عندما وصل الإمام على عليه السلام فى مسيره إلى صفين، إلى أرض الرقة، فكان لا بدّ لهم من عبور النهر، ولكن الناس لم ينصبوا الجسر للإمام عليه السلام وجيشه، (وكانهم كانوا يرتبطون بعلاقة خاصية بمعاوية) فعزم الإمام أن يعبر النهر من جسر منبج [٣٨٣] (هو بعيد عن هذا المكان) فقال الأشر لأهالى تلك المنطقة: اقسم بالله إذا لم يعبر أمير المؤمنين هذا الجسر ولم تحضروا له جسراً ليمر عليه فاعاقبكم بسيفى هذا وأقتل رجالكم واخرب دياركم وآخذ أموالكم، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الأشر فهو يفى بقسمه قوموا واحضروا الجسر، فلما أحضروا الجسر وهيئوه عبر جيش الإمام أجمعه عليه، وكان الأشر آخر نفر عبر عليه.

على أية حال فالإمام عليه السلام بعد هذه العبارات الهادفة والدقيقة يطرح على مالك الأشر دساتير وتوصيات مهمّة فى مجال التعامل مع الناس، بدايةً يقول:

«فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَمَّكَ».

وهذه إشارة إلى أنّ الأصل والأساس فى كسب النجاح والتوفيق فى إدارة البلاد وتدبير أموره هو الإستعانة بالذات المقدسة وطلب

المعونة والتسديد منه.

وفي التوصية الثانية يقول:

«وَإِخْلِطِ الشَّدَّةَ بِضِعْثٍ [٣٨٤] مِنَ اللَّيْنِ».

وهو إشارة إلى أن أمر الحكومة وتدابير الولاية وإجراء البرامج الاجتماعية لا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٩٦

تتحقق من خلال الاعتماد على آليات الشدة والعنف فقط، بل ينبغي على الوالى أن يخلط بين بالشدة، لأن أسلوب الشدة والقهر يتسبب في نفور الناس وعداوتهم وربما لا يصل إلى نتيجة، ولو استخدم الوالى آليات اللطف والملائمة والليونة دوماً فإن الكثير من الأفراد لا يأخذون عمله على محمل الجد وربما يؤدى ذلك إلى تكاسلهم وتواكلهم وبالتالي فشل المشروع، وهذا هو ما ورد في منهج الأنبياء الإلهيين من كون كل نبي (مبشراً ونذيراً) والقرآن الكريم يؤكد من جهة أن الله تعالى فى موضوع العفو الرحمة أرحم الرحمين وفى موضوع الجزاء والنقمة أشد المعاقبين.

والتوصية الثالثة تبين ما هو الأصل بين الرفق والشدة وما هى مواردهما، يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَرْفُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَرْفُقَ، وَاعْتَرِمِ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ».

وعلى هذا الأساس فالأصل فى المناسبات بين الوالى والرعية، بل يأتى هذا الأصل فى جميع أشكال الإدارة، هو الرفق والمداراة، ولكن إذا كان البعض يستغلون هذا اللين والرفق ويسئون الاستفادة من مداراة المدير والوالى لهم، فهنا لابد من استخدام الشدة.

وقد ورد فى الحديث الشريف المعتبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إِنَّ الرَّفْقَ لَمْ يُوضَعْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» [٣٨٥].

إِنَّ المَكَارِمَ أَخلاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالَّذِينَ أَوْلَاهَا وَالْعَقْلُ ثَانِيهَا

وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا

وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللَّيْنُ عَاشِرُهَا [٣٨٦]

\*\*\*

يُخاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قَبِيحٍ وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيباً

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٩٧

يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ جِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طَيِّباً [٣٨٧]

وحالياً نشاهد أن أفضل الطرق لمواجهة المفاسد الاجتماعية والتصدي لأشكال الجنوح والانحراف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استخدام آليات المحبة والخطاب المنطقي المقترن بالأدب والمداراة، فإن غالبية الناس يتحركون بالاتجاه الصحيح بهذا الأسلوب، ولكن هناك قلة من الناس لا ينفع معها سوى الشدة ولا ينتهون عن سلوكياتهم الخاطئة إلا بالآليات القهر والقوة.

فى التوصية الرابعة والخامسة والسادسة يقول الإمام عليه السلام:

«وَإِخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ».

وهذه التوصيات فى الحقيقة مقتبسة من الآيات القرآنية الشريفة، فالقرآن يخاطب النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ويقول: «وَإِخْفِضْ

جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» [٣٨٨].

ويقول في آية أخرى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ» [٣٨٩].

وفي التوصية السابعة والأخيرة يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَسْ [٣٩٠] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَمَّا يَطْمَعِ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ [٣٩١]، وَلَمَّا يَيْئَسِ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَيْدِكَ، وَالسَّلَامُ».

وهذه التوصية تشمل المدراء والولاة في المجتمع الإسلامي، وكذلك تشمل القضاة أيضاً حيث ورد في كتاب القضاء أن هذه الأمور من وظائف القضاة، ولعل ذلك ينحصر بتعاليم الإسلام، بأن ينظر القاضي أو الوالي بنظرة واحدة للجميع، فلو قام احتراماً لواحد من المتخاصمين أو المراجعين يجب عليه القيام للجميع، وإذا سلّم على بعضهم ينبغي أن يسلم على الجميع بصورة واحدة، بل لا ينبغي له أن ينظر

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٩٨

إلى بعضهم بجميع بصره وينظر إلى الآخر بطرف عينه، فمثل هذه التوصية تعني أن يحسب الآخرين حسابهم ويعلموا أن هذا المكان هو مكان يراعى فيه موازين العدل والانصاف ولا ينبغي أن يتوقع أحدهم التمييز في الأمور المهمة.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٩٩

## الرسالة ٤٧

### إشارة

لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ [٣٩٢]

### نظرة عامة للرسالة

هذه الوصية في الواقع تعتبر أحد الوصايا الشاملة والمهمة للإمام على عليه السلام عندما كان في سرير الشهادة، ومخاطب هذه الوصية ولداه الحسن والحسين عليهما السلام، بل جميع الشيعة وأتباع آل البيت عليهم السلام وتتضمن عدّة فصول مهمة: الفصل الأول، يوصي الإمام عليه السلام إبنه بتقوى الله وعدم اهتمام بزخارف الدنيا، والدفاع المظلومين وحماية حقوقهم في مقابل الظالمين.

وفي الفصل الثاني، يصرّح الإمام عليه السلام بأن مخاطبه هو جميع أبنائه وأهله وكل من تصل إليه هذه الوصية إلى يوم القيامة، ومرة أخرى يؤكد الإمام في وصيته على التقوى ونظم الامور والإصلاح بين الناس.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٠

وفي الفصل الثالث، يشير الإمام عليه السلام إلى عدّة مسائل مهمة، منها الدعوة لكفالة الأيتام وحفظ حقوق الجيران، والعمل بالقرآن والاهتمام بإقامة الصلاة والحج والجهاد بالنفس والمال واللسان وتوثيق العلاقة بين الأفراد واجتناب الكراهية والفرقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفى الفصل الأخير يخاطب عليه السلام أبناء عبدالمطلب مؤكداً لهم أنهم بعد استشهاده ينبغي أن يمتنعوا من سفك دماء المسلمين بذريعة مقتله والانتقام له، ويحمل المسؤولية فقط على قاتله الذى يجب القصاص فى حقه، ثم يوصيهم باجتناى المثلثة بعد القصاص من القاتل ولزوم دفنه.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠١

## القسم الأول

### إشارة

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمْهَا، وَلَمَّا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمْ، وَقُولًا بِالْحَقِّ وَأَعْمَلًا لِلْآجِرِ، وَكُونًا لِلظَّالِمِ حَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

### الشرح والتفسير: كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً!

هذه هى الوصية الثانية للإمام على عليه السلام فى فراش الوفاة (وقد سبق ذكر وصية أخرى للإمام فى الكتاب رقم ٢٣).  
وكما أشرنا آنفاً، أن الإمام عليه السلام تحدت بهذا الكلام فى فراش الوفاة وكتب هذه الوصية، ونعلم أن الإنسان فى مثل هذه الحالة يهتم ببيان الأمور المهمة لديه بعبارات موجزة، ولم تكن وصية الإمام هذه تتعرض لكيفية تقسيم أمواله وثوراته، لأنه لم يترك مالاً وثروة لورثته، وإن كان يملك مبلغاً من المال فقد جعله وقفاً للمسلمين، وتتركز هذه الوصية حول القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية والتكاليف الديرية فى واقع الحياة الفردية والاجتماعية، وبالرغم من أن المخاطب فى هذا المقطع من الوصية، الحسن والحسين عليهما السلام، ولكن بقرينة المقطع الثانى من الوصية فإن الآخرين أيضاً مخاطبون بهذا الخطاب المهم.  
وعلى أية حال فالإمام عليه السلام فى المقطع الأول لهذه الوصية يوصى ولديه بسبعة أمور مهمة:

الأول يقول عليه السلام:

«أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٢

أجل، كما قلنا مراراً أن التقوى تعنى الاحساس بالمسؤولية الباطنية فى مقابل الأوامر الإلهية، فهى تمثل عصاره تعاليم جميع الأنبياء والأولياء وبدونها لا يستطيع أى شخص الخلاص من الوسوس الشيطانية والأهواء النفسانية، فمفتاح الجنة هو التقوى، والمركب الذى يركبه السائل فى مراتب السلوك المعنوى والقرب الإلهى هو الورع.

ثم إن الإمام عليه السلام فى الوصية الثانية والثالثة يقول:

«وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمْهَا،

وَلَمَّا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمْ».

ومعلوم أن الدنيا ذات أبعاد وأقسام مختلفة: قسم منها ضرورى لحياة الإنسان وبقائه، والقسم الآخر يتمثل فى وسائل الترفيه بالشكل المعقول، ولكن القسم الذى يتضمن أكثر من ذلك والإنسان يتجه نحوه بدافع الأهواء والتفاخر وأمثال ذلك، وبديهى أن الإمام عليه السلام لا ينهى عن القسم الأول والثانى، بل هو ناظر إلى القسم الثالث، كما ورد هذه المعنى فى القرآن الكريم: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا



مَتَاعُ الْغُرُورِ» [٣٩٥] وقطعاً إذا تحرك الإنسان بهذا الاتجاه من طلب الدنيا فإن ذلك يبعده عن الله والآخرة ويدفعه للتلوث بأنواع الذنوب والمعاصي.

وعندما يقول الإمام عليه السلام:

«وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا»

، فالعلة في ذلك جليله لأن التأسف على شيء فقده الإنسان في الماضي لا يعيده إليه، هذا أولاً، وثانياً، إن هذه الحالة السلبية في النفس من شأنها إعاقة الفعاليات الإيجابية وعدم تركيز الاهتمام لحفظ ما يملكه الإنسان حالياً.

وهذا الكلام في الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم ويقول: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» [٣٩٦].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٣

ونقرأ في حديث عميق المعنى، أن رجلاً كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله، فلما انصرف قال النبي صلى الله عليه وآله: «هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

، قال عبدالله بن عمرو، فأتيته فقلت:

يا عمّاه الضيفاه، قال: نعم، فإذا له خيمه وشاة ونخل، فلما أمسى خرج من خيمته فاحتلب العنز واجتني لى رطباً ثم وضعه، فأكلت معه فبات نائماً وبت قائماً، وأصبح مفطراً وأصبحت صائماً، ففعل ذلك ثلاث ليال، فقلت له: رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيك: إنك من أهل الجنة، فأخبرني ما عملك؟ قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يخبرك بعلمي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: اتته فمره أن يخبرك، فقلت: إن رسول الله يأمرك أن تخبرني، قال: أمراً الآن فنعم، قال: لو كانت الدنيا لى فأخذت منى لم أحزن عليها، ولو اعطيتها لم أفرح بها، ولا أبيت وفي قلبى غل على أحد، قال عبدالله: لكنى والله أقوم الليل وأصوم النهار، ولو وهبت لى شاة فرحت بها، ولو ذهبت لحزنت عليها، والله لقد فضلك الله علينا فضلاً بيناً [٣٩٧].

أجل، هكذا هى طبيعة الدنيا، فيوم لك ويوم عليك، فلا إقبالها يوحى بالاطمئنان لها ولا إدبارها يثير التأسف عليها.

ونقرأ فى حديث آخر عن ابن عباس أنه قال: لم أنتفع بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بانتفاعى بكتاب كتبه على بن أبى طالب عليه السلام فإنه كتب إلى:

«أَمَّا بَعِيدٌ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسُوُّهُ فَوْتُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ وَيَسْرِهُ دَرَكُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ فَلْيَكُنْ سِرُّورَكَ بِمِمَّا نَلْتُ مِنْ آخِرَتِكَ وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مِمَّا فَاتَكَ مِنْهَا وَمِمَّا نَلْتُ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَمَّا تَكُنْ بِهِ فَرِحاً وَمِمَّا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسُ عَلَيْهِ حُزْناً وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعِيدَ الْمَوْتِ وَالسَّلَامُ» [٣٩٨].

وفى التوصية الرابعة والخامسة يقول عليه السلام:

«وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَأَعْمَلَا لِلْأَجْرِ».

أما نصره الحق والالتزام الواعى بقول الحق وفقد ورد فى آيات متعددة من القرآن الكريم ومن ذلك ما ورد فى سورة «العصر» الأمر بالتواصى بين المؤمنين

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٤

بالحق: «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ».

والجدير بالذكر أن الحق له معنى واسع جداً ويشمل كل حقيقة عقائدية وأخلاقية وحكيمة والتعاليم والأحكام الإلهية وحقوق الناس فيما بينهم، والحق المتقابل بين الحاكم والرعية، أو بين السلطة والشعب، وحق الإنسان على نفسه وما إلى ذلك.

وأما للعمل والأجر والثواب الإلهى فهذا يعنى إخلاص التية وأن لا ينظر الإنسان إلى ما فى أيدي الناس بعين الطمع، وأن يحصر فكره ونظره بالثواب الإلهى ويؤدى كل عمل بنية خالصة لله تعالى.



ثم يشير الإمام عليه السلام في التوصية السادسة والسابعة إلى مسألة في غاية الأهمية، ويقول: «وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا».

وهذه التوصية في الحقيقة تؤكد على لزوم نصره الحق والدفاع عنه كما ورد في العبارات السابقة، وما حق أعظم من أن يعين الإنسان المظلوم في مقابل الظالم، ليصل المظلوم إلى حقه ويجتنب الظالم ظلمه، واللافت للنظر أن الظالم والمظلوم في هاتين الجملتين مطلقان فلا يختصان بالمسلمين، ومن هذه الجهة فإن كل مظلوم في العالم يجب على المسلمين الدفاع عنه ونصرته، ويجب عليهم التصدي لكل ظالم وجائر في هذا العالم، ولو أن منظمات حقوق الإنسان اهتمت بتطبيق هذين الأمرين فقط، فإن الدنيا ستتحول إلى جنة، ولكننا نرى أن هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن حقوق الإنسان يقفون مع الظالم عندما تتعرض منافعهم غير المشروعة للخطر، ويقفون ضد المظلوم، رغم أنهم يرفعون لواء حماية المظلومين والتصدي للظالمين في الظاهر.

ونقرأ في حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ أَصْبَحَ لِيَهُمْ يَظْلَمُ أَحَدٌ غَفَرَ اللَّهُ مَا اجْتَرَمَ» [٣٩٩].

وفي الحقيقة أن أكثر الذنوب تعدد نوعاً من أنواع الظلم والشخص الذي يجتنب

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٥

الظلم بجميع أشكاله هو الذي يتخلص من الذنوب كافة.

ونقرأ في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«وَمَنْ أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ مُصَاحِبًا» [٤٠٠].

ونقرأ في حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في «غرر الحكم» يقول:

«أَحْسَنُ العَدْلِ نُصْرَةُ المَظْلُومِ» [٤٠١].

وكذلك نقرأ عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء ٣٨ من الصحيفة السجادية (بوصفه قدوة لعامة الناس):

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظَلَمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٧

## القسم الثاني

### إشارة

أَوْصِيكُمْ، وَجَمِيعَ وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي [٤٠٢]، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ [٤٠٣] بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ».

### الشرح والتفسير: أفضل الأعمال صلاح ذات البين!

في هذا المقطع من الوصية يوسع الإمام عليه السلام دائرة مخاطبيه لتمتد إلى أبعد من ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، وهم أهله وجميع أرحامه ومن تصل إلى أيديهم هذه الوصية إلى يوم القيامة ليقعوا جميعاً في دائرة هذا الخطاب الإيماني، فيقول: «أَوْصِيكُمْ، وَجَمِيعَ وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: (صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ)».

وهكذا نرى أن الإمام عليه السلام يؤكد في هذا المقطع من الوصية على أمور ثلاثة:

الأول: التأكيد مرّة على الالتزام والوعى بمقتضيات التقوى والورع، فطريق النجاة لا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٨

يتيسر للإنسان إلّا من خلال التقوى، التي تعتبر زاد الإنسان ومتاعه في سفره إلى الآخرة وكذلك تعتبر معيار شخصيته الإنسان وكرامته أمام الله تعالى بمقتضى قوله:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...» [٤٠٤].

والأمر الثاني: يوصى الإمام عليه السلام ولديه بنظم أمورهم في حركة الحياة الفردية والاجتماعية، وهذا يشمل النظم في الأبعاد الأمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي العبادة، وكذلك ما يرتبط بالأسرة والتعليم والتربية للأبناء ونعلم أن بقاء عالم الوجود مرتبط بشكل وثيق بما فيه من نظام محكم في ظل التدبير الإلهي، فلولا وجود النظم في الأفلاك والمجرات السماوية لما بقى عالم الكون والطبيعة ولسارع إلى الانحلال والاندثار، ولو أن بدن الإنسان وما فيه من أجهزة وأعضاء تتحرك في إطار من النظم الدقيق لسارعت الأمراض إليه وإرتبك عمل هذه الأجهزة المختلفة ولمات الإنسان في وقت قصير، وكل مجتمع يفتقد النظم اللازم فإنه يتعرض للفناء والانقراض، وكل إنسان يسلك في خط العشوائية والعبثية بعيداً عن النظام في حركة الحياة فلا يصل إلى نتيجة مهما كان يملك من قابليات وإمكانات كثيرة.

وعلى سبيل المثال يوجد في دم الإنسان أكثر من عشرين نوعاً من العناصر المعدنية وشبه المعدنية ترتبط فيما بينها برابطة خاصة ولكل واحد منها مهمة خاصة يؤديها في البدن، فلو أن هذه التركيبات والعناصر تغيرت قليلاً من الناحية الكمية والكيفية فستظهر علائم الأمراض على الإنسان، ولهذا السبب فإن جميع الأطباء ومن أجل تشخيص جذور المرض الأصلية يعملون على تحليل دم المريض في المختبر ليروا في أي قسم يوجد الخلل والنقص.

وفي المسائل الفلكية نرى أحياناً أن المنجمين وعلماء الفلك يتنبؤون بشكل دقيق بالخسوف وأنه سيقع في الساعة الفلانية والدقيقة الفلانية في المكان الفلاني من الكرة الأرضية وذلك قبل عدّة أشهر من وقوع الخسوف أو الكسوف، ويجمع في

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٠٩

تلك المنطقة جماعات كثيرة في لحظة وقوع الكسوف لرصد الشمس في ذلك الوقت، فلولا وجود نظم دقيق حاكم على عالم الوجود لما أمكن لعلماء الفلك أن يتنبأوا بمثل هذه الأمور، بل إنهم يتنبؤون بالظواهر الكونية قبل آلاف السنين من وقوعها.

والآن لو أن الإنسان أراد في علاقاته الاجتماعية أن يسلك طريقاً اللانظم واللامبالاة فسيكون قطعة غير متجانسة مع عالم الوجود، ومثل هذا الشيء الاستثنائي وغير المنسجم من مظاهر الطبيعة محكوم بالفناء والزوال.

أما صلاح ذات البين والحديث الذي نقله الإمام عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأن إصلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصوم، فالعلة في ذلك جلية، لأنه لولا مسألة إصلاح ذات البين والعمل على رفع الكدورات وإزالة العداوات وتبديل حالات الكراهية إلى حالات المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الواحد، لسادت حالات التشتت والفرقة والتزلزل بينهم، وهذا بدوره يقود المجتمع كما يقول القرآن إلى الفشل والتناحر.

ولهذا السبب كان إصلاح ذات البين من أفضل العبادات بل ورد في الروايات الشريفة أن المصلح بمنزلة المجاهد في سبيل الله:

«جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَجْرَ الْمُصْلِحِ بَيْنَ النَّاسِ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ عِنْدَ النَّاسِ» [٤٠٥].

ولا شك ولا ريب في أن الجهاد يوجب عزّة الإسلام، والشخص الذي يتحرك في واقعه الاجتماعي من أجل إيجاد حالات التفاهم والتواصل بين الناس ويسوق المجتمع الإسلامي نحو التوحد والاتحاد فإن عمله هذا يتسبب في عزّة الإسلام والمسلمين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«صَدَقَهُ يُحِبُّهَا اللَّهُ إِصْلَاحَ بَيْنِ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَتَقَارُبُ بَيْنِهِمْ إِذَا تَبَاعَدُوا» [٤٠٦].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديثاً معروفاً، عندما قال مخاطباً المفضل (وهو أحد أصحاب الإمام):

«إِذَا رَأَيْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْ شِيعَتِنَا مُنَازَعَةً فَأَقْتِدْهَا مِنْ مَالِي»،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٠

أى أصلح بينهما وارفع النزاع ولو كان بدفع مبلغ من المال لهما، ولذلك نقر أ في الرواية عن أبي حنيفة سابق الحاج قال: مر بنا المفضل وأنا وختي [٤٠٧] نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل فأتيناها فأصلح بيننا بأربعمائه درهم، فدفعها إلينا من عنده حتى إذا استوفى كل واحد منا من صاحبه، قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأقتديها من ماله، فهذا من مال أبي عبد الله عليه السلام [٤٠٨].

ونختم هذا البحث بحديث آخر من جملة الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المجال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةُ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ» [٤٠٩].

وبعد أن ينقل العلامة المجلسي الحديث النبوي الشريف الوارد في كلام الإمام عليه السلام مورد البحث، ينقل عن أمالي الشيخ الطوسي بعد ذكره لهذه الرواية:

«المراد صلاة التطوع والصوم» [٤١٠] وكان توضيح الشيخ الطوسي في هذا الكلام يعتمد على رواية معتبرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم» [٤١١].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١١

## القسم الثالث

### إشارة

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ، فَلَا تُعْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضَعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةٌ نَبِيِّكُمْ. مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورَثُهُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَشِيْبُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تَحْلُوهُ مَا بَقِيْتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تَنْظُرُوا، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِلِ وَالتَّبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ. لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُولَى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

## الشرح والتفسير: وصايا هامة على فراش الشهادة!

### إشارة

يقدم الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصية عشر توصيات مهمة فيما يتصل بالمسائل الاجتماعية والعبادية والأخلاقية، وفي ستة موارد منها يستهلها الإمام عليه السلام بكلمة «اللَّهُ اللَّهُ» وذلك للدلالة على غاية الاهتمام والتأكيد، وبداية يشرع الإمام من الأيتام ويقول:

«اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ، فَلَا تُعْبُوا [٤١٢] أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضَعُوا بِحَضْرَتِكُمْ».

وفيما يتصل بالاهتمام في أمر اليتامى فقد ورد في القرآن الكريم والروايات

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٢

الشريفة تأكيدات كثيرة بهذا المضمون، مما يعكس الروح الإنسانيّة وحالات التكافل الاجتماعي وحماية الضعفاء في التعاليم والأحكام الإسلاميّة.

فقرأ في الآية ٩ من سورة النساء قوله تعالى: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا».

ويقول في الآية بعدها: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا».

وورد في حديث معروف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ مَسَحَ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمَرٌّ عَلَى يَدِهِ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [٤١٣].

أجل، فإن روح اليتامى عطشى للمحبة، فتأثير المحبة والمدارة لهؤلاء الأطفال اليتامى لا يفوقه أى إكرام واحترام لهم.

وفي حديث مشهور آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا بَكَى اهْتَزَّتْ لُبُكائِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» [٤١٤].

وجاء في ذيل هذا الحديث أن الله تعالى يخاطب ملائكته ويقول:

«إِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا بَكَى اهْتَزَّتْ لُبُكائِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي! مَنْ أَبَكَى هَذَا الْيَتِيمَ الَّذِى غُيِبَ أَبُوهُ فِي التُّرَابِ؟ فَتَقُولُ

الْمَلَائِكَةُ، أَنْتَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

يَا مَلَائِكَتِي! فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنْ لِمَنْ أَسْكَنَتْهُ وَأَرْضَاهُ أَنْ أَرْضِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وجاء في كتاب الكافي، جىء إلى أمير المؤمنين عليه السلام غسل وتين من همدان وحُلوان [٤١٥] فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى،

فأمكنهم من رؤوس الأرقاق يلعقونها وهو يقسمها قدحاً قدحاً، فقليل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها، فقال الإمام عليه السلام:

«إِنَّ الْإِمَامَ أَبُو الْيَتَامَى وَإِنَّمَا أَلْعَقْتُهُمْ هَذَا بِرِعَايَةِ الْأَبَاءِ» [٤١٦].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٣

والملفت أن أبا الطفيل (الصحابى المعروف ومن الأتباع المخلصين للإمام على عليه السلام) يقول: «رَأَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو

الْيَتَامَى فَيَطْعَمُهُمُ الْعَسَلَ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَوَدِدْتُ أَنَّى كُنْتُ يَتِيمًا» [٤١٧].

ثم إن الإمام عليه السلام فى وصيته الثانية يؤكد على ضرورة الاهتمام بحق الجيران ويقول:

«اللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ. مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ» [٤١٨].

وجمله

«فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ»

، إما من باب حذف المضاف، وهى فى الأصل:

«فَإِنَّهَا محل وصية نبيكم»

، أو من باب التأكيد بأنهم عين وصيته، من قبيل أن يقال:

زيد عدل، أو نقول مثلاً: الشخص الفلانى عين العدالة.

والتعبير بـ «ظن» فى جملة در جملة

«حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ»

، بأن يكونوا شركاء فى الميراث إقياً على مستوى التأكيد ومن خلال ما سمعوه من تكرار توصية النبي بالجيران، أو يراد بها المعنى

الحقيقى، وأنهم حسبوا واقعاً أن مقام الجيران إلى درجة يمكن أن يلحقوا بالأرحام والأقرباء ويكونون شركاء فى الميراث.

وعلى أيّة حال فالجار فى الإسلام يتمتع باحترام خاص خلافاً لما نراه فى عالم اليوم والحياة المادية فى المجتمعات المعاصرة، فربما

عاش رجلان عشرين سنة جيراناً ولكن أحدهما لا يعرف الآخر بتاتاً.

إن فلسفة احترام الجار في الإسلام جلية وواضحة، لأن الإسلام دين اجتماعي بامتياز، فتعاليمه ناظرة إلى تجمع الأسرة، تجمع الأقرباء والأرحام، تجمع الجيران، تجمع أهالي المدينة، تجمع المواطنين في البلد الواحد، فكل واحد من أفراد هذه التجمعات له مكانة خاصة في الإسلام، فلو أن الجيران كانوا يهتمون واقعاً ببعضهم

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٤

البعض ويتشاركون الأفراح والأحزان فيما بينهم فإن الحياة ستكون حلوة وهنيئة وسيمنح هذا التواصل والتكاتف أفراد الجيران القوة والروحية بحيث تمكنهم من التغلب بسهولة على المشاكل والتحديات الصعبة التي يفرضها الواقع، فاليوم يواجه هذا الجار مشكلة معينة فينهض سائر الجيران لمساندته وتقديم المعونة إليه لحل هذه المشكلة، وغداً تكون نوبة الجار الآخر ويتداعى له الجيران بالمعونة وهكذا.

ونقرأ في حديث عميق المغزى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«هَلْ تَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ مَا تَدْرُونَ مِنْ حَقِّ الْجَارِ إِلَّا قَلِيلاً أَلَا لَأَيُّومٍ مِنَ الْآخِرِ مَنْ لَأَيَّامٍ مِنْ جَارِهِ بَوَائِقُهُ فَإِذَا اسْتَقْرَضَهُ أَنْ يُقْرِضَهُ وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأَهُ وَإِذَا أَصَابَهُ شَرٌّ عَزَّاهُ لَا يَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ فِي الْبِنَاءِ يَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِذَا اشْتَرَى فَآكِهَةً فَلْيُهْدِ لَهُ فَإِنْ لَمْ يُهْدِ لَهُ فَلْيَدْخُلْهَا سِرّاً وَلَا يُعْطَى صَبِيانَهُ مِنْهَا شَيْئاً يُعَايِطُونَ صَبِيانَهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةٌ حُقُوقٍ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْقَرَابَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجَوَارِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقُّ وَاحِدٍ الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ» [٤١٩].

ونقرأ في الآية ٣٦ من سورة النساء أن القرآن الكريم بعد التأكيد على الإحسان الوالدين والأقرباء واليتامى والمساكين، يؤكد على الإحسان للجيران القريبين والبعيدين، يقول: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ».

واللافت ما ورد في حديث شريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام أن حدّ الجار يتمثل في أربعين منزلاً من الجهات الأربع [٤٢٠].

ومما يجدر ذكره أن هذا الحديث الشريف لا يعنى أن نحسب أربعين داراً من كلّ جهة في خط مستقيم بحيث يكون المجموع ١٦٠ منزلاً، وأن لا تحسب المنازل الواقعة بين هذه الخطوط المستقيمة حتى لو كانت على مقربة من دار الشخص، بل

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٥

المراد أن دائرة الجيران تمتد لشعاع أربعين منزلاً من كلّ جهة، ونعلم أن مساحة الدائرة تساوى ضرب نصف القطر في عدد ٣/١٤، ويتبين في حساب بسيط أن المجموع يبلغ قرابة خمسة آلاف بيتاً، فجميع هذه البيوت والدور، وفق ما ورد في الحديث الشريف، تعتبر من الجيران، أي أنها مدينة مكوّنة من عشرين ألف نفر.

ونختم هذا الكلام بذكر قصّة تاريخية، ينقل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة أن رجلاً يدعى أبو الجهم باع داره وكان في جواره سعيد بن العاص بمائة ألف درهم، فلمّا أحضرها المشتري قال (أبو الجهم) له: هذا ثمن الدار، فأعطني ثمن الجوار، فقال المشتري: أي جوار قال: جوار سعيد بن العاص، قال: وهل اشتري أحد جواراً قط، قال: ردّ عليّ داري، وخذ مالك، لا أدع جوار رجل إن قعدت سألت عني وإن رأني رحت بي، وإن غبت عنه حفظني، وإن شهدت عنده قرّبتني، وإن سألته قضى حاجتي، وإن لم أسأله بداني، وإن نابتنى نائبة فرج عني، فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه مائة ألف درهم، وقال: هذا ثمن دارك، ودارك لك [٤٢١].

ونقرأ في التوجيه الثالثة أن الإمام عليه السلام يؤكد على العمل بالقرآن والالتزام بتعاليمه وأحكامه ويقول:

«وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ».

وهذا الكلام إشارة إلى أنكم لا ينبغي أن تقنعوا بتلاوة القرآن وتجويده وتغفلوا عن مضامينه وتعاليمه، في حين أن الأجانب يتحركون في حياتهم من موقع العمل بمضامين القرآن وتعاليم الإسلام، مثلاً، عندما يعرضون بضاعتهم في السوق يراعون الصدق والأمانة في

معاملاتهم ولكنكم لستم كذلك، أو أنهم يلتزمون بعهودهم ومواثيقهم وأنتم تنقضون العهود ولا- تلتزمون بالمواثيق فيما بينكم، وأولئك يسعون بجديّة لتحقيق وكسب العلوم المختلفة وإيجاد حالة النظم والانضباط في علاقاتهم ولكنكم لا تهتمون لذلك فتبقون في ركب التخلف والتبعية، كما نشاهد هذا الحال- وللأسف- في بعض المجتمعات البشرية والإسلامية وأنهم يعملون على وضع

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٦

شارة وعلامة الشركات الأجنبية على منتجاتهم ومصنوعاتهم ويبيعونها في السوق، وهذا يعني أن الناس تعتمد وتتق بالبخاعة الأجنبية ولكنهم لا- يعتمدون على منتجاتهم، والأجانب يسعون دائماً في خط التطور العلمي ويذلون الجهود الكبيرة في سبيل التقدم والإزدهار، في حين أن الكثير من الشعوب الإسلامية يعيشون الغفلة وحالة الاسترخاء والتكاسل وكأنهم نيام، وهذا الأمر مؤلم جداً ومؤسف.

وقد ورد في الحديث الشريف أن زياد بن ليديج جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أماراً ثم أضاف شيئاً وقال:

«ذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ»

، فقلنا:

وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا وأبنائهم إلى يوم القيامة؟ فقال:

«تَكَلَّمْتُكَ أَمِيكَ يَا زِيَادُ! إِنَّ كُنْتَ لِأَرَاكَ أَفْضَلَ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ لَيْسَ هَيْدِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهَا» [٤٢٢]

. يعنى اخشوا يوماً تكونوا مثلهم.

وقد وردت تعبيرات في غاية الأهمية فيما يتصل بأهميته القرآن الكريم في النصوص القرآنية والروايات الإسلامية، فنقرأ في خطب نهج البلاغة كلاماً مطولاً وعميقاً في هذا الشأن وقد سبق أن ذكرناه في البحوث السابقة، ولكننا نكتفي هنا بذكر مقطع من الخطبة ١٨٢ التي أوردناها في الجزء السابع من هذا الكتاب، وأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتأسف ويتأوه على فراق إخوته وأحبته ويذكرهم بهذه العبارات:

«أَوْهٍ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَتَدَبَّرُوهُ الْفُرْضَ فَأَقَامُوهُ أَحْيَا السُّنَّةَ وَأَمْرَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَوَثِقُوا بِالْفَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ» [٤٢٣].

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه في هذه الوصية ويتحدث في التوصية الرابعة عن الصلاة وبين أهميتها ويقول:

«وَاللَّهِ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ».

وقد ورد هذا التعبير بعمود الدين بشكل واسع في روايات المعصومين عليهم السلام ومن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٧

ذلك ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنَّ عَمُودَ الدِّينِ الصَّلَاةُ وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ فَإِنْ صَحَّتْ نُظِرَ فِي عَمَلِهِ وَإِنْ لَمْ تَصِحَّ لَمْ يُنْظَرْ فِي بَقِيَّةِ عَمَلِهِ» [٤٢٤].

ويبين الإمام الباقر عليه السلام هذا المعنى بشكل واسع ويقول:

«الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ مَثَلُهَا كَمَثَلِ عَمُودِ الْفَسِيطَاطِ إِذَا ثَبَتَ الْعَمُودُ ثَبَتَتِ الْأَوْتَادُ وَالْأَطْنَابُ وَإِذَا مَالَ الْعَمُودُ وَانْكَسِرَ لَمْ يَثْبُتْ وَتَدَدَّ وَلَا طُنْبُ» [٤٢٥].

والدليل على ذلك أن الصلاة تربط الإنسان بالباري تعالى وتقوى فيه العلاقة بينه وبين ربه وتحيا فيه روح التقوى والإيمان، ومن هنا فإنها تردع الإنسان من اقتراف الفحشاء والمنكرات وتمنحه القدرة والقوة على الإتيان بسائر الطاعات والعبادات الأخرى ومن هذه



الجهة تبقى خيمة الدين منصوبة في حياة الإنسان المعنوية، وأما ترك الصلاة فإنه يقود الإنسان إلى نسيان الله، والغفلة عنه ومن يغفل عن الله تعالى فإنه يتلوث بكل عمل قبيح.

ثم يبين الإمام عليه السلام في التوصية الخامسة أهمية الحج إلى بيت الله، ويقول: «وَاللَّهِ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَأَتَّخِلُوهُ مَا بَقِيْتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تُنَاطَرُوا».

وذكر بعض شراح نهج البلاغة أن جملة «لَمْ تُنَاطَرُوا»

إشارة إلى ابتعادكم عن نظر اللطف الإلهي بسبب عدم اهتمامكم ببيته، أو ابتعادكم عن نظرة تعظيم الناس لكم، بسبب تفرق المسلمين وضعفهم فيما لو تركوا البيت الحرام، ولكن الظاهر أن المراد من التناظر في هذه العبارة هو الإمهال، وذلك إشارة إلى أن المهلة الإلهية ستنقضى وسيحل عليكم العذاب [٤٢٦].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٨

ونقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا مَا قَامَتِ الْكَعْبَةُ» [٤٢٧].

والروايات الشريفة التي تتحدث عن أهمية الحج وزيارته بيت الحرام إلى درجة من الكثرة والاستفاضة أنها خارجة عن إطار هذا المختصر، فنكتفي هنا بذكر جملة واحدة من هذه الروايات كخاتمة لهذا البحث:

يقول أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً استشارني في الحج وكان ضعيف الحال (من الجهة المادية أو البدنية) فأشرت إليه أن لا تحج، فقال عليه السلام:

«مَا أَخْلَقَكَ [٤٢٨] أَنْ تَمْرَضَ سَنَةً»

، قَالَ: فَمَرَضْتُ سَنَةً [٤٢٩].

حكى عن رجل السياسة في بريطانيا ويدعى (غلاستون) أنه قال: مادام المسلمون يقرأون القرآن ويطوفون بالكعبة ويذكروا اسم محمد كل صباح ومساء على المآذن، فإن النصرانية في خطر محقق، فعليكم أن تحرقوا القرآن وتهدموا الكعبة وتمحو اسم محمد من الآذان.

وفي التوصية السادسة يقول الإمام عليه السلام:

«وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسَّبِيلِ لِلَّهِ».

والمراد من الجهاد بالأنفس، الحضور في ميادين القتال والتصدي لأعداء الإسلام والمسلمين للحفاظ على الإسلام والبلدان الإسلامية في مقابل تحديات الأعداء وعدوانهم، وأما الجهاد بالأمول فيتمثل بالمساعدات المادية والمالية لتعبئة الجيوش الإسلامية في الأزمنة القديمة ومدّها بالمؤن والعتاد اللازم، وفي هذا العصر يشمل الجهاد بالأموال جميع أشكال المساعدات فيما يتصل بالأمور الثقافية والاجتماعية

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢١٩

والاقتصادية لتقوية دعائم الإسلام في واقع المجتمعات الإسلامية، وأمّا الجهاد باللسان فيتمثل بالدفاع المنطقي والخطاب العقلائي والتبليغ المستمر لنشر تعاليم الإسلام وأحكامه، واليوم يستفاد في هذا السبيل من جميع وسائل الارتباط الجمعي في العالم والأجهزة الحديثة في هذا الشأن.

ويعتبر الجهاد قانوناً عاماً في عالم الطبيعة، لأن جميع الموجودات الحية، سواء من النباتات أو الحيوانات والأحياء الأخرى تتحرك في مواجهتها للموانع والمعيقات بآلية الجهاد لتستمر في حياتها وتزريح المعيقات من أمامها.

وفى طبيعته الخلقه فى هذا العالم، فإن كل موجود يستبطن فى ذاته آفة ونقصاً، ولو لم يناضل ويكافح من أجل التغلب على تلك الآفة فإنه سرعان من يصيبه العطب ولا يمكنه الاستمرار فى حركة التكامل وإدامه الحياة.

إن جذور الأشجار، ولغرض الحصول على الماء والغذاء، تتجه دائماً إلى أعماق الأرض، وعند وصولها إلى مانع كالحجر فإنها تحاول النفوذ فيه وتحطيمه أو الالتفاف عليه والاستمرار فى حركتها، وأحياناً نرى أن الجذور الرقيقة للنباتات تنفذ إلى الموانع الصلبة وحتى الفولاذية وتثقبها.

ولا نبتعد كثيراً فإن أبداننا تعيش حالة الجهاد فى الليل والنهار، لأن الميكروبات تنفذ إلى البدن من أربع طرق: الماء، الهواء، والغذاء، والجلد (فى حال وجود جرح أو خدش)، فلولا وجود القوى الدفاعية للبدن المتمثلة فى خلايا الدم البيضاء وتصديها لهذه الميكروبات فربما يصاب الإنسان فى يوم واحد بأنواع الأمراض والأسقام، ولكن هذا الجهاد الصامت والعميق هو الذى يحفظ لنا سلامتتنا وصحتنا. والمجتمعات التى لا تتحرك فى خط الجهاد والتصدى للأعداء فإنها ستواجه فى مدّة قصيرة الهلاك والفناء، أو تنحدر نحو الضعف والذلة والمهانة.

ونقرأ فى حديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ذُلًّا وَفَقْرًا فِى مَعِيشَتِهِ وَمَحَقًّا فِى دِينِهِ»

ثم قال:

«إِنَّ اللَّهَ أَعَزُّ أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا وَمَرَائِرِ

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٢٠

رِمَاحِهَا» [٤٣٠].

ونقرأ فى حديث آخر عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قال:

«وَاللَّهِ مَا صَلَحَتْ دُنْيَا وَلَا دِينٌ إِلَّا بِهِ (بالجهاد)» [٤٣١].

وبالنسبة لأهمية الجهاد فقد تحدّثنا فى البحوث السابقة عن هذا الموضوع، ومن ذلك ما ورد فى ذيل الخطبة ٢٧ من الجزء الثانى من هذا الكتاب.

ثم يواصل الإمام عليه السلام توصياته لبنى وشيعته ويأمرهم بأربعة أمور مهمّة، ويقول فى البيان الأوّل والثانى:

«وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِلِ وَالتَّبَادُلِ».

ثم يطرح البيان الثالث والرابع ويقول:

«وَأَيَّاكُمْ وَالتَّدَابِرَ وَالتَّقَاطُعَ».

«تواصل» من مادة «وصل»، ويشمل كل أشكال الإرتباط المعنوى والمادى والعقلانى والعاطفى، أمّا «تبادل» فهو من مادة «بذل» وهو من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأنّ إحدى طرق تمتين العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد، البذل والمعونات المادية للمحتاجين والإنفاق على الآخرين بما يحقق لأفراد المجتمع التكاتف وتوثيق العلاقة فيما بينهم.

«تدابير» من مادة «دبر» (على وزن عبد) يعنى الإعراض عن الآخر إظهاراً للكراهية والعداوة، لأنّ المعرض عن الآخر يعطيه ظهره، و«تقاطع» يراد به كل أشكال قطع العلاقة مع الآخرين، وهاتان المفردتان تعان على الضد من المفردتين الألبتين وهما من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأنّ التدابير يعنى الانفصال الكامل، والتقاطع يشمل كل نوع من قطع الرابطة.

إنّ مسألة توثيق علائق المودّة والمحبة بين الأفراد تارة تكون باللسان وأخرى عن طريق اللقاءات والزيارات المتبادلة، وهى مسألة فى غاية الأهمية فى التعاليم الإسلامية، كما أنّ الكراهية والتنافر وقطع العلاقات مذموم فى نظر الإسلام، وقد

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٢١



وردت أحداث كثيرة في ذم الهجران والتنافر في المنابع الروائية المعتمدة، وأحياناً يشعر القارئ لها بقشعريرة لشدة مضامينها. وقد أورد المرحوم الكليني في كتاب «الكافي» حديثاً شريفاً عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أَيُّمَا مُسْلِمِينَ تَهَاجَرَا فَمَكَتَا ثَلَاثًا لَا يَصْطَلِحَانِ إِلَّا كَانَا خَارِجِينَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا وَلَايَةٌ فَأَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى كَلَامِ أَخِيهِ كَانَ السَّابِقَ إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْحِسَابِ» [٤٣٢].

ونقرأ في هذا الكتاب أيضاً رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لَا يَزَالُ إِبْلِيسُ فَرِحًا مَا اهْتَجَرَ الْمُسْلِمَانِ فَإِذَا التَّقِيَا اضْطَكَّتْ رُكْبَتَاهُ وَتَخَلَّعَتْ أَوْصَالُهُ وَنَادَى يَا وَيْلَهُ مَا لَقِيَّ مِنَ الثُّبُورِ» [٤٣٣].

بل يمتد الأمر إلى أبعد من ذلك، فالشخص الذي يرى نفسه مظلوماً وأن الطرف الآخر ظالم له يجب عليه أيضاً السعي لتطوير الرابطة معه والسعي للتصالح وإزالة غبار وافرارات الظلم، كما نقرأ هذا في حديث آخر في كتاب «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لَا يَفْتَرِقُ رَجُلَانِ عَلَى الْهَجْرَانِ إِلَّا اسْتَوْجَبَ أَحَدُهُمَا الْبِرَاءَةَ وَاللَّعْنَةَ وَرُبَّمَا اسْتَحَقَّ ذَلِكَ كِلَاهُمَا فَقَالَ لَهُ مُعْتَبٌ جَعَلَنِي اللَّهُ فِيمَا هَذَا الظَّالِمُ فَمَا بَالُ الْمَظْلُومِ قَالَ لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو أَخَاهُ إِلَى صَلَاتِهِ» [٤٣٤].

وهذه إشارة إلى لزوم التحرك على مستوى حل المشكلة بصورة سلمية ومنطقية فيما بينهما.

ثم إن الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية التاسعة والعاشر في كلامه يقول:

«لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٢٢

هنا ربما يطرح هذا السؤال نفسه: هل هناك رابطة معنوية وغيبية بين حكومة الأشرار وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أم توجد رابطة ظاهرية وملموسة بينهما؟

الظاهر أنه من الممكن إثبات العلاقة بينهما بصورة منطقية، لأن أحد المصاديق المهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتمثل في التصدي لقوى السلطة والحكومة فيما لو ارتكبوا مخالفات شرعية ودستورية، فيجب على عامة الناس تذكيرهم بواجباتهم ومطالبتهم للحكام العمل وفق مقتضيات العدل والشرع، فلو أن الناس تركوا هذين الأمرين ووجد الحكام أنفسهم أحراراً في ما يتصرفون وفيما يسلكون دون أي اعتراض من أحد عليهم، فذلك من شأنه أن يزيدهم جرأة وجساراً على التوغل في خط الانحراف والظلم، وبالتالي يتسلط الأشرار على المجتمع الإسلامي.

ولكن لماذا لا يستجاب الدعاء لرفع شر حكام الجور والشر؟ فذلك لما ورد في الروايات الإسلامية أن المصيبة والبلاء إذا كان بسوء اختيار الإنسان نفسه وتقصيره، فالدعاء لرفعه لا يكون مستجاباً ويقال له: هذه نتيجة أعمالك، لماذا تصرفت مثل هذا التصرف وارتكبت العمل الفلاني الذي تسبب لك بهذه العاقبة السيئة؟

والملفت للنظر ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام أن الأختيار أيضاً في مثل هذه الظروف إذا دعوا لا يستجاب لهم: «فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ» [٤٣٥].

## تأمل

### أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وردت بحوث كثيرة وموسعة في النصوص القرآنية والروايات الشريفة بالنسبة لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونكتفي هنا

بذكر روايتين في هذا الشأن:

جاء في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ

نَفَحَاتِ الْوَلَايَةِ، ج ١٠، ص: ٢٢٣

الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهَا جُ الصُّلْحَاءِ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ وَتَأْمَنُ الْمَيْذَاهِبُ وَتَحِلُّ الْمَكَاسِبُ وَتُرَدُّ الْمَظَالِمُ وَتُعْمَرُ الْأَرْضُ وَيُنْتَصَفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَيَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ» [٤٣٦].

وجاء في ذيل هذا الحديث أن الله عز وجل أوحى إلى شعيب النبي عليه السلام أتى معذب من قومك مائة ألف نفر، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال شعيب عليه السلام: يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: «دَاهَنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَلَمْ يَعْصِبُوا لِعَاصِي» [٤٣٧].

ونقرأ في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَمَنْ نَصَرَهُمَا أَعَزَّهُ اللَّهُ وَمَنْ خَذَلَهُمَا خَذَلَهُ اللَّهُ» [٤٣٨].

والتعبير بـ «خلقان» في الواقع نوع من التشبيه، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد منه الخلق (بضم الخاء) ويعنى الخصلة في ذات الإنسان، ولكن هذا الاحتمال بعيد ظاهراً بقرينة ما ورد في ذيل الحديث.

وعلى أية حال فإن مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور التي أكدت عليها التعاليم السماوية وعمل بهذه الوظيفة الأنبياء والأولياء الإلهيين وقد أمروا جميع الناس بأداء هذه الوظيفة الشرعية.

وفي ختام هذا المقطع من هذه الوصية، لأبد من الإعراف بصراحة أن هذه التوصيات العشر المذكورة أعلاه لو تجسدت في حياة المسلمين على مستوى التطبيق والممارسة فإنها تضمن لهم العزة والقدرة والرفعة في الدنيا، والسعادة الأبدية في الآخرة ولا يتوقع من شخصيته نموذجية كأمير المؤمنين عليه السلام في وصيته وهو على فراش الشهادة غير هذه التوصيات التي تتضمن سعادة الدنيا والآخرة للمسلمين.

نَفَحَاتِ الْوَلَايَةِ، ج ١٠، ص: ٢٢٥

## القسم الرابع

### إشارة

ثُمَّ قَالَ:

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَأُفَيِّنَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا، تَقُولُونَ: «قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ». أَلَا لَاتَقْتُلُنَّ بِي إِذَا قَاتَلِي. أَنْظَرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَيْدِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبِهِ، وَلَمَا تُمَثَّلُوا بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثَلَّمَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعُقُورِ».

### الشرح والتفسير: توصية الإمام عليه السلام المؤكدة حول قاتله!

في هذا المقطع الأخير من هذه الوصية يتوجه الإمام عليه السلام بكلامه نحو أقربائه وأرحامه من أبناء عبدالمطلب ويوصيهم بثلاثة أمور مهمة فيما يتصل بقاتله، وهذا يعكس عظمة الإمام عليه السلام وسعة صدره تجاه أعدائه ومناوئيه.

بداية يقول:



فنزلت الآية: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» [٤٤٥]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أصبرُ أصبرُ» [٤٤٦]

(يعنى ولا أنتقم).

ونعلم جيداً أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعد فتح مكّة كان يملك القدرة الكاملة على الانتقام من أعدائه والمجرمين بأشدّ أنواع الانتقام ولكنه أثر العفو والصفح عنهم، أضيف إلى ذلك ما ورد في حديث عن أحد الصحابة أنّه قال: «مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خُطْبَةً أَبَدًا إِلَّا أَمَرَنَا فِيهَا بِالصَّدَقَةِ وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْثَلَةِ» [٤٤٧].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٢٩

## الرسالة ٤٨

### إشارة

إلى معاوية [٤٤٨]

### نظرة عامة للرسالة

بداية لابد من الإشارة في شأن صدور هذه الرسالة كما ذكر ذلك صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة وأنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أحد أيام معركة صفين حيث اشتد فيه القتال، وضع عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسه وقال: أيها الناس من أراد أن يتعامل مع الله في هذا اليوم فليستعد، فقام معه عشرة آلاف نفر أو أكثر فاستعدوا للقتال مع الإمام، ثم إن الإمام عليه السلام قرأ آياتاً من الشعر الحماسي وهجم على جيش الشام، وكذلك حمل من معه حملة رجل واحد وشقوا صفوف جيش الشام، فعندما رأى معاوية هذا الحال ركب جواده واستعد للفرار، ولكن عمرو بن العاص أوصاه بأن يرفع المصاحف على الرماح ويدعو جيش الإمام عليه السلام بالخضوع لحكم القرآن،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٠

وهذا الأمر أدى إلى وقوع الاختلاف في صفوف جيش العراق، وفي ذلك الوقت كتب معاوية كتاباً للإمام على عليه السلام وخلاصته: لقد طالت بنا الحرب وكل واحد منا يرى الحق بجانبه، وقد قتل جماعة كثيرة من الناس وإنني أخاف أن يكون المستقبل أسوأ من ذلك وسنكون غداً مسؤولين أمام الله عن هذا الأمر، فإننا أدعوك لما فيه صلاح الأمة وحفظ دمايتها ودفع الفتنة والعداوة، وذلك أن نختار رجلين ممن نرضاهما لأمر التحكيم أحدهما من أنصارى والآخر من أنصارك ليحكموا طبقاً لحكم الله فاتق الله وارض بحكم القرآن والسلام.

فكتب إليه الإمام عليه السلام في مقام الجواب هذه الرسالة، التي تشتمل على نصائح لمعاوية وتحذيره من عاقبة أعماله التي ستقوده للندم والخسران، وهذه هي عاقبة كل من سار في خط الشيطان وأذعن لدعوته وسلّم زمام أموره بيده.

وفي القسم الآخر من هذه الرسالة، يعلن الإمام عليه السلام قبوله بمسألة حكمية القرآن، لا من أجل دعوة معاوية، بل بسبب عظمة القرآن وحرمة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣١

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتِعَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيْبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَاحْزَنُوا يَوْمًا يَعْتَبُطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَتَهُ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَازِبْهُ. وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامَ.

نفحات الولاية؛ ج ١٠؛ ص ٢٣١

### الشرح والتفسير: نصيحة جامعة لمعاوية

يشير الإمام عليه السلام في هذه الرسالة الموجزة والعميقة المعنى إلى عدّة نقاط مهمّة ذكر بها معاوية بأنّه إذا استمع لنصيحة الإمام عليه السلام من كلّ قلبه وتحرك على مستوى العمل لتطبيقها فإنّه لم يكن ليحدث كلّ هذا الفساد في العالم الإسلامي وسوف لا يتسنى لشجرة بنى امية المشؤومة في النمو والرشد في البلاد الإسلاميّة المقدّسة.

بداية يتحدّث الإمام عليه السلام في نصيحته بشكل عام ويقول:

«وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ» [٤٤٩]

يُوتِعَانِ [٤٥٠] الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيْبُهُ.

أجل، لا شيء أشنع وأساء من الظلم والكلام الباطل، لأنّه يخدع الإنسان ويوقعه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٢

في وداى الهلكة والمناهة بحيث لا طريق له للعودة للإيمان والصلاح وبالتالي سيخسر دينه ودنياه، وسيفتضح لدى عامّة الناس ويعرفونه بالفساد والإفساد.

وفي النقطة الثانية يقول الإمام عليه السلام:

«وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ».

يعتقد الكثير من شراح نهج البلاغة أنّ هذه الجملة إشارة إلى مطالبة معاوية بدم عثمان، لأنّ الأشخاص الذين رجحوا السكوت وتركوا نصره عثمان فهم شركاء في قتله، ولكنهم ومن أجل التشويش على العوام وتحميقهم والتوصل إلى مآربهم الدنيئة رفعوا لواء الثأر لدم عثمان وطلبوا من الإمام عليه السلام أن يسلمهم قتله عثمان ليقصصوا منهم، ولكن الإمام عليه السلام يقول: إنّك بهذا العمل لن تصل إلى مقصودك وأنت وأعدائك شركاء في قتل عثمان ولا يمكنكم المطالبة بدمه والقصاص من قتله.

ويحتمل أيضاً في معنى هذه العبارة أنّ المراد من جملة

«مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ»

، هو حكومة الشام التي يطالب بها معاوية من الإمام عليه السلام، فالإمام عليه السلام يقول: إنني لا أسمح لك أبداً بتولى حكومة الشام، والشاهد على هذا الاحتمال ما ورد سابقاً في الرسالة رقم ١٧.

وهناك احتمال آخر أيضاً طرحه بعض الشراح في هذا المورد، وهو أنّ الإمام عليه السلام يقول: أنت لن تصل إلى مرادك من الدنيا وأنّ حكومتك مع ما فيها من الحوادث والمشكلات ستمر بسرعة وتقودك إلى الهلكة، والشاهد على هذا المعنى ما أورد بعض

المؤرخين في نقلهم لهذه الرسالة من جملة قبل هذه الجملة حيث يقول الإمام عليه السلام فيها:

«فَاحْزَنُوا لِدُنْيَاكُمْ فَإِنَّهُ لَأَفْرَحَ فِي شَيْءٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْهَا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ...» [٤٥١].

ثمّ يشير الإمام عليه السلام في النقطة الثالثة من رسالته محذراً معاوية لينتبه من غفلته ويقول:

«وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا [٤٥٢] عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٣

ويرى أغلب شراح نهج البلاغة أن هذه الجملة إشارة إلى طلحة والزبير وأنصارهما الذين أشعلوا نار حرب الجمل للتوصل إلى مقام الخلافة وسدده الحكم، فهؤلاء تعاهدوا فيما بينهم بأنهم لا يتركوا هذا الأمر حتى يحصلوا على حكومة البصرة وإن استطاعوا أكثر من ذلك فإنهم يوسعون سلطانهم على المناطق الأخرى ولكنهم بأجمعهم أخفقوا في تحقيق مبتغاهم وقد قتل زعمائهم وانهزم الباقون، أما عائشة التي كانت من قادة هذه الفتنة والحرب، فقد عفى عنها الإمام عليه السلام وعادت إلى المدينة في حالة الخجل والندم، وعلى ضوء ذلك فإن جملة « فَأَكْذَبَهُمْ »

، تعنى أن الله تعالى فضحهم وأكذب احدثهم وأبرز خديعتهم.

ثم إن الإمام عليه السلام في النقطة الرابعة يحذر معاوية ويذكره بقيام الساعة وأنه سيرى عاقبه أمره وأعماله في ذلك اليوم، يقول: «فَأَحْذَرُ يَوْمًا يَغْتَبِطُ [٤٥٣] فِيهِ مَنْ أَحْمَدُ [٤٥٤] عَاقِبَهُ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمَكَّنَ [٤٥٥] الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ [٤٥٦] فَلَمْ يُجَاذِبْهُ».

أجل، في ذلك اليوم يفرح الصالحون ويغتبط المؤمنون، ولكنهم في الوقت نفسه يتأسفون على ما فاتهم من أيام وساعات لم يعملوا فيها عملاً صالحاً ولم يزدادوا من الصالحات والخيرات، أما الأشرار فإنهم سيعيشون الندم الشديد بسبب إرتكابهم للسيئات ولما يرونه أمام أعينهم من عذاب أليم على ما إجترحوه في الدنيا.

ويطلق القرآن الكريم على يوم القيامة بأنه «يوم الحسرة» ويقول: «وَأَنْذَرُكُمْ يَوْمَ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٤

الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» [٤٥٧].

ويقول في الآية ٥٤ من سورة يونس: «وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَبُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

وقد ورد في بعض نسخ نهج البلاغة كلمة «يغتبط» بصورة مبني للمجهول وتعنى أن الصالحين سيقعون مورد غبطة الآخرين، وهذا التعبير أنسب مع مفهوم الغبطة.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه بعد النصائح المثيرة ويبين الهدف الأصلي من هذه الرسالة ويقول:

«وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجْبِنًا، وَلَكِنَّا أَجْبِنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ».

ومعلوم أن معاوية لم يكن من أهل القرآن، والشواهد التاريخية تدل على أنه لم يكن يؤمن بالقرآن إيماناً سليماً، بل كان يتخذ القرآن وسيلة للخلاص من الهزيمة القطعية والتوصل إلى أهدافه وغاياته المشؤومة.

جاء في كتاب «صفين»: عندما رفع أهل الشام المصاحف على الراح، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي أَحَقُّ مَنْ أَجَابَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَكِنَّ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَابْنُ أَبِي مُعِيْطٍ وَحَبِيبُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَابْنُ أَبِي سِرْحٍ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ إِنِّي أَعْرِفُ بِهِمْ مِنْكُمْ صَحْبَتَهُمْ أَطْفَالًا وَصَحْبَتُهُمْ رِجَالًا فَكَانُوا شَرَّ أَطْفَالٍ وَشَرَّ رِجَالٍ» [٤٥٨].

ويتبين من هذه العبارة أن الإمام عليه السلام لم يكن راضياً بمثل هذا التحكيم الكاذب للقرآن الكريم، ولكن جماعة من أنصاره وأتباعه الجهلة فرضوا على الإمام عليه السلام هذه القضية، وعندما شاهدوا العاقبة السيئة لهذا التحكيم ندموا على ذلك، والعجيب أنهم اعترضوا على الإمام لقبوله أمر التحكيم!

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٥

## الرسالة ٤٩

## إشارة

إلى معاوية أيضاً [٤٥٩]

## نظرة عامة للرسالة

كما ورد في بحث سند هذه الرسالة فالمخاطب لها- كما يعتقد الكثير من المؤرخين والشارحين- هو عمرو بن العاص، وقد صرح بهذا المعنى الدينوري في كتابه «الأخبار الطوال»، ونصر بن مزاحم في كتاب «صفين»، أضاف إلى ذلك أن قسماً من هذه الرسالة قد حذفها السيد الرضى عند انتقائه لبعض المواضيع منها ولكنه يذكر بأن الإمام عليه السلام في ذلك المقطع المحذوف حذر عمرو بن العاص بصراحته من أتباعه لمعاوية.

وعلى أية حال، فالمخاطب لهذه الرسالة أياً كان، يتحدث الإمام عليه السلام معه بكلامه البليغ ومواعظه المثيرة أن لا ينخدع بالدنيا، فالدنيا لا ترضى أصحابها أبداً فيما يطمعون للوصول إليه ويزداد حرصهم للتوصل إلى مبتغاهم، وضمناً يوصيه الإمام بالاعتبار من تاريخ الأقبام السابقة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٧

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصَبِّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهْجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَعْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ، وَنَقْضٌ مَا أُبْرِمَ! وَلَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ.

## الشرح والتفسير: الحرص على الدنيا لا يوصلك إلى شيء!

في هذه الرسالة وبعد أن يحمد الإمام عليه السلام البارئ تعالى ويشنى عليه يلفت نظر المخاطب «سواءً كان معاوية أو عمرو بن العاص» إلى أمور مهمة.

بداية يقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا».

لأنَّ عمل الدنيا وسلوكها إلى درجة من التعقيد والتنوع والمثير للتشويش بحيث إنَّ الإنسان إذا اتَّجه نحوها فإنَّها ستشغله في جميع عمره ووقته حتى يغفل عن الاهتمام بسلامته وراحته والقيام بوظائفه تجاه زوجته وأبناءه وأصدقائه وأرحامه، وأكثر من ذلك تشغله عن أداء الفرائض الإلهية والتكاليف الشرعية، حتى يصل الأمر بأصحابها فيما لو كانوا من أهل الصلاة أن يؤدوا صلاتهم في آخر وقتها ويفكرون في أثناء الصلاة في أمورهم الدنيوية، ويستعجلون باتمامها بعيداً عن حالات التوجه القلبي إلى الله تعالى في صلاتهم، وأحياناً يخرجون من بيوتهم في الصباح الباكر في طلب الدنيا وأبناؤهم يغطون في نوم عميق، وعندما يعودون في الليل يرون أطفالهم نيام كذلك، وهذه طبيعة أصحاب الدنيا وحياتهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٨

وفي المقطع الثاني يتعرض الإمام عليه السلام لمسألة خطيرة وهي حالة الحرص لدى أصحاب الدنيا ويقول:

«وَلَمْ يُصَبِّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهْجاً [٤٦٠] بِهَا، وَلَنْ يَسْتَعْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا».

وقد ورد في بعض الروايات تشبيه الدنيا بماء البحر المالح، الذي كلما شرب منه العطشان إزداد عطشاً، وهذا ما ورد في حديث عن



الإمام الكاظم عليه السلام يقول:

«مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ زَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ» [٤٦١].

ويتحدث القرآن الكريم عن هذه الحالة ضمن قصة بليغته تتلخص في أخوين متخاصمين جاءا إلى النبي داود عليه السلام فقال أحدهما «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» [٤٦٢].

فحكم داود عليه السلام بينهما وقال: «قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ...» [٤٦٣].

هذه القصة تشير إلى أن أصحاب الدنيا يعيشون الحرص والولع إلى درجة إلى أنهم لا يرضون للآخرين أن يملكوا أدنى شيء حتى لو كانوا إخوتهم. وكما يقول الشاعر:

زيادة المرء في دنياه نقصانٌ وربحه غير محض الخير خسرانٌ  
وكلُّ وجدانٍ خطٌّ لانبات له فإنَّ معناه في التحقيق فُقدانٌ  
يا عمراً لخراب الدهر مُجتهداً بالله هل لخراب العمرِ عمرانٌ  
يا خادمَ الجسمِ كم تسعى لخدمته فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانٌ  
وذو القناعة راضٍ في معيشته وصاحب الحرص إن أثرى فغضبانٌ  
هما رضيعا لبانٍ حكمه وتقى وساكناً وطنٍ مالٍ وطغيانٌ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٣٩

وجاء في الحديث القدسي المعروف:

«لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِمَا ثَالِثًا وَلَا يَمَلُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ» [٤٦٤].

وقال الشاعر:

وَيَحْكِكِ يَا نَفْسُ دَعَى مَا عَشْتِ ذَلَّ الطَّمَعِ  
وَارْضِي بِمَا جَرَى بِهِ حُكْمُ الْقَضَاءِ وَاقْتِنِي  
إِيَّاكَ وَالْمِيلَ إِلَى شَيْطَانِكَ الْمُبْتَدِعِ  
وَاقْتَصِدِي وَاقْتَصِرِي كِي تَرْتَوِي وَتَشْبَعِي  
أَيْنَ السَّلَاطِينِ الْاُولَى مِنْ حَمِيرٍ وَتَبِعِ  
شَادُوا الْحُصُونَ فَوْقَ كُلِّ شَاهِقٍ مُرْتَفِعِ  
لَمْ يَبْقَ مِنْ دِيَارِهِمْ غَيْرَ رُسُومٍ خُشَعِ  
كَفَا بَذَاكَ وَاعْظَاوُزًا جَرًّا لِمَنْ يَعِي  
حَسْبُكَ يَا نَفْسُ اِقْبَلِي نُصْحِي وَلَا تُضَيِّعِي [٤٦٥]

وحالة الحرص في الحقيقة نوع من الجنون، لأن الكثير ممن يعيشون هذه الحالة يملكون كل ما يمنحهم الرفاهية والراحة في الحياة بحيث إنهم يستطيعون بما يملكونه من العيش إلى آخر حياتهم بشكل جيد ومريح، ولكن جنود الحرص لا يدعهم يعيشون في راحة وتدعوهم باستمرار إلى بذل مزيد من الجهد والتعب لتحقيق المزيد والمزيد بحيث إنهم لو أعطوا جميع ما في الدنيا لتمنوا أن يكون لهم ما في السموات أيضاً.

ولذلك نقرأ في دعاء بعض الأئمة المعصومين عليهم السلام:



«أَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ» [٤٦٦]

وفي الحقيقة فالحرص يعتبر المنبع

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٠

الأصل لجميع المشكلات والمصاعب وما يترتب عليها من نتائج أليمة وعواقب سيئة.

ونختم هذا البحث بحديث عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

«مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بَابًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَزْصِ مِثْلَهُ» [٤٦٧].

وفي المقطع الأخير يقول الإمام عليه السلام:

«وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أُبْرِمَ! [٤٦٨].»

أجل، فإنه لا تمضى مدّة حتى يجد الإنسان نفسه وهو يودع ما تعب في تحصيله من الأموال النفيسة والمملوكات والأشياء الجميلة ويتركها جميعاً ويكتفى بحصته من هذه الثروات وهي الكفن حيث يذهب معه إلى قبره.

ويتحدث القرآن الكريم عن قصور الفراعنة وما تركوه من بساتين ومزارع وعيون وقرى مزدهرة، ويقول: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ» [٤٦٩].

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه في هذه الرسالة ويشير إلى النقطة الرابعة:

«وَلَوْ اعْتَبِرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ.»

إن الاعتبار من مصير السابقين يعدّ من المسائل المهمة التي ورد التأكيد عليها في القرآن الكريم وأحاديث نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وأئمة الدين عليهم السلام.

يقول القرآن الكريم: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» [٤٧٠].

وأساساً فإنّ قسماً مهماً من الآيات القرآنية التي تتحدث عن تاريخ الأقسام السابقة ناظر إلى هذه المسألة، لأنّه لا درس ولا عبرة أبلغ من دورس التاريخ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤١

والحوادث الواقعة في طيات التاريخ البشري، ولكن الكثير من الناس، كما يقول القرآن الكريم يمرّون على هذه الآيات والآثار دون التدبر فيها وكسب العبرة منها، فيمرّون على آثار القدماء وأطلال الأقسام الغابرة لغرض النزّهة والترويح عن النفس فقط، واليوم نرى أنّ صناعة السياحة تتسع وتزدهر وفي الغالب ينظر السياح إلى الآثار التاريخية بوصفها آثار فنية وتعكس حضارة أولئك القوم ومقدراتهم الفنية وإمكاناتهم العمرانية ويفتخرون بذلك دون أن يطالعوا مستقبلهم وما سيكون مصيرهم من خلال هذه الآثار والأطلال.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٣

الرسالة ٥٠

إشارة

إلى أمرائه على الجيش [٤٧١]

### نظرة عامة للرسالة

تشكل هذه الرسالة أساساً من ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: يتحدث الإمام عليه السلام عن حقّ الله تعالى على أولياء الأمور ومن بيدهم مقاليد الولاية والسلطة، فلا ينبغي أن تكون هذه القدرة والسلطة عاملاً لغفلتهم عن حاجات الناس وإبعادهم عنهم، بل ينبغي استثمار هذه القدرة للانفتاح على الناس والاقتراب منهم والسعى في قضاء حوائجهم.

وفي المقطع الثاني: يخاطب الإمام عليه السلام قادة جيشه ويقول: إنني أحسبكم بطانتي وإخواني ولا أكتمكم سرّاً، (سوى الأسرار العسكرية والحربية) وأستشيركم في المسائل التي ليس فيها حكم إلهي مسلم وأودى حقكم كاملاً، وفي مقابل ذلك يجب نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٤

عليكم أن تتحركوا في خط الطاعة لأوامري التي تصبّ في خدمة الأمة الإسلامية ولا تتوانوا عن خدمة المسلمين ولا تمتنعوا عن أي تضحية وإيثار.

وفي المقطع الثالث: يتحدث الإمام عليه السلام عن الأشخاص الذين سلكوا طريق المخالفة والعناد وتمردوا على طاعة إمامهم، ويهددهم بالعقوبة القاسية.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٥

### القسم الأول

#### إشارة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَاحِ.  
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رِعْيَتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ، وَعَظْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ.

### الشرح والتفسير: لا يبعدنكم المقام عن الناس!

يتحدّث الإمام عليه السلام في المقطع الأول من هذه الرسالة إلى زعماء جيشه بوصفهم «أصحاب المسالِح» أي المحافظين للثغور ويقول:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَاحِ».

«المسالِح» جمع «مسلحة» وتعني الحد والثغر، والحدود عادة هي المناطق التي تقع في أطراف البلاد، وربما تتعرض لهجوم من قبل العدو، ولهذا السبب فإن الحكومات تضع قسماً مهماً من قواتها المسلحة في هذه المناطق لتأمين من هجوم الأعداء المباغت على هذا البلد، وهذا التعبير يشير إلى أن الاهتمام بالثغور وتحصين الحدود يعتبر من أهم وظائف القوات المسلحة والجيش في الإسلام.

ثم يشرع الإمام عليه السلام من نفسه ويبيّن حقوق الوالي بشكل عام، وفي المقطع الآخر يشير إلى موارد خاصّة بالتحديد كشرح وبيان

لهذا المجمل ويذكرها واحداً بعد الآخر.

وعلى أية حال فالإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة يشير إلى نقطتين مهمتين:

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٦

الأولى: قوله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رِعْيَتِهِ فَضْلُ نَالِهِ، وَلَا طَوْلُ [٤٧٢] خُصَّ بِهِ».

وهذه إشارة إلى أن الوالي أو القائد يجب أن يكون إلى درجة من قوة شخصيته وبناء الذات لا يغيره المنصب ولا يضع نفسه في حال وصوله إلى القدرة ويحمله على العجب والغرور والأنانية، وبالتالي يعيش حالات الاستبداد والتفرعن كما هو الحال في غالبية زعماء الدنيا وقادتها الماديين، فإنهم قبل وصولهم إلى مسند القدرة والسلطة يتحدثون للناس بكلمات لطيفة ويعيشون حالة البساطة والشعبية، ولكنهم عندما يصلون إلى مسند السلطة ينسون كل شيء وتبدأ حالات الاستبداد تتضح لديهم، ولكن أولياء الله والأشخاص الذين يسيرون في خطهم مصونون من هذا الخطر.

في المقطع الثاني يضيف الإمام عليه السلام:

«وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ، وَعَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ».

وتشير هذه العبارة إلى أن الإنسان الجالس في مسند الرئاسة والقدرة ليس فقط لا ينبغي له الاستبداد والابتعاد عن الناس بل بعكس ذلك يجب عليه كلما ازدادت نعمه الله عليه أن يقترب من الناس أكثر فأكثر، ويتواصل معهم من مواقع المحبة والشفقة وهم الذين يصفهم الإمام عليه السلام بأنهم «إخوانه» لأن شكر هذه النعمة لا يتيسر إلا من هذا الطريق.

وعلى هذا الأساس فالإمام عليه السلام يقر لمخاطبيه في البداية بحقهم في مطالبه الإمام بأداء حقوقهم، ثم يبين الإمام في المقطع اللاحق من هذه الرسالة حقه عليهم.

وقد ورد في كتاب «غررالحكم» عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَاعْتَمِدُوا وَلَا تَمَلُّوها فَتَتَحَوَّلَ نِعْمًا» [٤٧٣].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٧

## القسم الثاني

### إشارة

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِرَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةُ، وَلِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ؛ وَأَلَّا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَتِي، وَلَمَّا تَفَرَّطُوا فِي صِلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْعَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنْ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَانِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ. وَالسَّلَامُ.

## الشرح والتفسير: حقوق الإمام وحقوق القادة

في هذا المقطع من الرسالة يفصل الإمام عليه السلام ما أجمله وبينه بشكل عام ومغلق في المقطع السابق.

بداية يشير إلى حقوق الرعية عليه ويؤكد على خمسة حقوق، وأول هذه الحقوق يقول عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أُخْتَجِرَ [٤٧٤] دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ».

ومعلوم أن إخفاء الأسرار عن الأصحاب والأعوان يعد نوع من عدم الثقة والاعتماد عليهم، وفي الكثير من الموارد يتسبب في إساءة الظن أو خلق رؤى

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٨

وتفسيرات مختلفة لحادثه معينه، ولكن إذا كان الإمام عليه السلام أو القائد يتواصل مع أعوانه بشكل مستمر على مستوى إخبارهم بالحوادث الواقعة، فإن ذلك من شأنه توطيد عناصر الثقة وتقوية التعاطف فيما بينهم، فيتراجع سوء الظن والتشويش الذهني إلى الحد الأدنى، وطبعاً هناك موارد لا بد للإمام والوالي من كتمان السر، وذلك في القضايا العسكرية وأمثالها، لأن العدو إذا علم بتفاصيل الخطط العسكرية للطرف المقابل فسيتدبر أموره ويستعد بشكل كامل للمقاومة وسيكون بإمكانه أن يحبط الخطة قبل الموعد المقرر، ومن هذه الجهة نرى أن القادة العسكريين على إمتداد التاريخ يخفون برنامجهم القتالي إلى آخر لحظة ليتمكنوا من توجيه الضربات القاصمة إلى العدو بالاستفادة من عنصر المباغتة.

وفي تاريخ حروب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وغزواته نرى هذا الأصل بوضوح، وعلى حد قول المؤرخ المعروف الطبري: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله، قل ما يخرج في غزوة إلا كنى وأخبر أنه يريد غير الذي يسعى له... [٤٧٥]. يعني ما كان يخبر أصحابه وأنصار بمقصده وغايته النهائية.

وأحياناً كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفيراً إلى الحرب روى غيره، كما روى أنه لما نوى غزوة بدر كتب للسرية كتاباً في المدينة، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة إلى صوب مكة يومين أو ثلاثة ثم ينظروا في الكتاب ويعملوا بما فيه... [٤٧٦]، ومعلوم أن النبي لو كان يبين له في بداية الأمر مراده ومقصوده فإن هذا الخبر بدوره سينتشر ويشيع في كافة أرجاء المدينة ويسارع الجواسيس في إيصال هذا الخبر إلى العدو فيستعدون للقاء المسلمين وربما تنقلب موازين المعركة ويتغير مصير الحرب.

ثم يشير الإمام عليه السلام في الحق الثاني للناس على الوالي ويقول:

«وَلَا أَطْوَى [٤٧٧]

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٤٩

دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ».

وهذا هو أصل المشورة الوارد في القرآن الكريم والروايات الإسلامية بشكل واسع وهو ما يؤكد عليه الخبراء وأصحاب الشأن السياسي في عالمنا المعاصر وإن كانوا يمارسون شيئاً آخر على مستوى العمل، فالمشورة مع الأصحاب والأنصار والأتباع يمنحهم قوة في الشخصية واحساساً في المسؤولية وتحكماً للروابط العاطفية، أضف إلى ذلك أن المشورة تسبب (في غير المعصومين) إلى التقليل من الأخطاء إلى الحد الأدنى.

أمّا في مسألة القضاء وعند صدور الحكم، فيجب على القاضي أن يصدر حكمه بحزم وقوة، وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إِذَا كَانَ الْحَاكِمُ يَقُولُ لِمَنْ عَنِ يَمِينِهِ وَلِمَنْ عَنِ يَسَارِهِ مَا تَرَى مَا تَقُولُ فَعَلَى ذَلِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ أَلَّا يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَتُجْلِسُهُمْ مَكَانَهُ» [٤٧٨].

مضافاً إلى ذلك إذا كان القاضي يفتشى ما في ذهنه من الحكم الشرعي فربما تتحرك عناصر مختلفة لتغيير رأيه أو توهينه وممارسة بعض الضغوطات عليه لإجباره على تغيير الحكم.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الحق الثالث والرابع ويقول:

«وَلَا أُؤَخِّرْ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ».

والفرق بين هذين الحَقَّين يتبين من خلال مثال بسيط، فلو تقرر أن يؤذن لشخص بالسكن في دار لمدة شهر واحد ومعين، فلا ينبغي تأخير إسكانه عن هذا الشهر، والآخر، أنه لا ينبغي تقليص المدَّة قبل انتهاء الشهر، ونتيجة كلا الأمرين أن تؤدَّى الحقوق كاملة دون زيادة أو نقيصة.

وفي الحقِّ الخامس والأخير يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٠

وطبعاً فمراد الإمام عليه السلام أن الوالى أو القائد يتعامل مع جميع الأفراد بشكل مساوٍ دون الأخذ بنظر الاعتبار مواقعهم الاجتماعية وامتيازاتهم المادية، وعلى ضوء ذلك فإنَّ هذا الكلام لا يعنى أنه في حال اختلاف الظروف والمقامات فإنَّ الأفراد يقفون على حدِّ سواء أمام القائد، من قبيل أن يكون شخص أحد قواد الجيش، والآخر رجل عادي، وثالث والياً على منطقة، وآخر حارساً لبنائية المحافظة، وآخر يتولى حراسته بنائية حكوميَّة، أو يكون أحدهم طبيباً والآخر مضمداً، أو يشتغل أحدهم بالأعمال الثقيلة ولأيام متوالية ويتولى الآخر أعمالاً سهلة وفي مدَّة قصيرة، فمن البديهي أن حقوقهم المائيَّة لا تكون سواسية، ولكن إذا كان رجلان يعملان عملاً واحداً فيجب أن تكون اجرتهن واحدة، رغم أن أحدهم من عائلة عريقة ومعروفة، والآخر رجلاً عادياً من عائلة غير معروفة. وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام هذه الحقوق الخمسة للناس على القائد أو الإمام، تعرض لبيان حقوقه للناس وأشار إلى أربعة حقوق. الأوَّل يقول:

«فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِي عَلَيْكُمْ النُّعْمَةُ، وَلِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ».

فعندما أودى هذه التكاليف الحقيقية التي علىَّ تجاهكم فإنَّ نعمه الله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» [٤٧٩]، ستكون كاملة عليكم، ولى حقَّ الطاعة عليكم، ويجب عليكم إطاعة أوامرى التي تضمن لكم سعادة الدنيا والآخرة، وتحفظ مصالحكم الفردية والاجتماعية.

ثمَّ يبيِّن الإمام عليه السلام الحقَّ الثانى ويقول:

«وَأَلَّا تَنْكُصُوا» [٤٨٠] عَنْ دَعْوَةٍ.

إنَّ هذا الأمر الثانى بالنسبة للأمر الأوَّل من قبيل ذكر العام بعد الخاص، لأنَّ المخاطب فى هذه الرسالة هم قادة الجيش، الذين ينبغي عليهم إطاعة أوامر الإمام وخاصَّة فيما يتعلق بالدعوة إلى الجهاد.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥١

ثمَّ يشير الإمام عليه السلام إلى الحقِّ الثالث ويقول:

«وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ».

الكثير من الأشخاص الذين يتحركون بحسب الظاهر فى مسير الطاعة وتلبية دعوة الإمام والقائد، فإنَّهم بسبب التكاسل والتواكل لا يحققون النتيجة المطلوبة، بل الإمام عليه السلام يعتبر هذا الأمر كحقِّ مستقل من حقوق الوالى على الرعية ليعلم الجميع أن إطاعة الأمر شىء، واعتباره أمراً جدياً شىء آخر.

وذهب بعض شرَّاح نهج البلاغة إلى أن هذه الجملة إشارة إلى مسألة الجهاد حيث أكد الإمام عليه السلام على أن وظيفة قادة الجيش الاستفادة من كلِّ فرصة لدفع الأعداء وترك حالة التكاسل والتقصير فى هذا الشأن.

وأخيراً يبيِّن الإمام عليه السلام الحقَّ الرابع والأخير ويقول:

«وَأَنْ تَحْضُوا الْعَمَرَاتِ» [٤٨١]

إِلَى الْحَقِّ».

وهذه إشارة إلى أن التضحية في مقام الدفاع عن البلد الإسلامي تعتبر وطيفة لازمة وتكليف واجب، أي التضحية إلى درجة بذل النفس في سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين، ويعتبر هذا الأمر أحد الحقوق للوالي أو الإمام على قادة الجيش والمسؤولين الأمنيين فرداً فرداً.

تاريخ الإسلام زاخر بمظاهر الإيثار والتضحية وخوض الغمرات للوصول إلى الحق، وكمثال على ذلك:

ما ورد في «تاريخ الطبري» في حوادث سنة ٣٧: أن عمّار بن ياسر خرج إلى الناس فقال: اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبئة سيفي في صدري ثم أنحنى عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإنني لا أعلم اليوم عملاً هو أَرْضَى

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٢

لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أَرْضَى لك منه لفعلته [٤٨٢].

وجاء في «سيرة ابن هشام» أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم أن يمنعوا غيرهم - واتجهوا نحو «بدر» - فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش (وكان يروم من ذلك اختبار مدى استعداد أنصاره وأصحابه للقتال) ... ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «إِنَّا لَنَرُّكَ كَظَبِيٍّ فُلَّانٍ إِنَّا لَنَرُّكَ فَفَاتِلًا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» [٤٨٣]. ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا مَعَكُمَا مِقَاتِلُونَ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً ودعا له به، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشيروا علي أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَّتِكَ حَتَّى تَصِلَ إلَى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك ممّا نمنع أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال له سعد بن معاذ: والله كأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل، قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صديق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ عينك، فسر بنا على بركة الله، فسّر رسول الله بقول سعد ونشطه ذلك... [٤٨٤].

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٣

ثم إن الإمام عليه السلام في المقطع الثالث من كلامه يخاطب المتخلفين بلغة التهديد ليقرن البشارة مع الإنذار ويقول: «فإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَيْقِمْوْا لِي عَلَى ذَلِكْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْيَوْجَ [٤٨٥] مِنْكُمْ، ثُمَّ أَعْظَمَ لَهُ الْعُقُوبِيَّةَ، وَلَمَّا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً».

وفي الواقع أن الإمام عليه السلام في هذا المورد يقرر عقوبتين للمتخلفين، عقوبة معنوية وعقوبة ظاهرية، أما العقوبة المعنوية فسقوط قدرهم ومقامهم عند الإمام عليه السلام إلى درجة الحضيض، وأما العقوبة الظاهرية فهي التعزير البدني الذي يقرره الإمام بحقهم، ومعلوم أن البشارة والإنذار لو لم يقتربا في أمر الإدارة والمسؤولية وخاصة في إدارة الحرب والدفاع، فإنها ستفقد مصداقيتها وفائدتها في ضبط الأمور.

وفي الختام يشير الإمام عليه السلام إشارة مختصرة ودقيقة فيما يتصل بما ذكر آنفاً ويقول:

«فَخَذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ.

وَالسَّلَامُ».

وجملته

«فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ»

إشارة إلى الحقوق الخمسة التي بينها الإمام عليه السلام في مستهل كلامه أنه يعطيهم الحق بأن يطالبوا هذه الحقوق من قادتهم

وامرائهم، وجملته

«أَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ..»

، إشارة إلى الحقوق الأربعة التي طالب بها الإمام عليه السلام منهم، وهي الحقوق التي تصب في صالحهم ومن أجل إصلاح أمورهم. ونرى أن الإمام عليه السلام في هذا المورد يستخدم كلمة «امراء» بصيغة الجمع، ويشير بذلك إلى نفسه والقادة أو الأئمة الذين سيأتون بعده بالحق، ويستلمون زمان الأمور بالحق، لا أن المراد قادة الجيش، لأنهم هم المخاطبين بهذا الكلام.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٥

## الرسالة ٥١

### إشارة

إلى عماله على الخراج [٤٨٦]

### نظرة عامة للرسالة

يشير الإمام عليه السلام في هذه الرسالة إلى عدة نقاط مهمة: ففي المقطع الأول يتحدث الإمام عن الثواب المترتب على أتباع وجهود الجامعين للخراج وما يتحملوه في هذا السبيل من مشقة، ويتحدث الإمام عليه السلام عن ذلك بوصفه ذخيرة يوم المعاد. وفي المقطع الثاني من هذه الرسالة يوصي الإمام عليه السلام بشكل أكيد برعاية العدل والمحبة للناس عند أخذ الخراج منهم وينهى عن أى شكل من الأشكال الإجحاف والتعدى والإضرار بهم، حتى بالنسبة لغير المسلمين الذين لا يعينون العدو على المسلمين يوصى الإمام أيضاً بهذه الوصية في حقهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٦

وفي المقطع الأخير يدعوهم إلى تقديم فروض الشكر على النعم الإلهية ولزوم نصره الدين الإلهي بجميع ما لديهم من قوة وقدرة.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٧

### القسم الأول

### إشارة

مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْدَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كَلَّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَاعْدَرَ فِي تَرْكِ طَلْبِهِ.



## الشرح والتفسير: حذار من ظلم الناس!

## إشارة

المراد بأصحاب الخراج هم المأمورون على جمع خراج الأراضي المفتوحة عنوة، وتوضيح ذلك: عندما ينتصر المسلمون على الأعداء فإن أراضيهم ستكون من الناحية العملية ملكاً للمسلمين، ولكن المسلمين في الغالب يدعون هذه الأراضي بأيدي أصحابها الأصليين، وفي مقابل ذلك عليهم أن يدفعوا مبلغاً من المال أو مقداراً معيناً من محاصيل تلك الأراضي بوصفها ضريبة أو اجرة تؤخذ منهم ولا يكون هذا المبلغ ثقیلاً وكثيراً عادة، وهذه المسألة بدأت منذ عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بفتح خيبر، ثم استمرت في الفتوحات الإسلامية الأخرى ويشكل الخراج الجزء الأهم من بيت المال في ذلك الوقت، وهو مبلغ له شأن ويتعلق بجميع المسلمين، وطبعاً هناك عمال ومسؤولون آخرون يتولون جمع الزكاة من المسلمين لتصرف على حاجات جيش الإسلام والقضاة والفقراء والمحتاجين.

والإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة يؤكد على عدّة أمور:

الأول: يحذر الإمام عليه السلام أصحاب الخراج بأن لا يغفلوا عن العالم الآخر وما  
نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٨

سيسرون إليه بعد الموت، فالغفلة عن هذا الأمر ستفقد الإنسان الاستعداد له، يقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا».

ونقرأ في الروايات الشريفة أن عقل الناس هو الشخص الذي يفكر بما بعد الموت:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَكْثَرَكُمْ أَكْثَرُكُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ» [٤٨٧]

، وهذا يعني أن الإنسان ما لم يفكر في سفر الآخرة فإنه لا يهيئ لنفسه وسائل هذا السفر الخطير وسيخرج من الدنيا خالي اليدين.

وفي الأمر الثاني يخاطب الإمام عماله على الخراج ويقول:

«وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كَلَّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ».

هل أن مقصود الإمام عليه السلام من هذه العبارة سعى هؤلاء في جمع الخراج فقط، أم يشمل جميع التكاليف الواجبة على الإنسان؟  
يحتمل كلا الأمرين، ومع الالتفات إلى أن الجملة السابقة عامة وتشمل جميع الأعمال فإن الاحتمال الثاني أنسب حسب الظاهر، وهذا  
في الواقع إشارة إلى مضمون الآيات الشريفة: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [٤٨٨]، و«يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ  
الْعُسْرَ» [٤٨٩].

أجل، فإن الله تعالى جواد وكريم وفي مقابل أعمالنا الصغيرة يعطينا الثواب العظيم.

وفي الأمر الثالث يشير الإمام عليه السلام إلى موضوع يتعلق بترك الظلم، ويقول:

«وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَهْيُ اللَّهِ عَنْهُ مِنَ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَأَعْدَرَ فِي تَرْكِ طَلْبِهِ».

وهذه إشارة إلى أن للظلم والجور عقوبة شديدة قطعاً، وفي تركه ثواب جزيل أيضاً، وعلى هذا الأساس ينبغي على الإنسان ترك مثل  
هذه السلوكيات الظالمة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٥٩

ليس فقط بسبب خوفه من عقوبتها، بل من أجل تحصيل الثواب على تركها أيضاً.

ونقرأ في الكلمات القصار للإمام عليه السلام في نهج البلاغة ما يشبه هذا المعنى والمضمون بتعبير أوسع وأبلغ حيث يقول:



«لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعْمِهِ» [٤٩٠].

## تأمل

### ماذا يعنى الخراج؟

كلمة «خراج» و «خرج» مأخوذة فى الأصل من «خروج»، وتعنى ما يتحصل من مال شخص أو من أرضه الزراعيه، وذهب بعضهم إلى أن كلمة «الخراج» تعنى مال الإجارة للأراضى، يقول الراغب فى كتاب «المفردات»: الخراج يطلق غالباً على الضرائب التى توضع على الأراضى الزراعية والبساتين، وعلى أية حال فإن هذه الكلمة فى اصطلاح الفقهاء تعنى الضرائب الموضوعه على الأراضى الخراجيه، أى الأراضى التى اخذت من الكفار بالحرب والقتال، وأحياناً تطلق على ما يتحصل من الأراضى المزروعه التى تعتبر قسماً من الأنفال، والقسم الأول يتعلق بجميع المسلمين، والقسم الثانى يختص بالحاكم الإسلامى.

وجاء فى بعض كتب أهل السنه أن الخراج فى اصطلاح الفقهاء له معنيان عام وخاص، فالخراج- بالمعنى العام- هو الأموال التى تتولى الدوله أمر جبايتها وصرفها فى مصاريفها، وأما الخراج- بالمعنى الخاص- فهو الوظيفة أو (الضريبة) التى يفرضها الإمام على الأرض الخراجيه النامية [٤٩١]، وأحياناً تطلق هذه الكلمة على الجزية من غير المسلمين أيضاً.

وبالنسبة لمصرف الخراج فقد ذهب فقهاء الشيعة إلى أن الخراج يجب صرفه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٠

لمصالح المسلمين العامه، من قبيل بناء الجسور وحفظ الأمن والطرق ومساعدة الفقراء والمساكين ومركبات الجنود والمقاتلين والقضاء وقادة الجيش وسائر ما تحتاج الحكومه فى إدارتها والعمل بمسؤولياتها [٤٩٢].

وطبعاً يحدث كثيراً أن قسماً مهماً من الخراج يقسم بين المسلمين الحاضرين بشكل مساوى فى الحكومات العادله (مثل حكومه أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام) وبصوره غير مساويه (مثل حكومه الخلفاء).

أما دليل التساوى فى القسمة، فهو أن الأراضى الخراجيه التى يجمع منها الخراج، ملك لعامة المسلمين وجميعهم يشتركون فى ملكيتها بشكل متساوٍ، والمراد من التساوى، عدم الفرق بين الأفراد بحسب مكائهم الاجتماعيه، بأن فلاناً شيخ قبيله والآخر شخصيه معروفه، وثالث عامل بسيط وما إلى ذلك، بل يتم التقسيم حسب المسؤوليات الملقاه على عاتق الأشخاص، من قبيل القضاء وقيادة الجيش وولاية المدن والمناطق وأمثال ذلك، فهذا مما يدعو للتفاوت قطعاً فى أمر القسمة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦١

## القسم الثانى

### إشارة

فَأَنْصِبُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرِّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسَيَفْرَأُ الْأُمَّةُ وَلَا تُحْشِدُموا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تُحْبِسُوهُ عَنْ طَلَبَتِهِ، وَلَا تَبِعْنِ لِلنَّاسِ فِي الْخُرَاجِ كِشْوَةَ شَتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَغْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانٍ دَرَاهِمٍ وَلَا تَمَسَّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلًِّ وَلَا مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُغْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَّبِعِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ. وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوَجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اضْطَرَّعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نُنْصِرَهُ بِمَا بَلَغَتْ

قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

### الشرح والتفسير: رعاية إصناف في أخذ الخراج

يبين الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة بعض جزئيات المسائل والأوامر والنواهي الخاصية بالعاملين على جمع الخراج بعد أن ذكر سلسلة من الكليات في كلامه السابق.

بداية يقول الإمام عليه السلام:

«فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسَفَرَاءُ الْأَيْمَةِ».

والمراد من

«فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

كما ورد الروايات الشريفة، أن يرضا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٢

الإنسان للآخرين ما يرضاه لنفسه ويحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها، وبعبارة أخرى كما أنه يحب أن يأخذ حقه منهم فيجب عليه أن يعطيهم حقوقهم عليه أيضاً.

ونقرأ في رواية جاء رجل أعرابي النبي صلى الله عليه وآله وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته فقال:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي عَمَلًا أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ»

، فقال:

«مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَأْتِهِ إِلَيْهِمْ وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ»

، قال ذلك وأضاف:

«خَلَّ سَبِيلَ الرَّاحِلَةِ»

(أى أنك حصلت على جميع ما تريد في هاتين الجملتين) [٤٩٣].

ويشير الإمام عليه السلام في كلامه هذا إلى ثلاثة مناصب لعمال الخراج ويترتب عليها ثلاث مسؤوليات مهمة تقع على عاتقهم:

الأول: أنهم

«خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ»

يعنى الحافظون على أموال المسلمين لإنفاقها في مصاريفها، والآخر: أنهم

«وُكَلَاءُ الْأُمَّةِ»

وهذا يعنى أن مسؤوليتهم أخذ حقوق الناس من الأشخاص الذين وجب الحق عليهم في ذمتهم بشكل كامل، والثالث: أنهم

«سَفَرَاءُ الْأَيْمَةِ»

إذ ينبغي لهم أن يتخلقوا بأخلاق أئمتهم ويسلكوا مع الناس مسلك أئمتهم في التواصل الإنساني والتعامل الأخلاقي مع الناس، ومن هذا المنطلق فأخذ المال وكذلك حفظها والالتزام بالأخلاق الحسنة مع الناس تعتبر من مسؤوليات العاملين على الخراج.

ثم ينهى الإمام عليه السلام هؤلاء العاملين عن ستة أمور، الأمر الأول، يقول عليه السلام:

«وَلَا تُحْشِمُوا» [٤٩٤] أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ».

وهذا يعنى أن الواجب عليكم أن تتعاملوا مع الناس بحيث لا يخجلون من

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٣

عرض حاجتهم عليكم، مثلاً إذا كانت بعض الشياه محببة لديهم، أو أن بعض المحاصيل الزراعية مورد اهتمامهم، فعليكم أن تسلكوا معهم بحيث يمكنهم إظهار مقاصدهم أمامكم وعليكم بأخذ الخراج والزكاة من مورد آخر.

أما النهي الثاني فيقول عليه السلام:

«وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلَبَتِهِ».

وهذه إشارة إلى أنهم لو كانت لديهم مطالب مشروعة في كيفية تقسيم الأموال وتقسيم الخراج، فينبغي مراعاتها والاستجابة لهم.

وفي النهي الثالث، يمنعهم الإمام عليه السلام من أخذ وسائل الحياة الضرورية (وهي مستثنيات الدين) ويقول:

«وَلَا تَبْيَعَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا ذَابَّةً يَغْتَمِلُونَ عَلَيْهَا وَلَا عَبْدًا».

ويعتبر هذا الحكم من الأحكام الإنشائية والأخلاقية في التعاليم الإسلامية، وذلك أن الإسلام لا يسمح حتى للمدنيين أن يتخلوا عن ضروريات الحياة والمعيشة لهم لأداء الدين، بل لو كان له مال آخر لزم تسديد الدين من ذلك المال، وإن لم يكن لديه مال آخر وجب إمهاله إلى زمان السعة والقدرة على أداء الدين.

ويقول الإمام عليه السلام في النهي الرابع:

«وَلَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانِ دِرْهَمٍ».

وبعبارة أخرى أن أى نوع من أنواع العنف والإكراه ممنوع في مجال أخذ حق بيت المال، والتجربة تشير إلى أن أساليب العنف في أداء الديون تأتي بنتيجة عكسية، وبالعكس ذلك فاسلوب المحبة واللين يزيد من أموال بيت المال.

والتعبير «درهم» يمكن أن يكون إشارة إلى الأموال الصغيرة، يعنى فى المال الصغير وفى جزئيات الأمور لا ينبغى التعامل مع الناس بمنطق الخشونة والقوة، وذهب بعض الشراح إلى احتمال أن يكون المراد من «درهم» فى هذه الجملة، جنس المال، يعنى لا يحقّ لكم أن تضيقوا على الناس من أجل أخذ الأموال منهم.

ويقول الإمام عليه السلام فى النهي الخامس:

«وَلَا تَمَسَّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلًّا وَلَا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٤

مُعَاهِدٍ [٤٩٥]، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ».

وهذه الجملة إشارة إلى المنافقين والانتهازيين الذين يملكون السلاح والمركب ويجعلونها فى خدمة أعداء الإسلام، وفى مثل هذه الموارد يحقّ لهؤلاء العاملين أخذ هذه الوسائل منهم دون دفع ثمنها وقيمتها إليهم، لأنّ دفع ثمنها يمنحهم أيضاً القوة والقدرة لتنفيذ مخططاتهم وبرامجهم المعادية، وفى الحقيقة إن مثل هذا العمل هو نوع من المصادرة المشروعة للأموال، الذى أذن فيه الإمام عليه السلام بالنسبة لبعض الأشخاص المستثنون عن القاعدة، ولكن أموال سائر المسلمين وغير المسلمين من أهل الذمة محفوظة ويجب احترام مالكيتهم لها.

صحيح أن هذا الموضوع لا يرتبط بمسألة الخراج، ولكن فى الواقع وظيفته أخرى ربّما يواجهها العاملون بالخراج وبالتالى ينبغى عليهم العمل بها.

وتمه بحث فى الفقه الإسلامى فى باب المكاسب المحرمة حول حرمة إعانة الظالمين، وكذلك يوجد بحث فى عدم جواز بيع الأسلحة لأعداء الإسلام، حيث ورد النهى عن هذا الأمر واستدل عليه بالأدلة العامة والخاصة، ومفهوم هذه الآيات والروايات أنه لو رأينا سلاحاً أو مركباً بيد أحد الأشخاص ونعلم أنه سيعطيه فى المستقبل القريب لأعداء الإسلام ويستخدمونه ضد المسلمين، فيجب منعه من ذلك، وهذا هو الأمر الذى أصدره الإمام عليه السلام فى هذه التوصية، وبعبارة أخرى أن هذا العمل نوع من النهى عن المنكر

بشكله العملي.

وأخيراً يقول الإمام عليه السلام في النهي السادس:

«وَلَا تَدْخِرُوا [٤٩٦] أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلَا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٥

الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً» [٤٩٧].

وفي هذه العبارة الواردة بصورة النهي يصدر الإمام عليه السلام أربعة أوامر: النصيحة لبعضهم البعض، وحسن الخلق والسلوك مع جند الإسلام، والسعي في طريق مدد يد العون للرعية، والعمل على مستوى تقوية دعائم الدين الإسلامي، ومع الالتفات إلى أن المخاطب في هذه الجملة هم عمال الخراج، يتبين أن الواجب عليهم في مسير أداء مسؤوليتهم، الاهتمام بالتكاليف الأخرى الواجبة عليهم أيضاً.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة أن الجملة:

«وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً»

أن الأنفس هنا تعني ذات الشخص، وذهب آخرون إلى أنها تعني نفوس الآخرين، والظاهر أن المعنى الثاني أنسب.

ومعلوم أن عمال الخراج لو عملوا بهذه الوظائف الأربع، أي أنهم تحركوا في علاقتهم فيما بينهم من موقع التواصي والتناصح وكذلك تعاملوا مع الرعية وجنود الإسلام بآلية اللطف وحسن الخلق، وعزموا في تياتهم على تقوية الدين الإسلامي وتوطيد الرسالة الإلهية، فإن المجتمع الإسلامي سيشهد ازدهاراً كبيراً وتطوراً مهماً.

وفي ختام هذه الرسالة يبين الإمام عليه السلام آخر توصية لعماله على الخراج ويقول:

«وَأَبْلُوا [٤٩٨] فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اصْطَنَعَ [٤٩٩] عِنْدَنَا

وَعِنْدَكُمْ أَنْ تَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نُنْصِرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

وهذه إشارة إلى أن الاعتماد على الله ضروري لتحقيق النجاح وكسب الموفقية

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٦

في تجسيد هذه التوصيات على أرض الواقع ولزوم الاستعانة بالله تعالى في سلوك خط الإيمان والعمل الصالح والالتزام الواعي بهذه القيم الأخلاقية والمثل الإنسانيّة.

وعبارة

«فَإِنَّ اللَّهَ»

(والفاء للتفريع) إشارة إلى أن إتيان هذه الأمور وترجمتها على مستوى التطبيق يمثل نوعاً من شكر الله تعالى على نعمه، ونحن مدينون في هذا الحال لألطف الباري تعالى الذي وفقنا لإنجاز هذه التكاليف والوظائف.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٧

الرسالة ٥٢

إشارة

إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة [٥٠٠]

### نظرة عامة للرسالة

كما هو بين من عنوان الرسالة، فإن المخاطب لها امراء البلاد، لأنهم من جهة يتولون الأمور الدينيّة للناس، وكذلك أمورهم الدنيويّة، مضافاً إلى إمامة الجمعة والجماعة أيضاً، ومحتوى هذه الرسالة يبين في الحقيقة أمرين: أحدهما، أوقات الصلوات الخمس بشكل دقيق ومتى يأتي المسلم بكل واحدة منها، والآخر أن إمام الجماعة يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار أضعف المأمومين ويصلي طبقاً لهذا المعيار.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٦٩

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهَرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرِيضِ الْعَنْزِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءَ حَيَّةً فِي عَضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُّ فِيهَا فَرَسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مَنَى وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجَهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فَتَانِينَ.

### الشرح والتفسير: آداب الصلاة وأوقاتها!

#### إشارة

تقدّم آنفاً أن الإمام عليه السلام في هذه الرسالة يخاطب امراء البلاد، وهؤلاء الامراء هم أئمة الجمعة والجماعة أيضاً، ويبيّن لهم أوقات الصلوات اليوميّة.

بدايةً يشرع الإمام عليه السلام من صلاة الظهر ويقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهَرَ حَتَّى تَفِيءَ [٥٠١] الشَّمْسُ مِنْ مَرِيضِ [٥٠٢] الْعَنْزِ [٥٠٣]».

كلمة «حتى» إشارة إلى نهاية وقت فضيلة الظهر، كما هو ظاهر التعبير بهذه الكلمة، ومفهومها أن الإمام عليه السلام يبيّن في هذه العبارة نهاية وقت فضيلة الظهر فقط،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٠

وقد ورد في بعض الروايات أنه بمقدار ذراع، ومقدار الذراع لا يختلف كثيراً عن مريض العنز عندما تتمدد الشاة على الأرض، فيقترب مقدار المريض من مقدار الذراع، ولو كانت كلمة «حتى» تعني «حين» [٥٠٤] ويقصد بها تعيين المدّة والزمان، فالظاهر أن المعنى يكون بداية وقت الفضيلة، ومفهومها أن وقت صلاة الظهر من أول الزوال إلى أن يكون ظلّ الشاخص (أى الظل الذي يظهر من لحظة زوال الشمس عند الظهر) بمقدار ذراع، فيمكن تأخير صلاة الظهر إلى ذلك الوقت، إمّا لغرض إتيان صلاة النافلة أو لغرض اجتماع الناس لصلاة الجماعة.

وطبعاً فإنّ ابتداء وقت صلاة الظهر لا يكون قبل هذه الأمور وهو ما ذكره القرآن الكريم بصراحة وقال: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذُكَّرَ الشَّمْسُ» [٥٠٥].

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام آخر وقت فضيلة صلاة العصر ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءَ حَيَّةً فِي عَضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُّ فِيهَا فَرَسَخَانِ».

وهناك خلاف كبير في وقت صلاة العصر بين فقهاء أهل السنّة والوارد في كتبهم الفقهية، ولكن المعروف بين علماء الشيعة أن وقت صلاة الظهر من ابتداء زوال الشمس من دائرة نصف النهار، (وطبعاً بعد مضي مقدار من الوقت اللازم للإتيان بناقلة الظهر)، وانتهاء وقتها إلى زمان يكون ظلّ الشاخص (الظلّ الذي يظهر بعد زوال) بمقدار الشاخص نفسه، ثمّ يبدأ وقت فضيلة صلاة العصر ويمتد إلى

زمان يكون فيه ظلّ الشاخص ضعفى الشاخص (وطبعاً طول وقصر الشاخص فى هذه المسألة لا يتفاوت). وما ذكره الإمام عليه السلام فى الجملة أعلاه يشير إلى نهاية وقت فضيلة صلاة العصر، ولا يختلف هذا المقدار مع ما هو معروف بين فقهاءنا.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧١

فى المرحلة الثالثة أشار الإمام عليه السلام إلى وقت صلاة المغرب وقال:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيُدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مَنَى .

وبما أنّ وقت إفطار الصائم وحركة الحجاج من عرفات معلوم فى نظر عامة الناس حيث تبدأ الحركة مع غروب الشمس، فالإمام عليه السلام يجعل هذا الأمر مقياساً للوقت.

وتأخير صلاة المغرب والإفطار إلى زمان زوال الحمرة المشرقية من وسط السماء يمثّل فى الواقع نوعاً من الاحتياط، والوقت هو غروب الشمس (وذلك طبعاً فى نظرنا ونظر جماعة من فقهاء أهل البيت عليهم السلام).

وهنا يكتفى الإمام عليه السلام فى الواقع بما هو معروف ومشهور بين عامة المسلمين فى الوقت الذى يفطر فيه الصائم ويتحرك الحجاج من عرفات.

وفى المرحلة الرابعة يشير الإمام عليه السلام إلى وقت صلاة العشاء ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ».

ولابدّ من معرفة المراد من الشفق، وهل هو الحمرة الغربية (أى الشعاع الأحمر الذى يظهر من جهة المغرب بعد اختفاء قرص الشمس)، أو البياض الشفاف الذى يظهر بعد اختفاء ذلك الشعاع الأحمر ويبقى لمدة من الوقت؟ كلا الاحتمالين واردان فى تفسير كلام الإمام عليه السلام، لأنّ الشفق يطلق على كلا هذين الأمرين، ولكن المشهور بين علماء الشيعة هو المعنى الأول، وفى هذا العصر فأهل السنّة يجعلون المعنى الثانى ملاكاً للعمل غالباً، رغم أنّ الفقهاء الأربعة مختلفون فيما بينهم فى هذه المسألة.

وفى المرحلة الأخيرة والخامسة يشير الإمام عليه السلام إلى بداية وقت صلاة الصبح ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ».

ومعلوم أنّ المستفاد من آيات القرآن الكريم والمشهور بين الفقهاء هو أنّ ابتداء صلاة الصبح من زمان طلوع الصبح الصادق، أى البياض الواسع الذى يظهر إلى جانب الافق، ويتفق العلماء فى هذه المسألة، ولكن بما أنّ النهوض من داخل المدن والتوجه إلى خارجها أو الصعود على سطوح المنازل والنظر إلى الخارج لمعرفة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٢

طلوع الفجر الصادق لا يعدّ أمراً ميسوراً، فقد بين الإمام عليه السلام معياراً أيسر من ذلك، وهو أن تخف حدّ الظلام قليلاً ويخالط الجو بعض إشراقات الفجر بحيث يرى الشخص صاحبه الواقف إلى جانبه ويعرفه، أضف إلى ذلك فإنّ حضور الناس لصلاة الجماعة يتطلب مقداراً أكثر من الوقت، ولذلك يتطابق هذا المعنى مع ما ذكره الإمام عليه السلام.

وفى الختام يصدر الإمام عليه السلام لهم هذا الأمر فى كيفية صلاة الجماعة ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةً أَوْعَفِيهِمْ وَلَا تَكُونُوا فِتَانِينَ».

إنّ أهميّة هذا الموضوع إلى درجة أنّ أمير المؤمنين على عليه السلام يروى حديثاً عن النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويقول: آخر ما فارقت عليه حبيب قلبى صلى الله عليه وآله أن قال:

«يَا عَلِيُّ إِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةً أَوْعَفِي مَنْ خَلْفَكَ» [٥٠٦].

وعندما أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وآله (لنشر الإسلام) إلى اليمن، سألته: كيف اصلى بالناس فقال:

«صَلَّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أضعفهم وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» [٥٠٧].

وقد ورد هذا المعنى في عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر حيث أوصاه الإمام بهذه الوصية.

«فَتَان» من مادة «فتنه» وفي الأصل تعنى وضع الذهب في النار ليخلص من الشوائب، وبهذه المناسبة استخدمت هذه الكلمة في معانٍ مختلف، منها الابتلاء والامتحان، الخداع، البلاء والعذاب، والأذى والألم، والكلمة في عبارة الإمام عليه السلام تناسب مع المعنى الأخير، ولا يبعد أن يكون المراد هو الخداع أيضاً، ويمكن الجمع بين هذين المعنيين أيضاً.

وطبعاً فإن هذا الكلام لا يعنى أن تصلّى صلاتك بشكل سريع بحيث تضرّ بأركان الصلاة وواجباتها، أو لا يتمكن الضعفاء بسبب هذه السرعة أن يلتحقوا بك في ركوعهم وسجودهم وقيامهم وقعودهم، وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٣

منها ما ورد في عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر حيث أمره بهذه التوصية:

«فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرّاً وَلَا مُضَيِّعاً»

. أجل، لا بد من رعاية الاعتدال والتوازن في جميع الأمور.

وينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أن التوصية بالرغم من كونها واردة في خصوص الصلاة، ولكن يمكن سراية هذا المفهوم إلى سائر العبادات بل إلى جميع البرامج الاجتماعية، فيجب أن تكون البرامج الإسلامية في الأبعاد العبادية، والاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، من حيث التطبيق بحيث لا تثقل على كاهل الناس ولا تتسبب في خروجهم عن الدين، ولا أن تؤدي السرعة والعجلة فيها إلى تفرغها من محتواها ومضمونها.

وكذلك من الجدير بخطباء أئمة الجمعة المحترمين، وكذلك المسؤولين عن مجالس الدعاء والابتهاج ومجالس العزاء مراعاة هذا الأصل، فلا يسرعوا في خطبهم وأدعيتهم ومراسيم العزاء بحيث تسلب روحها ومضمونها، ولا يؤتى بها بشكل متأخر ومطول بحيث تؤدي إلى تعب الحاضرين ومللهم.

## تأمل

### أداء الصلوات الخمس في ثلاثة أوقات

نعلم أن الصلوات اليومية في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك في عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام كان تقام بشكل منفصل وفي الأوقات الخمسة وفي وقت الفضيلة، واليوم لو صلينا الصلوات اليومية في خمسة أوقات لكان أفضل، ولكن مع ذلك فإن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جمع بين صلاتي الظهر والعصر، وكذلك بين المغرب والعشاء في أسفاره بدون أن يكون هناك عذر خاص (من قبيل الحر الشديد والبرد الشديد والمطر)، مضافاً إلى ذلك فقد اتفق مراراً في حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه صلى الله عليه وآله جمع بين الصلاتين بدون أي عذر وقال: احب الرخصة على امتي حتى أنهم إذا رغبوا في الجمع بين الصلاتين أمكنهم ذلك.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٤

ولكن مع الأسف فإن جمع غفير من علماء أهل السنة أصروا على الفصل بين الصلوات الخمس والإتيان بها بشكل منفصل، وهذه المسألة أدت إلى حدوث مشاكل كثيرة وخاصية في وقت العصر، لأن حياة الناس قد تغيرت في العصر الحاضر، فالكثير من العمال الذين يعملون في المعامل والمصانع، وكذلك الموظفين الذين يشتغلون في الإدارات الرسمية والشركات وبخاصة طلاب الجامعات وحضورهم في قاعات الدرس صار بشكل لا يستطيع المسلم الإتيان بالصلوات اليومية في الأوقات الخمسة بسهولة، وهذا الأمر تسبب



في ترك الكثير منهم للصلاة.

ونعلم قطعاً أنّ الإسلام دين الرحمة وبمقتضى النبوى المعروف:

«بُعِثْتُ بِالشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ»

فإنّه قد فتح طريقاً للحل أمام هؤلاء الأشخاص حتى لا يتورطوا في ترك الصلاة من جهه، ولا يبتلوا بالصعوبة والمشقة البالغة.

والعجيب أنّ في مصادر أهل السنّة المعروفة: كـ «صحيح مسلم، صحيح البخارى، سنن الترمذى، موطأ مالك، مسند أحمد، سنن النسائي، مصنّف عبدالرزاق» وكتب أخرى وهى كلّها من المصادر والمنايع المعروفة والمشهور لديهم، هناك ثلاثون رواية في باب الجمع بين صلاة الظهر والعصر أو صلاة المغرب والعشاء بدون السفر والمطر وخوف الضرر، ولكن هؤلاء الإخوة قد تغافلوا عنها جميعاً وشدّدوا أمر الصلاة على الناس وبخاصّة الشباب منهم.

وهذه الروايات واردة من طريق خمسة رواة معروفين:

١. ابن عباس.

٢. جابر بن عبد الله الأنصارى.

٣. أبو أيوب الأنصارى.

٤. عبد الله بن عمر.

٥. أبو هريرة.

وسنشير فيما يلى إلى جملة منها:

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٥

١. نقل سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّه قال:

«صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعاً بِالْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا سَفَرٍ»

يقول أبو زبير: سألت سعيد بن جبير، لم فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال سعيد: سألت (يعنى هذا السؤال) ابن عباس كما سألتنى فقال:

«أَزَادَ أَنْ لَا يُحْرَجَ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِهِ» [٥٠٨].

٢. يقول جابر بن زيد: قال ابن عباس:

«صَلَّى النَّبِيُّ سَبْعًا جَمِيعًا وَثَمَانِيًا جَمِيعًا» [٥٠٩]

، وهى إشارة إلى أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله جمع فى صلاته بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

٣. جاء فى «مصنّف» عبد الرزاق أنّ عبد الله بن عمر قال:

«جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ مُقِيمًا غَيْرَ مُسَافِرٍ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ فَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ: لِمَ تَرَى النَّبِيَّ فَعَلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ لَا يُحْرَجُ أُمَّتُهُ إِنْ جَمَعَ رَجُلٌ» [٥١٠].

٤. ويروى عبد الله بن مسعود:

«جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الأُولَى وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَقِيلَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: صَنَعْتُهُ لِأَنَّ لَا تَكُونَ أُمَّتِي فِي حَرْجٍ» [٥١١].

٥. وروى أبو هريرة أيضاً:

«جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ» [٥١٢].

وكما قلنا آنفاً أنّ الروايات الواردة فى هذا الباب أكثر من هذا المقدار، وخلاصة ما ورد فيها أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله قد جمع فى بعض المواضع بين صلاة الظهر والعصر أو بين صلاة المغرب والعشاء فى حين لم تكن هناك مشكلة خاصة كالمطر أو السفر

أو الخوف من العدو، ولم يكن الهدف من ذلك سوى التوسعة على الأمة ورفع العسر والحرج، فهل يصح مع هذا الحال أن يستشكل البعض في مسألة الجمع ويقول بأن

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٦

الجمع متعلق بموارد الاضطرار؟ لماذا نغض النظر عن رؤية الحقائق الشرعية ونرجح أفهامنا ومسبقاتنا الفكرية على قول رسول الله صلى الله عليه وآله الصريح في هذا الأمر وبالتالي نثقل هذه العبادة على كاهل الأمة؟ وعندما يأذن الله ورسوله بالرخصة في شيء فلماذا لا يأذن المتعصبون في هذه الأمة؟ لماذا لا يريدون من الشباب المسلمين أن يؤدوا صلواتهم اليومية وهي أهم وظيفة الإسلام في كل الأحوال في جميع الأماكن في داخل البلاد الإسلامية وخارجها في الجامعات والإدارات والمعامل والأسواق؟

نحن نعتقد أن الإسلام يمتد لكل زمان ومكان إلى نهاية الدنيا، ومعلوم أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يرى بنظره الواسع حال جميع مسلمين في العالم وفي جميع الأعصار والحقب الزمنية، وأنهم إذا كانوا مقيدين بالصلوات في خمسة أوقات فإن ذلك من شأنه أن يشق على أمة ويدعو جماعه منهم لترك الصلاة، ولذلك صدر الأمر الإلهي إليه أن يخفف عن أمة ويوسع دائرة الرخصة في هذا الشأن.

والجدير بالذكر أن الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» [٥١٣] يقول بصراحة:

واعلم أنه يتفرع على هذين القولين بحث يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات:

وقت الزوال، ووقت أول المغرب، ووقت الفجر، وهذا يقتضى أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر، فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين، وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء، فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين، فهذا يقتضى جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً.

وقد بين أنه دلّ الدليل على أن الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز، توجب أن يكون الجمع جائزاً بعذر السفر وعذر المطر وغيره [٥١٤]، وهذا ما يقال من الاجتهاد

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٧

في مقابل النص.

وكما قلنا في بداية هذا البحث أن رعايته وقت الفضيلة والإتيان بكل صلاة في هذه الأوقات الخمسة مسنون وأولى، رغم أن الجمع بين الصلاتين يعتبر رخصة، ومن هذه الجهة فالإمام عليه السلام يبين أوقات الصلاة الخمس بشكل منفصل.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٧٩

## الرسالة ٥٣

### إشارة

كَتَبَهُ لِلْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ لَمَّا وُلِّاهُ عَلَى مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا  
حِينَ اضْطَرَبَ أَمْرُ أَمِيرِهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ

أطول عهدٍ كتبه وأجمعه للمحاسبين [٥١٥]

## نظرة عامة للرسالة

(المهمة جداً لمالك الأشر)

### خمسون نکته مهمة في عهد واحد

من أجل إدراك أهميته هذا العهد الشريف، وقبل أن نتوغل في دراسته محتوياته ومضامينه، ينبغي الالتفات إلى عدّة أمور: [٥١٦]

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٠

إنّ هذه الرسالة المطولة والعميقة المضامين تعدّ من أهم ما ورد من كتب ورسائل في نهج البلاغة وناظرة لجميع أبعاد وجهات الإدارة والتدبير لأُمور الحكومة وتحتوى على أصول ثابتة وقواعد متماسكة لا- يطرأ عليها القَدَم ولا- تبلى أبداً وترسم في مضامينها كافّة تفاصيل الحياة السياسيّة والإدارية في الحكومة الإسلاميّة.

١. ممّا يجدر ذكره أنّ ابن أبي الحديد في ذيل الخطبة القصيرة رقم ٦٨ (وقد ورد شرح هذه الخطبة سابقاً وفي شرح بن أبي الحديد الخطبة تحت رقم ٦٧) ينقل عن إبراهيم الثقفي صاحب كتاب «الغارات» رسالة مفصلة وطويلة نسبياً أنّ الإمام على عليه السلام قد كتب إلى محمّد بن أبي بكر برنامجاً أخلاقياً لتهديب النفوس وتطهير القلوب وتقوية عنصر التقوى في الإنسان، وفي ذيل هذه الرسالة ينقل هذا المؤرخ (صاحب كتاب الغارات) كان محمّد بن أبي بكر ينظر فيه ويتأدّب بأدابه- كان يحمل معه هذه الرسالة في مصر ويطالعها بين الحين والآخر ويتمسك بأدبها ويلتزم بما ورد فيها من التعاليم- فلما ظهر عليه عمرو بن العاص، أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه.

ثم قال: إنّ الوليد بن عقبة (أخا عثمان من أمّه وهو الذي نزلت في حقه آية «إن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨١

جاءكم فاسق..» حيث أطلق عليه القرآن وصف الفاسق) وكان حاضراً عند معاوية وقد رأى اعجابه به، فقال لمعاوية: مر بهذه الأحاديث أن تحرق. فقال معاوية: مه، لا رأى لك! فقال الوليد: أفمن رأى أن يعلم الناس إن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها! فقال معاوية: ويحك تأمرني أن أحرق علماً مثل هذا! والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم. فقال الوليد: إن كنت تعجب من عمله وقضائه فعلام تقائله؟ فقال: لولا أنّ أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه. ثم سكت حينه، ثم نظر إلى جلسائه وقال: إنّنا لا نقول: إنّ هذه من كتب على بن أبي طالب، ولكن نقول:

هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمّد، فنحن نظر فيها، ونأخذ منها.

قال: فلم تزل تلك الكتب في خزائن بنى امية حتى ولى عمر بن عبدالعزيز، فهو الذي أظهر أنّها من أحاديث على بن أبي طالب عليه السلام.

والجدير بالذكر أنّ ابن أبي الحديد بعد أن نقل هذا الكلام عن صاحب «الغارات» يقول: «الأليق أن يكون الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه، ويفتى به ويقضى بقضاياه وأحكامه هو عهد الإمام على عليه السلام إلى الأشر، فإنّه نسيح وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة (والحال أن كتاب الإمام عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر يتضمّن مجموعة من المسائل الأخلاقية) وهذا العهد صار إلى معاوية لما سمّ الأشر ومات قبل وصوله إلى مصر، فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق مثله (يعنى الكتاب العهدي) أن يقتنى في خزائن الملوك» [٥١٧].

وعلى ضوء ذلك فإنّ ابن أبي الحديد يعتقد بأنّ هذه الرسالة التاريخيّة الفريدة، التي كان معاوية يستفيد منها ولم يظهر ذلك لأحد

وبعد انكشف الستار عنها بواسطة عمر بن عبدالعزيز، هي ما نحن بصدد من عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشر. ونحن بدورنا نؤيد نظر ابن أبي الحديد بصورة كاملة، لأنّ القرائن والشواهد المختلفة تشهد على هذا المعنى.

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٢

٢. يقول الكاتب المسيحي المعروف «جورج جرداق» في كتابه «الإمام على صوت العدالة الإنسانيّة»: «إلاّ أنّه من الصعب على المرء أن يجد الإنسان اختلافاً بين هذا العهد العلوية والوثيقة الدوليّة لحقوق الإنسان، فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان إلّا وتجد له مثيلاً في دستور ابن أبي طالب، وهذا إلى إطار من الحنان الإنساني العميق يحيط به الإمام دستوره في المجتمع، ولا يحيط الامم المتحدة وثيقتها بمثله» [٥١٨].

وينبغي الالتفات إلى أنّ لائحة حقوق الإنسان العالمية قد تمّ تدوينها بعد ألف وثلاثمائة عام من تدوين عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشر، أضف إلى ذلك أنّ اللائحة العالمية قام بتدوينها جماعة من المفسّرين من شتى بلدان العالم ومع ذلك فإنّها تحتوي على بعض النقائص ونقاط الضعف والقصور، وأهمّها أنّها فارغة من المسائل المعنويّة والقيم الإنسانيّة السامية.

٣. ومن أجل الإحاطة بأهميّة هذه الرسالة والعهد مورد البحث ينبغي الإشارة إلى مكان مسؤوليّة مالك الأشر، أي أرض مصر. يتفق المؤرخون تقريباً أنّ منطلق الحضارات البشريّة تمتد بجذورها إلى منطقة الشرق، ومنها أرض مصر التي وجدت فيها الحضارة قبل غيرها من البلدان بآلاف السنين، فقد وطد المصريون دعائم التمدن البشري إلى درجة أنّ «ويل دورانت» يسمي هذه المنطقة بأنّها مهد الحضارة البشريّة، ومن هذه الجهة نرى أنّ الأنبياء الإلهيين الذين أرسوا دعائم التمدن المادي والمعنوي في الامم البشريّة جميعهم قد بعثوا من هذه المنطقة، ثمّ امتدت دعوتهم إلى نقاط أخرى من العالم.

ويقول المؤرخ المذكور في الجزء الأوّل من تاريخه المعروف بـ «قصّة الحضارة» بعد أن خصص عشرات الصفحات حول الحضارة المصريّة القديمة: إنّ الآثار المهمّة الباقية منذ ذلك الوقت ولمدّة آلاف السنين وبرغم المتغيرات في هذه العصور

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٣

والحقب الزمنية لا زالت باقية، وهذه علامة أخرى عن عظمة هذه الحضارة القديمة.

لقد كانت مصر تمثّل إحدى المراكز العلميّة والحضاريّة المهمّة في العالم، وخاصيّة مدينته الاسكندرية التي تعدّ - وفقاً للمدارك والاسناد التاريخيّة - أحد أهم هذه المراكز العلميّة، ولم يقتبس أهالي مصر علوم اليونان فحسب، بل أضافوا إليها علوماً كثيرة أخرى، ففي الحقيقة أنّ مصر لم تكن بمثابة محافظة أو منطقة من الحكومة الإسلاميّة، بل دولة كبيرة وواسعة يقطن فيها شعب متمدن.

وقد دخلت مصر في عام ١٩ للهجرة في زمان الخليفة الثاني تحت لواء الإسلام بواسطة الجيش الإسلامي الذي أرسله الخليفة الثاني لفتحها، ومنذ ذلك الزمان والمصريون يعيشون في ظلّ الإسلام وقد تقبلوا، كالأيرانيين، هذا الدين الجديد الذي يملك ثقافة قوية وتظهر على تعاليمه معالم الحقائقية، ولكن للأسف فإنّ بعض الحكّام الظلمة أمسكوا بمقاليد السلطة في مصر من قبيل الخلفاء ومنهم: عبدالله بن أبي سرح [٥١٩] الذي تولى ولاية مصر في زمان عثمان وتسبب ظلمه وجوره على أهالي مصر في انتفاضتهم على الوضع السائد، وكما نعلم أنّ هذه الانتفاضة امتدت إلى المدينة، وقد زادت أخطاء الخليفة الثالث في الطين بله، وعملت على تعميق الخلل والشعور بالاستياء لدى عامّة الناس، ومن ذلك ما أصدره عثمان من عزل عبدالله وكتب فيها كتاباً وسلّمه إلى الثوار ليعودوا إلى مصر، ولكنّه أرسل رسالة أخرى إلى عبدالله بن أبي سرح يأمره فيها بقتل هؤلاء الثوار في حال عودتهم إلى مصر، وقد وقعت هذه الرسالة بيدهم في وسط الطريق، فعادوا من فورهم ووقعت حادثه قتل عثمان.

أمّا الإمام على عليه السلام فإنّه من أجل جبران الأخطاء المذكورة، أرسل في بداية الأمر محمّد بن أبي بكر لحكومة مصر، ولما ثبت عملياً أنّه لا يستطيع تحمل هذه

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٤

المسؤولية الثقيلة، أمر الإمام عليه السلام شخصاً آخر يملك القدرة والحكمة والحزم في الأمور، وهو مالك الأشر، لهذه المهمة وأرسل معه هذه الرسالة والعهد مورد البحث لترتيب وإدارة أوضاع هذا البلد الكبير وأرسله إلى مصر، ولكن للأسف فإن جريمة معاوية منعت من تحقق هذا البرنامج الإنساني العظيم على أرض الواقع وأن يتنفس أهالي مصر السعداء مما لاقوه من الولاية السابقين.

\*\*\*

مهما يكن من أمر فهذا الكتاب الذي كتبه الإمام عليه السلام لمالك الأشر يتشكل في نظرة إجمالية من عدة أقسام ومقاطع، وربما أمكن تقسيمه من زاوية معينة إلى خمسين قسماً.

١. القسم الأول، يلخص الإمام عليه السلام الهدف الأساس من إرساله مالك الأشر إلى مصر في أربعة أمور: الاهتمام الكامل بجمع الخراج، والتصدي لأعداء مصر، وإصلاح أهلها، وإعمار هذا البلد.

٢. التأكيد على لزوم رعاية التقوى قبل كل شيء، وبيان أهميتها ودورها في حياة الإنسان.

٣. مجاهدة النفس وتهذيبها.

٤. الفات نظر مالك الأشر إلى منطقة عمله ومحل مسؤوليته.

٥. النصيحة له بالتحرك في خط العمل الصالح واجتناب البخل.

٦. السعي وبذل لجهد لكسب رضا الرعية وعامة الناس.

٧. النهي عن التمرد على الأوامر الإلهية.

٨. بيان طريقة مواجهة حالات الكبر والغرور الناشئة من تولى المقام والمنصب.

٩. رعاية العدل والإنصاف في كل الأحوال، واجتناب كل شكل من أشكال الظلم والجور التي تسبب في تغيير النعم والمواهب الإلهية وتبديلها.

١٠. ينبغي أن يكون أحب الأشياء إليه جلب رضا عامة الناس لا الخواص منهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٥

١١. الحذر من وساوس الانتهازيين والنامين والسعي في إسدال الستار على عيوب الناس.

١٢. لزوم المشورة في الأعمال والنشاطات فيما يتصل بتدبير الأمور، والحذر من مشورة الأشخاص البخلاء والجبناء وأهل الدنيا.

١٣. عزل المتولين السابقين والمسؤولين الظالمين وتوثيق الرابطة مع أصحاب الورع والصدق والإيمان.

١٤. تشويق المحسنين والصالحين وتوبيخ المسيئين وعقابهم.

١٥. كسب حسن ظن الناس من خلال الإحسان إليهم، والتخفيف من ثقل الضرائب عليهم.

١٦. احترام الآداب والتقاليد الحسنة للقدمات.

١٧. استمرار مجالسة العلماء وأهل الخبرة والتشاور معهم.

١٨. تقسيم الرعية إلى طوائف متعددة وخدمة كل طبقة منهم وفق حاجاتهم ومواقعهم الذاتية والاجتماعية.

١٩. التأكيد بشدة على رعاية الطبقة المحرومة والمعدمة.

٢٠. بيان خصائص القادة العسكريين والمسؤولين في الجيش الإسلامي.

٢١. الاهتمام الخاص بسوابق الأشخاص والعوائل الصالحة وذات السمعة الحسنة.

٢٢. خصوصيات القادة الكبار.

٢٣. التأكيد على أصل العدالة، الذي يتواصل مع روحية القادة والزعماء وهو قره عين لهم.

٢٤. الثناء على الأعمال الحسنة للصالحين والمحسنين لتقوية عناصر الخير في المجتمع الإسلامي ولتشويق الجميع على عمل الخير

والإحسان.

٢٥. قياس قيمة عمل كل شخص بدون الالتفات إلى مكانته الاجتماعية.

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٦

٢٦. الرجوع إلى الكتاب والسنة في حل المشكلات واستنباط الأحكام.

٢٧. ذكر شروط القضاء والصفات اللازمة التي يجب توفرها فيهم.

٢٨. الإشراف على الأحكام القضائية التي يصدرها القضاء في حق المحكومين وتأمين نفقاتهم ومعيشتهم في الحياة بشكل كامل لمنع التورط في عمليّة الرشوة.

٢٩. بيان المعيار في انتخاب الولاة والقادة في البلاد ودفع حقوقهم المادية بشكل كاف ووضع العيون (الجواسيس) لضبط أعمالهم.

٣٠. وضع خطة لعمليّة الخراج والضرائب والاهتمام بعمران المنطقة وإحيائها قبل الاهتمام بجمع الخراج.

٣١. بيان الخصوصيات المتعلقة بالمدرء والمسؤولين عن الاسناد والوثائق وموظفيهم وتقسيم العمل بينهم بشكل دقيق.

٣٢. الاهتمام التام بوضع التجار وأصحاب الصناعات والأشخاص الذين يتحركون في خدمة الناس على مستوى نقل أو إنتاج ما يحتاجونه، والإشراف الدقيق على المعاملات والأسعار والتصدي لظاهرة الاحتكار.

٣٣. التأكيد أكثر على الاهتمام بالطبقة المحرومة والضعيفة ولزوم التواصل معهم والاطلاع على وضعهم.

٣٤. لزوم الاهتمام بوضع الأيتام والعجزة.

٣٥. تعيين وقت خاص للقاء العامة من الناس والإذن لهم بمقابلة المسؤولين بشكل مباشر.

٣٦. تعيين وقت خاص آخر للموظفين والمسؤولين من أجل حلّ مشكلاتهم الخاصّة.

٣٧. تنظيم برنامج دقيق للأعمال اليومية المختلفة.

٣٨. الاهتمام بإقامة الفرائض الدينيّة وخاصّة صلاة الجماعة وكيفية إقامتها وتعيين وقت خاص للارتباط مع الباري تعالى.

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٧

٣٩. عدم الابتعاد عن الناس والاحتجاب عنهم مدّة طويلة.

٤٠. كيفية التعامل مع الأصحاب الخاصين والمطلعين على أسرار الدولة.

٤١. الرعاية الدقيقة لحقوق جميع الأفراد، سواء كانوا من منطقة قريبة أو بعيدة.

٤٢. تقديم عذر موجه وتبرير معقول في مقابل ما يعيشه الناس من شحة في الموارد وظهور المشكلات ممّا يودى إلى سوء الظن بالولاة.

٤٣. قبول دعوة الأعداء للصلح وفي ذات الوقت رعاية حالة الحذر في مقابلهم مع إحترام الجهود والمواثيق التي تعقد معهم.

٤٤. الاجتناب بشدّة عن سفك دماء البرياء.

٤٥. اجتناب كلّ أشكال العجب والأنانيّة والغرور.

٤٦. الحذر من إظهار المن على الرعيّة.

٤٧. اجتناب التسرع والعجلة في الأعمال.

٤٨. اجتناب الرشوة وأخذ حقّ الخاص في المشتركات.

٤٩. الاهتمام بمطالعة سيرة النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله والأنبياء الإلهيين في جميع الأمور المتعلقة بالحكومة.

٥٠. وأخيراً الدعاء لنفسه ولمالك الأشر وطلب الرحمة والتوفيق له من الله تعالى.

ويمكن من زاوية معنية وضع جميع هذه الأمور في عشرة محاور:

١. بيان أهميّة المسؤولية الملقاة على عاتق مالك الأشر.
  ٢. التنبيهات الأخلاقية العامة في مجال الحكومة وتدير الأمور.
  ٣. تقسيم الرعية وشرائح المجتمع المختلفة إلى عدّة فئات وطوائف، من القوى العسكرية إلى عمال جباية الضرائب والموظفين لدى الحكومة والقضاء والتجارة وأصحاب الصنائع وتعيين الوظائف والخصوصيات المتعلقة بكل فئة منهم.
  ٤. الاهتمام الكبير فيما يتصل بالطبقات المحرومة.
- نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٨
٥. لزوم تعيين وقت لمواجهة ولقاء عامّة الناس، أي الانفتاح على العامة وفتح الباب لهم ولارباب الحاجات.
  ٦. اختيار مشاورين أقوياء ومن أهل الخبرة.
  ٧. التصدي لكل أشكال الرشوة والامتيازات الذاتية.
  ٨. الاهتمام بأمر الصلح مع العدو وفي ذات الوقت أخذ جانب الحذر منه واجتناب كل أشكال سفك الدماء بدون دليل.
  ٩. الاهتمام بأمر إقامة الفرائض الديتية لعموم الناس.
  ١٠. الدعاء لتحقيق النجاح والتوفيق في أداء المسؤوليات واستمداد من الله تعالى في هذا الشأن.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٨٩

## القسم الأول

### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْجَرِيُّ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وُلِّاهُ مَضِيرَ: جَبَايَةَ خَرَجَهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا، وَأَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسِيءُ عَدُوٌّ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمْرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ.

### الشرح والتفسير: التوجيه الأولى التقوى وجهاد النفس

### إشارة

ينطلق الإمام عليه السلام في القسم الأول من هذه الرسالة بذكر اسم الله الرحمن الرحيم والاستمداد منه، ويقول:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْجَرِيُّ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وُلِّاهُ مَضِيرَ. جَبَايَةَ [٥٢٠] خَرَجَهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.»

نقحات الولاية؛ ج ١٠؛ ص ٢٨٩

تدعى الإمام عليه السلام في مستهل هذه الرسالة بالاعتراف بالعبودية لله تعالى، ثم كونه أمير المؤمنين، ليتبين أن قيادة المؤمنين



ودعامتهم إنما تتجسد في أرض الواقع في

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٠

ظلّ العبودية لله تعالى لا في ظلّ الحالات والدوافع الذاتية والشخصية، ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام الأهداف الأربعة لهذه المسؤولية والمهمّة التي ندب إليها مالك الأشر:

الهدف الأول: يشير الإمام عليه السلام إلى الأمور الماليّة والاقتصاديّة وهو ما ورد التعبير عنه بالخراج، فصحيح أنّ الخراج يعنى الضرائب الموضوعه على الأراضي المفتوحة عنوة بيد المسلمين، ولكنّها في هذا المورد تمتد لدائرة واسعة وتشمل جميع الأمور الماليّة المتعلقة بالحكومة الإسلاميّة، أعم من الخراج والزكاة والجزية والخمس وأمثال ذلك.

الهدف الثاني: يتحدّث الإمام عن مسألة القوة العسكريّة والدفاعيّة وقوى الأمن في البلد الإسلامي ويؤكد على حفظ استعدادهم لدفع هجمات الأعداء، لأنّه ما لم يتمّ ترتيب أمور هؤلاء فإنّ الأمن لا يتحقق في فضاء المجتمع ولا يعيش الناس راحة البال في معيشتهم وأعمالهم.

الهدف الثالث: يشير الإمام عليه السلام إلى إصلاح الأمور الاجتماعيّة والثقافيّة، ومنها إيجاد الباعث على أعمال الخير وإزالة منابع الفساد الأخلاقي وتثبيت الأمن في مجال الكسب والعمل وتأمين حقوق الأفراد ونظم ما يتصل بالأمور القضائيّة، رغم أنّ البعض تصور أنّ الجملة:

«اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا»

تختص بإصلاح الأمور الماديّة للناس، ولكن من البعيد يكون نظر الإمام عليه السلام مقتصرًا على هذا المورد، بل ناظر إلى إصلاح جميع الأمور الماديّة والمعنويّة.

وبعض العبارات الواردة في كلام الإمام عليه السلام في هذه الرسالة تشير إلى أنّ الإمام ناظر في هذا المورد بشكل عام وواسع بحيث يشمل جميع المسائل الأخلاقيّة والاجتماعيّة من قبيل قوله:

«ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَعَنْيَ لَهُمْ عَن تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ».

الهدف الرابع: يتحدّث الإمام عليه السلام عن إعمار البلاد ويشمل ذلك إصلاح جميع ما يتعلق بأمور الزراعة والصناعة والتجارة، رغم أنّ الوارد في هذه الرسالة يختص بمسألة الصناعة والتجارة والكسب والعمل، ولم يرد كلام عن الزراعة، ولكن مع

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩١

الأخذ بنظر الحسبان أنّ مصر بلد زارعي وأنّ أهالي مصر يولون اهتماماً كبيراً بمسألة الزراعة، فكأنّ الإمام عليه السلام لم يجد حاجة لذكرها واقتصر على الإشارة إلى المشاكل الصناعيّة والتجاريّة، ولكن عندما يتحدّث عن أخذ الخراج يأمر مالك الأشر بأن يقوم، في ذات الوقت الذي يأخذ الخراج، بمراقبة عمليّة الأعمار واستصلاح الأراضي واجتناب التشدد مع الرّزاع بما يتسبب في قلّة المحاصيل الزراعيّة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يواصل استعراضه لهذه الأصول الأخلاقيّة الأربعة مخاطباً مالك الأشر، والتي تشكل في الحقيقة الأركان الأصليّة المعنويّة للحكومة.

بداية يقول:

«أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ».

إنّ خطب الإمام عليه السلام ورسائله وكلماته القصار في نهج البلاغة زاخرة بأمر التوسية بالتقوى، التي تمثل رأس مال سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، فالتقوى تعنى الاحساس بالمسؤوليّة الباطنيّة واجتناب كلّ أشكال الإثم والذنب والتعدى والإجحاف، وبعبارة أخرى أنّ التقوى تمثّل حالة معنويّة كابعه، تتولى حفظ مسيرة الإنسان في طريق الحقّ وتضمن عدم انحرافه عن الصراط المستقيم، ومعلوم أنّ

مسؤولية الإنسان كلما ازدادت وثقلت فإنها تستدعي حالة أعمق وأقوى من التقوى.

وفي التوصية الثانية يقول الإمام عليه السلام:

«وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتَّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ:

مَنْ فَرَّضَهُ وَسَنَّه، الَّتِي لَا يَشْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا».

«الفرائض» و «السنن» تعنى عادة الواجبات والمستحبات، وقيل: إن «الفرائض» هي الواجبات الواردة في كتاب الله، و «السنن» هي الأحكام والواجبات الواردة في السنة الشريفة وكلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وفي هذه الصورة تكون جملة: «مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ..»

شامله للأمر بإطاعة النبي في بيان الأحكام الإلهية أيضاً، فيحتمل في معنى هاتين المفردتين أن «الفرائض» إشارة إلى الواجبات المهمة، و «السنن» إشارة إلى الواجبات التي تأتي بالدرجة الثانية بعدها.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٢

ويتبين من عبارة

«وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا..»

أن طريق سعادة الدنيا والآخرة منحصر في هذا المسلك وأن الطرق الأخرى تقود الإنسان في خط الضلالة والتماهة، وطبعاً فهذا لا يعنى نفى الإدراكات العقلية والحق الهداية الباطنية بها، لأن من جملة الأمور التي ورد التأكيد عليها في كتاب الله اتباع العقل، وهو ما ورد في عشرات الآيات الكريمة.

وفي التوصية الثالثة يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْرَازِ مَنْ أَعَزَّهُ».

التعبير بنصرة الله تعالى بالقلب واليد واللسان، كما ذكر بعض الشراح، إشارة إلى ما يتصل بالقلب من الاعتقادات، واليد إشارة إلى جهاد الأعداء، واللسان إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن البعض يعتقد أن القلب لا يشير فقط إلى العقائد، بل إلى حالات النفور الباطني من القبائح والذائل والعشق لأعمال الخير أيضاً، وكذلك بالنسبة لليد فليست إشارة لجهاد الأعداء فقط، بل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مورد الحاجة لمقدمات عملية والتي تدخل عادة في وظائف الحكومة الإسلامية، وأما اللسان فيشمل جميع أشكال التعليم والتربية الصحيحة مضافاً إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

. عبارة

«قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ..»

إشارة إلى ما ورد في الآيات القرآنية الشريفة الناظرة إلى هذا المعنى، ومن ذلك ما ورد في الآية ٧ من سورة محمد: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُيَسِّرْ أَعْدَابَكُمْ».

وفي التوصية الرابعة يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزْعَمَهَا [٥٢١] عِنْدَ الْجَمَحَاتِ [٥٢٢]، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالشَّوْءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ».

والحقيقة أن هذه التوصيات والدساتير الأخلاقية الأربع تمثل برنامجاً كاملاً

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٣

لضمان سعادة جميع الناس، فلو أن روح التقوى وحالة الورع تعمقت وتجذرت في النفس، وتحرك الإنسان بعدها في خط إطاعة الأوامر الإلهية واتباع التعاليم الواردة في الكتاب والسنة وتصدى لمواجهة المفسدات الاجتماعية والقبائح الأخلاقية ومؤامرات الأعداء بالقلب واليد واللسان وكسر صنم الأهواء النفسانية، فمثل هذا الإنسان هو الإنسان الكامل وهو المخاطب بقول تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ

الْمُطْمِئِنَّةُ» [٥٢٣].

وجملة

«فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ..»

اقتباس من قوله تعالى: «وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» [٥٢٤]. (سواءً كانت هذه الجملة واردة على لسان يوسف عليه السلام أم على لسان زوجته عزيز مصر، وعلى أية حال فإن القرآن قد أمضى هذه المقولة). ورغم أن الكثير من المتقين يخشون من وساوس الشيطان، ولكن هوى النفس والوساوس الشهوانية والنوازع النفسانية أخطر من ذلك بكثير، ولعل هذا هو السبب في أن الإمام عليه السلام يلفت نظر مالِك الأشر إلى هذه المسألة أكثر. وصحيح أن المؤمنين المخلصين والأولياء الإلهيين قد تجاوزوا مرحلة النفس الأمارة إلى النفس اللوامة ومنها إلى النفس المطمئنة، ولكن هذا لا يعني أن نفوسهم الأمارة قد ماتت ولا حاجة إلى الحذر من أخطارها ودسائسها.

**تأمل**

### أخطار النفس الأمارة

من المعلوم أن كبار العلماء والمفسرين، وبالاستلهام من آيات القرآن الكريم، قالوا بوجود مراحل ثلاث للنفس الإنسانية في حركتها المعنوية في خط التكامل:

النفس الأمارة، النفس اللوامة، النفس المطمئنة.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٤

أما النفس الأمارة فإشارة إلى الأهواء والشهوات المتمردة التي تأمر الإنسان دوماً بسلوك طريق الرذيلة وإرتكاب المنكرات، والنفس اللوامة إشارة إلى حالة الندم الحاصل بسبب ارتكاب الإثم والمعصية، وتنمو وتشتد هذه النفس من خلال تقوية روح التقوى في الإنسان، أما النفس المطمئنة فهي المرحلة العالية من تكامل الروح الإنسانية بحيث تصل إلى مرتبة تخضع لها جميع الأهواء والنوازع النفسانية بشكل كامل من خلال آليات الضبط العقلي والإيماني.

ويرسم الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في المناجاة الثانية من المناجاة الخمسة عشر المعروفة، النفس الأمارة بكل وضوح ويشكو إلى الله تعالى منها بهذه الكلمات (بوصفه قدوة لعموم الناس) ويقول:

«إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسُّوءِ أَمَّارَةً وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً وَبِمَعَاصِيكَ مُوَلِّعَةً وَبِسَخِطِكَ مُتَعَرِّضَةً تَسْلُكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ كَثِيرَةَ الْعِلَلِ طَوِيلَةَ الْأَمَلِ إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْرَعُ وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ مَمْلُوءَةً بِالْغَفْلَةِ وَالسُّهُوِ تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ».

أجل فهذه معالم وخصائص النفس الأمارة على نحو الدقة، ويستفاد من الروايات الشريفة أن النفس الأمارة تزین للإنسان الذنوب وتقبح له الخيرات والطاعات، وعندما يرتكب الإنسان تلك القبائح والذنوب وتتجلى أمامه عواقب تلك الذنوب، تنكشف عن عينه ستائر الغفلة، وأحياناً يوصد من خلفه باب العودة والإنابة فلا سبيل له للتوبة من الرذائل والمنكرات.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (كما ورد في غرر الحكم) في كلام موجز أن:

«النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ الْمَسْئُولَةُ تَمَلِّقُ تَمَلِّقَ الْمُنَافِقِ وَتَتَصَيَّبُ بِشَيْمَةِ الصِّدِّيقِ الْمُوَافِقِ حَتَّى إِذَا خَدَعَتْ وَتَمَكَّنَتْ تَسَلَّطَتْ تَسَلَّطَ الْعَدُوِّ وَتَحَكَّمَتْ تَحَكَّمَ الْعُوَّ فَأُورِدَتْ مَوَارِدَ السُّوءِ» [٥٢٥].

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٥

ومن هنا أوصى الأولياء وعلماء الأخلاق أن يراقب الإنسان هذه النفس مراقبةً دقيقةً لئلا يتورط في شراكها وينخدع بخداعها، ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلام آخر (طبقاً لما ورد في غرر الحكم): «إِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فَمَنْ أَهْمَلَهَا جَمَحَتْ بِهِ إِلَى الْمَأْثِمِ» [٥٢٦]. فالنفس الأمارة تعتبر في الحقيقة أهم وسائل الشيطان وأدواته في إغواء الإنسان، فلو أن الإنسان تخلص من شراكها ومصائداتها فإنه يتخلص كذلك من شرّ الشيطان وتسويلاته.

### أهمية بلاد مصر

تعتبر مصر أحد أقدم مراكز الحضارة البشرية وأقدم مهد للتمدن في التاريخ البشري، وهناك آثار تاريخية مهمة في بلاد مصر احتار العلماء في كيفية تشييدها وبنائها حتى مع الأخذ بنظر الاعتبار الوسائل والأجهزة الحديثة، وكأنّ مقوله أنّ هذه الأرض كانت من قديم الأيام من أكثر البلدان تطوراً وإزدهاراً في العالم حقيقة لا غبار عليها.

والمدارك والأسناد التاريخية تشير إلى أنّ مصر كانت ذات حضارة مزدهرة منذ عشرة قرون قبل ميلاد المسيح، فكانت تحتوى على مدارس كبيرة ومكتبات ومراكز للتحقيق العلمي، وقد إقترنت الحضارة المصرية باليونانية من قديم الأزمان وكانت العلوم والمعارف متبادلة بينهما.

ومن النعم الإلهية الكبيرة على هذا البلد التاريخي، نهر النيل العظيم الذي يسقى أراضي مصر الواسعة، ولولا هذا النهر العظيم فإنّ قسماً عظيماً من أراضي هذا البلد ستعرض للجفاف والتصحر، وتغدوا صحراء قاحلة لا زرع فيها.

وفي السنة العشرين من الهجرة وفي زمن الخليفة الثاني استولى المسلمون على

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٦

هذا البلد، ومن عجائب التاريخ أن عمر بن الخطاب منع من دخول جيش الإسلام إلى مصر، ولكن عمرو بن العاص جهز جيشاً وتحرك بنفسه إلى مصر فوصل الخبر إلى عمر بن الخطاب، وقد كان يخشى أنّ جيش الإسلام إذا دخل مصر فسوف يتحد الرومان والمصريون ويهزموا الجيش الإسلامي، ولذلك كتب كتاباً إلى عمرو بن العاص وأرسله بيد عقبه بن عامر، وعندما وصل عقبه بن عامر إلى عمرو بن العاص وهو على مقربة من مصر، لم يسمح عمرو بن العاص لعقبه باللقاء به ولم يستلم الكتاب منه إلى أن دخل إحدى المدن الساحلية في مصر، ثم التفت إلى عقبه وقال:

هات الكتاب، فدفع إليه الكتاب، وكان عمر بن الخطاب قد كتب فيه أنّك إذا لم تدخل مصر فعليك بالعودة فوراً، فقال عمرو بن العاص لجنوده: هل أنّ هذا المكان هو مصر أو خارج مصر فقالوا: لقد دخلنا مصر، فقال: إنّ الخليفة قد أمرنا إذا لم ندخل مصر فعلينا بالعودة، ولكننا الآن في مصر ويجب علينا المضي والتقدم، ولكن عمرو بن العاص واجه مشكلة في فتح مصر وخاف من الهزيمة، فكتب إلى عمر بن الخطاب وطلب منه إرسال التعزيزات والمعونات، فجّهز الخليفة الثاني جيشاً من اثني عشر ألف نفر وأمر عليهم عدد من رجال الإسلام الشجعان وأرسله لنصرته، وأخيراً فتحت مصر واعتنق المصريون الإسلام بشوق بالغ، وأنتجت مصر الكثير من علماء الإسلام في فنون العلم المختلفة وفتحت المدارس الإسلامية فيها واحدة بعد الأخرى وازدهر العلم في هذا البلد.

ومن امتيازات مصر أنّ محبّي أهل البيت عليهم السلام وعشاق المذهب العلوي كثيرون فيها، وحتى أنّ أهل السنّة في مصر يعشقون أهل البيت عليهم السلام ويزورون «رأس الحسين» و«المرقد المنسوب للحوراء زينب» فيها حيث أضحى مزاراً عاماً لسكنة تلك الديار.

ولولا تدخل السياسة، لأمكن القول إنَّ مصر بإمكانها أن تكون وسيلة جيدة لإيجاد الوحدة والاتحاد بين المذاهب الإسلامية، والشاهد على هذا المدعى الفتوى

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٧

المعروفة التي أصدرها «الشيخ شلتوت» عن أتباع فقه الإمامية وأن هذا الفقه يقع في عرض مذاهب أهل السنة الأربعة ويجوز العمل به. وعلى أية حال فبسبب أهميته هذا البلد الإسلامي، اختار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أقوى شخصيته من أنصاره وأصحابه وأعرفهم وأشجعهم، وهو مالك الأشر، لإدارة أمور هذا البلد وكتب إليه العهد المعروف وهو مورد البحث الذي يشمل أدقّ التعاليم والتوصيات في مسألة إدارة الحكومة والولاية وسلّمه إليه.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٢٩٩

## القسم الثاني

### إشارة

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكَ أُنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَيْدَلٍ وَجَوْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاءِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُشْتَدُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الدَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاْمَلِكْ هَوَاكَ، وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصِفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصِفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ.

## الشرح والتفسير: احترام حقوق جميع المواطنين!

يتابع الإمام عليه السلام توصياته العميقة والشاملة التي ورد بعضها في القسم الأول من العهد، ويخاطب الإمام عليه السلام مالك الأشر مشيراً إلى عدّة نقاط خاصّة، بداية يقول:

«ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكَ، أُنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَيْدَلٍ وَجَوْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاءِ»

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٠

قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ».

ثم يضيف عليه السلام:

«وَإِنَّمَا يُشْتَدُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ».

في هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام يشير الإمام من باب المقدمة إلى وضع مصر (وقطعا لا ينحصر بمصر) وأنه قد كانت قبلك حكومات عادلة وجائزة، الحكومة العادلة من قبيل حكومة مصر في عصر النبي يوسف عليه السلام، وأما حكومة الجور فتمثل في

الكثير من الفراعنة منهم فرعون المعاصر للنبي موسى بن عمران عليه السلام.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى هذا الموضوع المهم، وهو أن معيار تقييم الحكومات من حيث العدل والجور يرتبط بأفكار عامة الناس وتصورهم عن حكومتهم، وهذا هو المتداول في هذا العصر من أن رأى الشعب هو الميزان، رغم أن الغالب في مقام العمل لا يؤخذ به تماماً، ولكن في ذلك العصر وعندما تحدّث الإمام عليه السلام بهذا الكلام، قلّمَا كان شخص يعتقد بهذه العقيدة وكان الناس يتصورون أن الحكومة لا يمكن أن تتحقق وتُدوم إلاّ بالآليات الاستبداد، والاستبداد بدوره مقترن بالظلم والجور.

وقد جاء في كلمات العلماء:

«أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ أَقْلَامُ الْحَقِّ»

أو

«أَلْسِنَةُ الرَّعِيَّةِ أَقْلَامُ الْحَقِّ إِلَى الْمُلُوكِ»

وهما بمعنى واحد، وهو أن كلام جمهور الناس يعتبر قلم الحقّ تعالى الذى يكتب توصياته ورسائله إلى الملوك والقادة، أو أن الله تعالى بهذه الوسيلة يخاطبهم ويكاتبهم، وعلى أيّة حال فالغاية من ذلك أن الحكم الصادر من عامة الناس ومن الوعى الجمعى للامة هو المعيار الجيد لمعرفة قيمة الحكومات وصلاحياتها ومصداقيتها.

وطبعاً أحياناً تقوم الحكومات من خلال التبليغ الكاذب والتظاهر والرياء بتحريف وتشويش أفكار الناس، أو تقوم بعملية غسيل الأدمغة، ففى مثل هذه الموارد يكون الرأى العام مريض ويفقد أثره المطلوب فى القضاوة.

ومهما يكن من أمر فمن الجدير بقيادة المسلمين الحاليين أن يكتبوا بعبارة:

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠١

«وَإِنَّمَا يُشْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ»

، بماء الذهب ويضعونها نصب أعينهم ويقرأونها كل يوم ويحفظونها فى قلوبهم، ومن أجل تحقيق هذا المضمون يجب عليهم إبعاد المتملقين والانتهازيين من حولهم ولا- يكتفون بشهادة أنصارهم وأصحابهم فقط، بل يعرفون صلاحيتهم ومصداقيتهم من خلال الإتصال المباشر مع الناس عامةً.

وجاء فى كتب التاريخ أن بعض القادة القدماء كان راغباً فى إقامة العدالة فى حكمه فأحياناً كان يلبس ملابس أخرى ويخرج متنكراً ويطوف فى المناطق المختلفة فى المدينة وخاصةً فى المناطق المحرومة، ويدرس الأمور والأوضاع عن كذب بدون استخدام الوسطاء.

ثم يصدر الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من عهده ست توصيات مهمّة لمالك الأشر ويقول:

«فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ».

ويقول القرآن الكريم: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» [٥٢٧].

وفى آية أخرى يقول: «إِنَّهُ يَضَعُ الذُّكُلَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ» [٥٢٨].

وفى تفسير آخر أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب ويعمل على ترسيخ العقائد السليمة فى واقع الإنسان وقلبه.

ونقرأ فى سورة العصر: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ» [٥٢٩].

وفى التوصية الثانية والثالثة يقول الإمام عليه السلام

«فَأَمْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ [٥٣٠] بِنَفْسِكَ عَمَّا لَأ

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٢

يَجِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ».

إنّ ضبط الأهواء النفسانيّة وكبح جماحها، والذى يؤكّد عليه الإمام عليه السلام، هو أن يستطيع الإنسان عند فوران الشهوة وثورة



الغريزة أن يضبطها ويجعلها تحت إرادته، وبالعكس ذلك إذا سيطر هوى النفس على فكر الإنسان وعقله وقواه وملكاته الأخرى فإنه سيقود صاحبه إلى وادى الهلكة والخسران.

ونقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«اِحْذَرُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تَحْذَرُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْدَى لِلرِّجَالِ مِنْ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَحَصَائِدِ أَلْسِنَتِهِمْ» [٥٣١].

وجاء في حديث آخر في «غرر الحكم» عن الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام:

«أَمَلِكُوا أَنْفُسَكُمْ بِدَوَامِ جِهَادِهَا» [٥٣٢].

فالشح بالنفس في مقابل المحرمات لا يعنى سوى أن يتصرف الإنسان كالبحيل الذى لا يجد فى نفسه رغبة فى إنفاق الدرهم والدينار من أمواله على الآخرين، فمثل هذا الإنسان يقف فى مقابل المحرمات كالبحيل فلا يعطى من نفسه شيئاً يؤدى به إلى خسارته دينه وإيمانه ويبعده عن طريق الإنصاف والصلاح، سواءً فى الأمور التى يجد فى نفسه ميلاً إليها أم فى الأمور التى لا يشتهيها.

ثم يشير الإمام عليه السلام فى التوصية الرابعة إلى مسألة مهمة جداً تعكس عظمة القوانين الإسلامية وي طرح أمراً لم يكن له وجود فى ذلك العصر فى المجتمعات البشرية، ويقول:

«وَأَشْعُرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ».

ومعلوم أن «أشعر» من مادة «شعار» وشعار فى الأصل يطلق على الملابس التحتانية للإنسان التى تلتصق مباشرة ببدنه، واختيار الإمام عليه السلام لهذا التعبير يشير إلى أن قلبك يجب أن يلتصق بالرحمة والمحبة واللفظ بالنسبة للرعية.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٣

ولعل الفرق بين الرحمة والمحبة واللفظ، أن الرحمة تمثل المرتبة الأولى من الصداقة وحسن الخلق، والمحبة فى مرتبة أعلى منها، واللفظ يمثل آخر مرتبة من التعاطف مع الآخرين، وربما يكون التفاوت فى هذه المراتب بالنسبة لمواقع أفراد المجتمع والرعية، فبعضهم يستحق الرحمة، والبعض الآخر فمن هو أنفع للناس فإنه جدير بالمحبة، والأشخاص الذين يخدمون الناس ويسعون فى إيصال الخير أكثر فإنهم جديرون باللفظ.

وقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةُ إِلَّا لِرَجُلٍ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ وَحُسْنُ الْوِلَايَةِ عَلَى مَنْ يَلِي حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ» [٥٣٣].

ويتحدث الإمام عليه السلام فى التوصية السادسة من موقع التأكيد على ما مرّ فى التوصية الرابعة ويقول:

«وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِباً [٥٣٤] تَغْتَنِّمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ:

إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ».

ولا شك ولا ريب فى أن أركان الحكومة الصحيحة والمقتدرة والعادلة هى التى تمتد سيطرتها على قلوب الناس وعواطفهم لا على أساس القوة والسيوف، فالولاة الذين يحكمون على قلوب الناس ويملكون عواطفهم فإن المجتمع يعيش الأمن والأمان، أما من كان يحكم باليات القوة والقهر فإنهم يعيشون هاجس الخطر دائماً.

ومن أجل تشويق مالك الأشر على أمر الحكومة على القلوب والعواطف يأمر الإمام عليه السلام بالتعامل مع الرعية بلغة الرحمة والمحبة واللفظ، ثم يبين الإمام عليه السلام النقطة المقابلة لذلك، وهى الحكومة التى تقوم على أساس البطش والقوة ويكون الحاكم فيها كالحيوان المفترس يأكل حقوق الرعية ويحسبها غنيمته له، ثم يختار الإمام

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٤

أفضل دليل على هذه التوصيات، وهو أن الرعية فى الحكومة الإسلامية ليس خارجة عن اثنين: فالغالبية مسلمون، ونعلم أن الإسلام يقرر أن المسلم أخو المسلم، أو أقلية من غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين حياة سلمية، وهم بشر ويتصرفون بالإنسانية،



والإنسان يجب أن يتعامل مع الإنسان الآخر بألية المحبّة والموادّة.

وهذا الكلام فى الحقيقة يشطب بخط البطلان على التبليغات المسمومة للأعداء الذين يقولون: إنّ المسلمين لا يعترفون بحق الحياة لغير المسلمين ويعتقدون أنّ جميع الأفراد من غير المسلمين يجب أن يقتلوا أو يسلموا كرهاً، أجل فإنّ كلام الإمام عليه السلام المذكور أعلاه يقرر أنّ جميع أفراد البشر وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى بإمكانهم أن يعيشوا مع المسلمين حياة سلمية وطيبة ويتمتعون فى داخل البلاد الإسلامية فى ظلّ قوانين الإسلام بكافه حقوقهم وتكون نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وحيثياتهم محفوظة، خلافاً لما نراه فى عالمنا المعاصر، فحتى الاختلاف فى لون الجلد فى بعض الدول التى تدعى التقدم والحضارة كأمريكا يكون سبباً للتمييز العنصرى، وخلافاً لما يتبحون به فى إعلاناتهم السياسية فإنّ البيض هناك يكرهون السود غالباً، والمراكز الاجتماعية للبيض منفصلة عن مراكز السود وهم غير مستعدين للتعاون فى الكثير من المسائل الاجتماعية.

ثمّ يبين الإمام عليه السلام حقيقة تعتبر من أهمّ تعاليم وتوصيات الإدارة الناجحة ويقول: «يَقْرُطُ [٥٣٥] مِنْهُمْ الزَّلُّ [٥٣٦]، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلُّ، وَيُوتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِيَهُمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ». وبديهي أنّ كلّ إنسان غير معصوم من الخطأ والزلل (سوى المعصومين عليهم السلام) وأنّ

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٥

الكبير والصغير، والعالم والجاهل كلّ واحد منهم يتلى بما يتناسب مع حاله بالأخطاء، ولا أحد بإمكانه أن يدعى أنّه برىء من الخطأ والزيغ، بل ورد فى حالات بعض الأنبياء الإلهيين أنّهم كانوا يرتكبوا أحياناً ترك الأولى، ورغم أنّه ليس بذنب ومعصية، ولكنه غير لائق بمقامهم.

وهكذا أحياناً يفقد الإنسان حالته العادية بسبب بعض الآلام والمتاعب الجسميّة والروحيّة، وفقدان الأعزّة، الفشل فى العمل وأمثال ذلك، ففى مثل هذه الحالة يسلك عادة فى دروب الزيغ والخطأ.

وبما أنّ الإمام عليه السلام يريد لمالك الأشر الولاية والحكومة على جمهور كبير من الناس، يعنى أهالى مصر، فإنّه يأمره بالعفو عن الزلل والخطأ (فى الموارد الميسورة والممكنة)، ومن أجل إثارة الباعث فى نفسه على هذا العمل وتقويته فى نفسه يذكره الإمام بأخطائه وزلاته فى مقابل البارى تعالى، ويقول: ألا ترغب فى أن يعطيك الله من عفوهِ وصفحه ويتجاوز عن أخطائك وسيئاتك؟ إذن فعليك بالعفو والصفح عن خطايا الرعيّة ولا تشدد عليهم، وطبعاً هذا فى الموارد التى لا يكون فيها العفو والصفح موجباً للاخلال فى النظم وتضييع حقوق المظلومين.

ونقرأ فى تاريخ صدر الإسلام عندما شاعت قضية الإفك بين المسلمين بواسطة المنافقين وأتهم جماعة منهم زوجة النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله بالانحراف عن جادة الشرف والعفة، فإنّ جماعة من المؤمنين، سلكوا، عمداً أو سهواً، فى مسير إشاعة هذه التهمة، فنزلت الآيات القرآنيّة ونهت بشدّة عن هذا السلوك الشائن، بحيث إنّ بعض المسلمين عزموا على قطع رابطتهم مع هؤلاء الأشخاص من مثيرى الفتنة ومروجى الإشاعة، ويحرمونهم من معوناتهم المادية، فنزلت الآية الشريفة: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْيَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [٥٣٧].

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٦

والفرق بين العفو والصفح، أنّ العفو يعنى صرف النظر عن العقاب على الخطأ والزلل، وأمّا الصفح فى مثل هذه الموارد فهو إزالة العقوبة على الخطأ من ذهنه ووضعها فى زاوية النسيان.

وجملة:

«يُوتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ ..»

لا- تعنى أنه يجب على الوالى أن يأخذ بيد المخطفين ويهديهم سواء السبيل كما ذكر ذلك بعض الشراح، بل بمعنى أن الأعمال الخاطئة تجرى على أيديهم.

ثم يتحرك الإمام على مستوى التوضيح والتأكيد أكثر ويقول:

«فَأَنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَّلَاكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ».

فالإمام عليه السلام فى هذه العبارة يؤكد على هذه الحقيقة، وهى أن كل شخص يحكم على جماعة فهو بدوره يقع تحت حكمه شخص آخر، فإذا كنت حاكماً على مصر، فعليك بالانتباه بأننى حاكم عليك ومراقب لأعمالك، فإذا كنت حاكماً عليك فينبغى أن أنتبه إلى أن الله تعالى حاكم علينا، ومعلوم أن الالتفات إلى هذا الأمر يؤدى بالإنسان أن يتعامل مع الناس بآليات العفو والصفح والمحبة ما أمكنه ذلك لكى يتوقع بالتالى عفو الحاكم عنه وأعلى من ذلك يتوقع العفو الإلهى عنه.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٧

### القسم الثالث

#### إشارة

وَلَمَّا تَنَصَّبَ بَيْنَ نَفْسَيْكَ، لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَتَّكِرَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبِيهِ، وَلَا تُشْرَعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مُنْذُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ. وَإِذَا أُخِذَتْ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طَمَاحِكَ، وَيَكْفُفُ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ! إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

### الشرح والتفسير: لا تكن مغروراً أبداً!

يواصل الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من كتابه لمالك الأشتر ويوصيه بسبع توصيات مهمة أخرى.

بداية يقول::

«وَلَمَّا تَنَصَّبْتَ نَفْسَكَ، لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ».

المراد من الحرب مع الله، كما ذكر الكثير من شراح نهج البلاغة، هو الظلم والجور على عباد الله وتضييع حقوقهم ولا- يشمل كل معصية وإثم، وصحيح أن جميع الذنوب قبيحة وذميمة، ولكن التعبير بالحرب مع الله يعنى أكبر من ذلك.

والشاهد لهذا المعنى ما ورد فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام عن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٨

رسول الله صلى الله عليه وآله

: «لَقَدْ أَسْرَى رَبِّي بِي فَأَوْحَى إِلَيَّ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَوْحَى وَشَافَهَنِي إِلَى أَنْ قَالَ [٥٣٨] لِي يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدَلَّ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرْصَدَنِي

بِالْمَحَارِبَةِ وَمَنْ

حَارَبَنِي حَارَبْتُهُ» [٥٣٩].

ويستدل الإمام عليه السلام لعدم الحرب مع الله بأمرين: أحدهما، الحاجة إلى عفوه ورحمته، والآخر، اجتناب عقوبته وعذابه. وفي التوصية الثانية والثالثة يقول عليه السلام:

«وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ [٥٤٠] بِعُقُوبِهِ».

وهذا الكلام إشارة إلى أنك يجب أن تلتزم جانب العفو ما أمكنك ذلك وقلل من موارد العقوبة، لأن أثر العقوبة إذا كان نافعا لمدة قصيرة فإن أثر العفو يمتد لمدة طويلة.

وطبعاً فإن هذا الحكم يصدق على غالبية الناس، ولكن لدى بعض الناس - وهم أقلية تكون نتيجة العفو والصفح عكسية ويتحمل الجناة ذلك على محمل الضعف والخوف من قبل الوالي، فلا بد من استخدام الشدة والقوة مع هؤلاء.

وفي التوصية الرابعة يقول عليه السلام:

«وَلَا تُشْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ [٥٤١] وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُذُوحَةً [٥٤٢]».

ومعلوم أن الإنسان عندما يملكه الغضب فإنه يفقد اعتداله الفكري، وقد جربنا مراراً بأن كل قرار نتخذه في ذلك الوقت سيثبت خطأه بعد ذلك، وحتى أعقل الناس

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٠٩

ربما يتحول في صورة الغضب والحدة إلى أجهل الناس، والمعروف بين العامة من الناس أنهم يقولون: عندما أغضب فإن الدم يغطي على عيني ويحول بيني وبين رؤية الأشياء فأرتكب العمل الفلاني، وهذا في الحقيقة إشارة إلى هذه الحالة.

ولذلك ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«الْغَضَبُ يُزِدِي صَاحِبَهُ وَيُبِيدِي مَعَايِبَهُ» [٥٤٣].

وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام أيضاً:

«بِئْسَ الْقَرِينُ الْغَضَبُ يُبِيدِي الْمَعَائِبَ وَيُذْنِي الشَّرَّ وَيُبَاعِدُ الْخَيْرَ» [٥٤٤].

وهذه الحقيقة تتضح أكثر عندما يأتي بعض الأشخاص من طرف واحد ويتحدثون للوالي بكلام معين، فلو عزم على أمر في هذا الحال فسوف يندم، فيجب التريث قليلاً وسماع حجة الطرف المقابل، فربما يختلف الحال بعد هذا التحقيق.

ومن هذا المنطلق ينبغي العمل وفقاً للمثل المعروف: «عند الغضب لا عقوبة ولا أمر ولا تصميم».

في التوصية الخامسة ينهاه الإمام عليه السلام بشدة عن حالة الغرور والفخر ويقول:

«وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْغَالٌ [٥٤٥] فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ [٥٤٦] لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ [٥٤٧]».

ولا شك أن أحد الآفات الخطيرة لمسألة الحكومة والولاية، الغرور والكبر والاستبداد، وكما قال الإمام عليه السلام أن ذلك ترتب عليه ثلاثة أمور خطيرة، الأول: أن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٠

يفسد فكر الإنسان وتنقلب لديه الحقائق ويتخذ قرارات عجولة وغير عادلة ومجانبة للصواب، والآخر، أن الإنسان يتورط بأنواع المعاصي والذنوب والظلم مما يوهن إيمانه ودينه، والثالث، أن هذه الحالة تتسبب في إيجاد متغيرات كثيرة فيما يتصل بعلاقة الحكومة مع الناس والكثير من الإنتفاضات والثورات على إمتداد التاريخ البشري تنبع من هذه القضية.

وبخلاف ذلك إذا كان الوالي متواضعاً وأخرج من ذهنه ربح الغرور والتكبر، فسوف يعتدل فكره ويتصرف بحكمة وكذلك لا يلوث

نفسه بالذنوب ولا- يضعف إيمانه، ومن جهة أخرى يحفظ علاقته الحميمة مع الناس، وهذه العلاقة هي الأصل والأساس للحكومة الصالحة حيث تمنح الحكومة القدرة والهيمنة.

ويقول الإمام عليه السلام في كلماته القصار في «غررالحكم» عبارة مثيرة في مصير المغرورين وعاقبتهم الوخيمة: «طُوبَى لِمَنْ لَمْ تَقْتُلْهُ قَاتِلَاتُ الْغُرُورِ» [٥٤٨].

وفي مورد آخر يقول:

«سُكْرُ الْغَفْلَةِ وَالْغُرُورِ أَبْعَدُ إِفَاقَةً مِنْ سُكْرِ الْخُمُورِ» [٥٤٩].

أجل، فإن سكر الشراب ربما يزول بعد يوم أو ليلة، ولكن سكر الغرور ربما يستمر إلى خمسين عاماً.

ويشير الإمام عليه السلام في آخر الخطبة التالية من نهج البلاغة إلى جماعة من المنافقين والانتهازيين الذين تمردوا عليه ويقول: «زَرَعُوا الْفُجُورَ وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ وَحَصَدُوا الثُّبُورَ».

وبما أن عمل الأطباء الواعين لا يقتصر على تشخيص وعلاج الألم والمرض، بل يمتد إلى إراءة طرق العلاج أيضاً، ويعد ذلك من الأركان الأصلية لبرنامجهم الطبي، والإمام عليه السلام وهو الطبيب الإلهي، في هذه الرسالة بعد أن يذكر آفات الغرور، يشير إلى طريق علاجها ويقول:

«وَإِذَا أَحَدٌ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَةً» [٥٥٠] أَوْ

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١١

مَخِيلَةً» [٥٥١]، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِكَ اللَّهُ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ

نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ [٥٥٢] إِلَيْكَ مِنْ طَمَاحِكَ [٥٥٣] وَيَكْفُفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ [٥٥٤] وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا غَرَبَ [٥٥٥] عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ».

فالإمام عليه السلام في هذه العبارات البليغة والعميقة المعنى، يقرر أن النظر إلى عظمة ملك الله تعالى وقدرته الواسعة من شأنه أن يخلف ثلاثة آثار إيجابية للمغترين بقدرتهم:

الأول: أنه ينزلهم عن مركب الغرور.

والآخر: يخفف من شدة عملهم.

والثالث: يعيد إليهم عقلهم الذي أسدل عليه الغرور ستار الغفلة.

أجل، فإن أقوى الأفراد يجد نفسه في مقابل الحوادث والمظاهر الطبيعية التي تحدث بأمر الله كالريشة في مهب الريح، وقد سمعنا كثيراً أن السلاطين المستبدين قد أخذهم الأجل بين عشية وضحاها بسكتة قلبية مختصرة، ونعلم أن هذه العارضة تنشأ من إنسداد بعض الشعيرات في القلب ويترتب عليه جلطة دموية، أو يموت بسبب السرطان، وهو ليس سوى طغيان خلية من خلايا البدن الضعيفة أو بواسطة المكروب أو فيروس الذي لا يرى بالعين المجردة، وأحياناً تحدث زلزلة وتهدم جميع قصورهم، أو يهب اعصار ليحطم جميع ما لديهم، أو يأتي سيل عظيم ويأخذ معه كل ما لديهم، وهكذا، هذه كلها إشارات صغيرة على قدرة الله المطلقة، فلو أن الإنسان تفكر في هذه الأمور، فإنه سيكون متواضعاً وبعيداً عن حالات الغرور في

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٢

أى مقام ومنصب كان.

إن التاريخ لا يذكر حكومة وسلطة أعلى من سلطة النبي سليمان عليه السلام، فالقرآن يتحدث عن سليمان عندما حان أجله فلم يمهل الموت حتى يجلس على الأرض بل أخذ روحه وهو واقف متكىء على عصاه وودع جميع ما لديه من إمكانات عظيمة في لحظة واحدة ولم يعلم بموته أحد من الناس إلا بعد أن أكلت الأرضه عصاه فاختل تعادله وسقط على الأرض.

ثم إن الإمام عليه السلام، وفي التوصية السابعة، يتحدث من موقع التأكيد على الأمور المذكورة آنفاً لغرض إزاحة حالة الغرور والتكبر عن الولاية والامراء من خلال التهديد بالعقوبة الإلهية ويقول:

«إِيَّاكَ وَمَسَامَاةَ [٥٥٦] اللَّهُ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشْبَهُ بِهِ فِي جَبْرَوْتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ [٥٥٧].»

وفي الحقيقة فإن الأشخاص الذين ملكهم الغرور والتكبر يدعون عملاً أنهم في سياق واحد مع الله تعالى، في حين أنهم لا يمثلون سوى ذرات تافهة في مقابل بحر العظمة الإلهية، والعقوبة المترتبة على مثل هذا الغرور والشموخ العبثي هو أن الله تعالى سيدلهم ويهينهم، وإذا التفت المتكبرون والمغرورون إلى نهاية عملهم فسوف ينزلون من مركب الغرور والكبر.

وقد وردت أحاديث شريفة في هذا المجال عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام.

فقرأ في حديث شريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال عندما سئل عن:

«أَذْنَى الْإِلْحَادِ»

. فقال عليه السلام:

«إِنَّ الْكِبْرَ أَذْنَاءُ» [٥٥٨].

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«الْكِبْرُ رِدَاءُ اللَّهِ فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ أَكَبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ» [٥٥٩].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٣

ومعلوم أن جميع هذه الأمور بسبب الآثار والتداعيات السلبيّة الفرديّة والاجتماعيّة التي تستولى على الشخص المغرور والمتكبر، وقد ورد روايات متعددة أن الكبر يتسبب في تجاهل الإنسان للحق ويواجه أهل الحق من موقع التوبيخ والذم ويسحق حقوق الناس [٥٦٠].

ونختم هذا الكلام بحديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«الْكِبْرُ أَنْ تَتْرَكَ الْحَقَّ وَتَتَجَاوَزَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَتَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ وَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدًا عَرِضُهُ كَعَرِضِكَ وَلَا دَمُهُ كَدَمِكَ» [٥٦١].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٥

## القسم الرابع

### إشارة

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِذَا تَفَعَّلْتَ تَظَلَّمْتَ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَزْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يُتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

### الشرح والتفسير: إحذر من لعنة المظلومين!

في هذا المقطع من رسالة الإمام عليه السلام لمالك الأشتر يوصيه الإمام عليه السلام بعبارات بليغة ومحكمة بإقامة العدالة ورفع كل أشكال التمييز:

«أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى [٥٦٢] مِنْ رَعِيَّتِكَ.»

ومعلوم أن المراد من الانصاف بالنسبة لله تعالى، إطاعة أوامره ونواهيه، والانصاف بالنسبة للناس ترك كل أشكال التمييز والميل

لبعض الأفراد دون البعض، كما هو الحال في سيرة غالبية المسؤولين والقادة في الماضي والحاضر، فعندما يصلون إلى مسند القدرة والسلطة يمنحون أقاربهم وأصدقاءهم امتيازات خاصة دون سائر الناس، وهذا التمييز يتسبب في أنواع من الخلل والإرباك في الحكومات.

وينبغي الالتفات إلى أن «الانصاف» من مادة «نصف» الذي يطلق على نصف كل شيء، وبما أن العدالة تؤدي إلى قيام الإنسان بتقسيم حقوقه الاجتماعية بينه وبين

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٦

الآخرين بالعدالة، فمن هذه الجهة يطلق عليه «انصاف» وبعبارة أخرى أن الانصاف هو أن يحب الإنسان للآخرين ما يحب لنفسه وأقربائه وأصدقائه، ويكره للآخرين ما يكره لنفسه والأشخاص المتعلقين به.

ونقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«سَيِّدُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ: إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى لَا تَرَضِيَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَضِيَتْ لَهُمْ مِثْلُهُ» [٥٦٣].

وأما الانصاف بالنسبة لله تعالى فهو أن يقسم الإنسان المواهب الإلهية بشكل عادل، فنصفها ينفقها في سبيل الله ويبقى النصف الآخر لنفسه، وهكذا يقسم وقته وفكره وإمكاناته الأخرى بهذا المنوال حتى يراعى على الأقل الانصاف وإن لم يصل إلى حد الإيثار.

ومن الطبيعي أن هذا العمل ليس بالهين واليسير، لأن الإنسان يميل دوماً نحو ترجيح نفسه وأقربائه على كفة الآخرين، ومن هنا ورد في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه:

«أَلَا أَخْبُرُكَ بِأَشَدِّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ»

، قلت:

بلى. قال:

«إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَمَوَاسَاتُكَ أَخَاكَ وَذِكْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ...» [٥٦٤].

والفرق بين الانصاف والمواساة، هو أن الانصاف يكون في مورد الحقوق، والمواساة تقع في جميع مواهب الحياة ونعم الله تعالى على الإنسان.

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه ويذكر دليلاً على قوله، وهذا الدليل مركب، في الحقيقة، من صغرى وكبرى ونتيجته ويقول:

«فَإِنَّكَ إِذَا تَفَعَّلْتَ تَظْلِمًا وَمَنْ ظَلَمَ عَبْدًا لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ حَاصِمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ حَاصِمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ [٥٦٥] حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ [٥٦٦] أَوْ يَتُوبَ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٧

ومن الواضح أن ترك الانصاف وممارسته أى شكل من أشكال التمييز يعتبر من الظلم الفاحش والجلى، ونعلم أن الله تعالى عادل وحكيم وعدو للظالمين ونصير للمظلومين، والملفت للنظر أن الإمام عليه السلام يؤكد على هذا المعنى، وهو أن الله تعالى إذا خاصم أى شخص فإنه لا يقبل منه أى عذر وحجة، والتعبير

«أَذْخَصَ حُجَّتَهُ»

إشارة إلى هذا المعنى، وربما يملك الشخص المذنب بعض الأعذار غير الموجهة في ذنوب أخرى ويشمله لطف الله تعالى وتكون أعذاره مقبولة بغفارية البارى تعالى، ولكن بالنسبة للظلم والجور لا يقبل منه أى عذر وذريعة، والطريق الوحيد للنجاة من خصومة الله تعالى وعقوبته أن يرفع الإنسان يده من الظلم ويتوب من أعماله هذه ويعيد حقوق الناس إليهم ويجبر ما فات من أعماله.

ثم إن الإمام عليه السلام فى سياق كلامه هذا يبين العقوبة الشديدة للظالمين وأنها لا تشبهها أية عقوبة أخرى:

«وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَتِهِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ [٥٦٧]، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ».

وهذا الكلام يعدّ تحذيراً شديداً للظالمين ليعلموا أنّ عقوبتهم لا تنحصر بيوم القيامة، بل سيواجهون جزاء أعمالهم في هذا العالم أيضاً، وليس فقط في مدّة طويلة بل في مدّة قصيرة، أجل فإنّ ما يسرع في تغيير النعم الإلهية وينزل العقوبة والعذاب الإلهي هو الإقامة والاستمرار على الظلم والإصرار على العدوان وسحق الحقوق.

ونقرأ في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلِمُ بِمَظْلَمَةٍ إِلَّا أَخَذَهُ اللَّهُ بِهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ...» [٥٦٨].

وجاء في الكلمات القصار للإمام عليه السلام في غرر الحكم:

«مَنْ عَمِلَ بِالْجورِ عَجَّلَ اللَّهُ هُلُكَهُ» [٥٦٩].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٨

وكذلك ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ فِي مَمْلَكَةٍ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ أَنْ اتَّ هَذَا الْجَبَّارُ فَقُلْ لَهُ: إِنَّنِي لَمْ أَشَيْءُ عَمَلِكَ عَلَى سَيْفِكَ الدِّمَاءِ وَاتِّخَاذِ الْأَمْوَالِ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتَكِ لِيَتَكْفَى عَنِّي أَصْوَاتُ الْمَظْلُومِينَ، فَإِنِّي لَمْ أَدْعُ ظَلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا» [٥٧٠].

يقول ابن عباس، الذي اقتبس الكثير من علومه من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام: «علمت من القرآن الكريم أنّ الظلم والجور يخرب البيوت، ثم أشار إلى هذه الآية: «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا...» [٥٧١]» [٥٧٢].

وجاء في حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبُرِّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عِقُوبَةُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ» [٥٧٣].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣١٩

## القسم الخامس

### إشارة

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَمُهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرِيضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّحَاءِ، وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالِإِلْحَافِ، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عَذْرًا عِنْدَ الْمَنعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مِلْمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِعُوكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

### الشرح والتفسير: كن مع جمهور الناس!

يلفت الإمام عليه السلام النظر في هذا المقطع من الرسالة إلى نقطة مهمّة ومؤثرة في حياة الإنسان وبخاصّة المجتمعات البشرية المعاصرة وكيفية عمل الحكومات، ويقول:

«وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا [٥٧٤] فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَمُهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ».

وبديهي أنّ القوانين والمقررات التي تملك هذه الخصوصيات الثلاث تكون أشمل من حيث الحقوق، وكذلك أشمل من حيث



رعاية العدل، وأفضل في كسب رضا عامة الناس، فإنها ستقع مورد رضا الله تعالى والخلق، وعندما يكون الله تعالى

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٠

راضياً عن حكومة معينة وخلق الله راضون كذلك، فإن ذلك يضمن بقائها ودوامها.

وهذا الكلام يعنى أن المهم هو تحقيق رضا الغالبية الساحقة من الناس لا الأقلية من أصحاب الثروة من الانتهازيين الذين يعيشون في بلاط الحاكم أو السلطان.

ويقول الإمام عليه السلام في سياق كلامه:

«فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ [٥٧٥] بَرِّضَى الْخَاصَّةِ،

وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ».

ما ورد من الجمل القصيرة أعلاه يمثل في الواقع البنية التحتانية للحكومات الثابتة والمستقرة، فأفراد المجتمع ينقسمون عادة إلى قسمين: فئة هي الأقلية من الأثرياء الذين يتمسكون بأطراف القادة والزعماء ويرزون لهم مظاهر الإخلاص والتضحية بدافع التملق ويهتمون دائماً بمنافعهم الذاتية ومصالحهم الشخصية، وفي مقابل هناك الغالبية من الناس الذين تقع على أيديهم تحريك عجلة الحياة في المجتمع، هؤلاء يعملون ويتعبون أنفسهم أكثر من الآخرين ويحبون بلدهم ويتفانون في خدمته أكثر من الطائفة الأولى، فلو أن الطائفة الأولى لم تكن راضية عن الوالي والحاكم وكانت الطائفة الثانية راضية ومسرورة، فلا تحدث مشكلة أو إرباك في فضاء المجتمع، لأن مشاكل المجتمع تحل عادة بيد جمهور الناس ولا تؤثر صرخات الأقلية في تغيير مسار المجتمع، ولكن إذا رجح الوالي رضا الطائفة الأولى وهم الأقلية على حساب غضب عامة الناس وسخطهم، فحينذاك تتعرض أركان الحكومة للاهتزاز والضعف.

وفيما لو استمر سخط العامة فسوف ينتهي بهم الأمر إلى الثورة والانتفاضة ضد الحكومة.

إن سيرة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله والإمام على عليه السلام تعد أفضل نموذجاً حياً لهذه المسألة، فقد تحركا دوماً في خط مواساة المحرومين ومساعدته ودعم الطبقة المتوسطة من

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢١

أفراد المجتمع ولم يهتموا بمخالفة الخواص الذين يرون منافعهم في خطر.

وهذا هو الأمر الذي يطلق عليه في هذا العصر بالديمقراطية الشعبية، أو الديمقراطية الدينية، ولكن ربما يكتفى السياسيون أحياناً بالألفاظ والظاهر لا بالحقيقة والواقع، فالديمقراطية في الحقيقة تعتبر مفهوماً قديماً ولكنهم أظهروه للناس بقوالب جديدة من الألفاظ والكلمات.

ونرى في هذه الأيام نوعاً من الأساليب الشيطانية المشبوهة من قبل هذه الطائفة من الخواص الذين يتحركون، وبواسطة استخدام وسائل الاتصالات الجمعية، لخداع الرأي العام وكما يقال: يقومون بغسل الأدمغة بحيث يتصور الناس أن مطالب الخواص هي ما يريده عامة الناس، ولكن مع قليل من الدقة يمكن كشف هذا الزيف والخداع في مقولاتهم.

وأحياناً يستخدمون اسلوباً آخر، وهو أن يفتحوا الباب على مصراعيه للملذات والأهواء والغرائز البدنية ويعملون على إلهاء الناس بهذه الأمور لكي لا يعرف الناس حقيقة ما يجري في المجتمع والحكومة، فلو أن الأشخاص العارفين بهذه الأمور والمخلصين للشعب يتحركون على مستوى تنبيه الناس وإيقاظهم من غفلتهم لثلا- يسقطوا في هذه المصيدة، فسوف تفتح عيون الناس على الحقيقة ويتحركون على مستوى الثورة ضد النظام الحاكم ويلقوا بهؤلاء الانتهازيين في مزبله التاريخ.

وبما أن هذه المسألة تتمتع بأهمية كبيرة في الإسلام، فالإمام عليه السلام عليه السلام في سياق كلامه يتعرض لشرح أكثر لهذا الموضوع ويبحث في تفاصيل هذه المسألة ويذكر صفات تلك الطائفة من الخواص، وكذلك يذكر خصوصيات الطائفة الأخرى من عامة الناس والعاملين في المجتمع، وبداية يتحدث الإمام عن الصفات الذميمة للخواص المغرورين ويذكر لهم سبع صفات:

يقول عليه السلام في الصفة الاولى والثانية:

«وَأَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٢

فهؤلاء يتوقعون الكثير من الوالي ومطالباتهم لا تعد ولا تحصى ولا تمتلىء جيوبهم بسهولة، وعند بروز المشكلات والأزمات يسحبون أنفسهم ويتراجعون إلى الوراء ويقولون بأن حفظ البلد والتضحية في سبيله تقع على عهدة العامة من الناس، ويتصورون أنهم طبقة ممتازة من الصفوة والنخبة الذين يتكفلون مهممة الإشراف وإبداء الرأي فقط.

وفي الصفة الثالثة يقول عليه السلام:

«وَأَكْرَهَ لِلْإِنصَافِ».

لأنهم يعتقدون بأنهم شريحة ممتازة ونخبة مفضلة لا ينبغي أن يجعلوا في عرض الآخرين في أي برنامج ومشروع.

ويقول الإمام عليه السلام في بيان الصفة الرابعة:

«وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ (٥٧٦)».

لأنهم يرون أنفسهم دائمين ومتفضلين، أضف إلى ذلك أنهم من المقربين للولاية والحكام ويامكانهم أن يطرحوا مطالبهم مرات ومرات، بخلاف الجمهور من عامة الناس الذين يطرحون مطالبهم باصرار أقل بكثير، وأساساً لا مجال لهم عادة للوصول إلى الحكام والمسؤولين.

وفي الصفة الخامسة والسادسة يقول عليه السلام:

«وَأَقْلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ».

لأنهم لا يرون العطاء والبذل خدمة من قبل الحاكم تستحق الشكر بل إنه أداء للدين، وفي مقابل الدين لا يستحق المدين شكراً ولا ثناءً، فهم يتصورون غالباً أنه لولا نصرتهم للنظام وإشرافهم على أمر الحكومة، فإن هذه الحكومة لا يمكنها أن تستمر في حياتها وتمارس دورها في السيادة والهيمنة، ومن هذا المنطلق يرون لأنفسهم حق الحياة على الحكومة، فمهما اعطوا من المال والحقوق فهو قليل بحققهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٣

ومن هذا المنطلق أيضاً لو لم تتم الاستجابة لمطالبهم فلما يقبلون العذر في هذا المنع، ويرون أن جميع الأعذار في هذا المجال غير مقبولة وغير مبررة وأحياناً يكون العذر أقبح من الذنب.

وفي الصفة السابعة والأخيرة يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَاتِ (٥٧٧)

الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ».

لأنهم عاشوا حياة الرفاهية والنعمة وقلما واجهوا المشكلات والتحديات، فلم يشتد لهم عود الصبر والاستقامة، على عكس الجماهير الكادحة في المجتمع الذين تربوا في أجواء المشكلات والأزمات وبنوا ذواتهم في بوتقة المحن والابتلاءات فصاروا كالنولاد في القوة والتمتأة.

والحقيقة أنه لا يوجد وصف أفضل وأبلغ وأكثر شفافية لهؤلاء القلة من الخواص المغرورين بامتيازاتهم والذين يعاملون الناس من موقع الاستعلاء والفوقية، ونعلم جيداً أن جميع هذه الخصائص والصفات ناشئة من تصوراتهم الموهومة عن امتيازاتهم الذاتية وحاجة الحكومة لهم وأفضليتهم على سائر طبقات المجتمع، وهذه الأوهام والخيالات الطوباوية، قادتهم إلى هذه المنزقات والتمتاهات.

أمّا خصائص الجماهير الكادحة في المجتمع الإسلامي، وحسب تعبير الإمام عليه السلام عامة الناس، فتتلخص في ثلاثة أمور: يقول

عليه السلام:

«وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ ٥٧٨»

المُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيُكُنْ صِغُوكَ ٥٧٩] لَّهُمْ، وَمِثْلُكَ مَعَهُمْ».

ما أبلغ هذه العبارات وما أعمق مدلولها، فلولا دفاع العامة من الناس فإن أصول الدين وفروعه ستطوى في عالم النسيان ويصيب الخلل والإرباك مفاصل المجتمع

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٤

الإسلامي، فلا توجد قوة للدفاع أمام هجوم الأعداء، ومن هذا المنطلق فإن الحكومة يجب أن لا تهتم بادعاءات الأقلية المترفة وتحصر اهتمامها ورعايتها بالطبقة التي يتوقف عليها بقاء الدين والدنيا وهي الأساس والأصل في حركة المجتمع نحو الإزدهار والتطور.

ويستفاد من مجموع عبارات الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة أن الجماهير الكادحة من الناس تتمتع بعشر خصائص، وقد ذكر الإمام عليه السلام ثلاثة منها في المقطع مورد البحث وسبعة منها ذكرها الإمام عليه السلام عند بيان الصفات الذميمة للخواص المغرورين، وهي كالتالي:

١. أنهم خفيفو المؤنة في حالات الاستقرار الاجتماعي.

٢. أنهم يشمرون عن سواعدهم ويمدون يد العون في الحكومة في وقت الأزمات والمشكلات.

٣. أنهم يفرحون من سلوك الوالي في خط الانصاف ورعاية الحقوق للجميع.

٤. عندما يطلبون شيئاً مما يحتاجونه في واقع الحياة لا يصبرون كثيراً على مطالبهم.

٥. إنهم يواجهون الهداية والنعمة بالشكر والثناء.

٦. يقبلون العذر فيما لو وجدت موانع أمام تحقيق مطالبهم.

٧. يتمتعون بالصبر والاستقامة في مقابل المشكلات والتحديات.

وعبارة

«وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ»

إشارة إلى أن هذه الشريحة من الجماهير الكادحة هي الركن الأساس للمجتمع الإسلامي، وهذا ما ورد في روايات أخرى بوصفهم

«السواد الأعظم»، وبعبارة أخرى لو أخذنا بنظر الاعتبار انفكاك أفراد المجتمع فإنه لا يبقى هناك مفهوم للمجتمع والامة، ولكن إذا

توفرت عناصر التلاحم بين الأفراد، كما هو حال البناء الذي تشتد أواصره بقليل من الجص أو الاسمنت، فإن مفهوم المجتمع سيتحقق

في الواقع الخارجي، وهذا الأمر لا يتسنى إلا من خلال هذه

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٥

الجماهير الكادحة في جو المجتمع والامة.

وجملة

«فَلْيُكُنْ صِغُوكَ لَّهُمْ، وَمِثْلُكَ مَعَهُمْ»

مقتبسة في الواقع من القرآن الكريم، وذلك في خطابه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

بِالْعُدَاةِ وَالْعِصْيَانِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُرْطًا» [٥٨٠].

وليس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقط مأموراً بالاعتماد على هذه الطبقة الفاعلة والتواصل معهم، بل إن جميع الأنبياء السابقين

كانوا كذلك، فالقرآن الكريم يتحدث عن النبي نوح عليه السلام، عندما تجمع حوله بعض الشبان المؤمنين واعترض عليه جماعه من

الأثرياء وأصحاب المواقع الاجتماعية أنك إذا أردت أن ندخل في دينك فيجب أن تطرد هؤلاء الفتيه من حولك، فأمره الله تعالى أن يقول لهم: «وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» \* وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [٥٨١].

## تأمل

### أنواع الحكومات

قسّم بعض العلماء الحكومات والنظم السياسيّة على إمتداد التاريخ البشري إلى أربعة أقسام:

١. الحكومة المستبدّة: وهي الحكومة التي تحكم فيها شخص واحد على المجتمع ويديره بوحى من أفكاره الخاصّة دون الخضوع لقانون، فيفرض إرادته على جميع الأفراد (مثل حكومة رؤوساء القبائل فى العصور القديمة).
٢. الحكومة الملكيّة: وفيها يكون الحاكم شخص واحد، ولكنها تملك قانوناً

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٦

ونظماً لتيسير الأمور وتدير الحكومة.

٣. حكومة الأشراف (الارستوقراطية) وهي الحكومة التي يتولى أمرها طبقة الأشراف والنبلاء فى المجتمع.

٤. الحكومة الديمقراطية: وفيها يكون الشعب هو الحاكم الحقيقى لنفسه، ومن هنا يختار الشعب نوابه وحكامه من خلال صناديق الاقتراع، ويتولى هؤلاء الوكلاء والنواب ترتيب المسائل القانونيّة والقضائيّة والإجرائيّة، وأحياناً تكون الانتخابات بواسطة، وأخرى دون واسطة.

وطبعاً فالحكومة الإلهيّة، أى حكومة الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام، تتمتع بمكانة خاصّة، وذلك أنّهم منصوبون من قبل الله تعالى لهذه الحكومة ويهدفون لما فيه خير المجتمع وصلاح الناس، ومعلوم أنّ هؤلاء الأولياء، ومن أجل تيسير عملهم وكسب تأييد الجمهور، يستخدمون فى الكثير من المواقع عنصر البيعة، ومع بيعة الناس للحاكم الإلهى تزداد مشروعية هذه الحكومة، وهذا الأمر تحقق بشكل كبير فى حكومة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٧

### القسم السادس

#### إشارة

وَلْيَكُنْ أَجْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتِرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتِطَعْتَ يَسْتِرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقِ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِثْرِ، وَتَغَابِ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَضِخُّ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْذِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

الشرح والتفسير: عليك بستر العيوب!

## إشارة

في هذا المقطع من الرسالة يتحدث الإمام عليه السلام عن أهمية الستر على الناس من قبل الوالى والتأكيد بأن وظيفة الوالى لا تنحصر بمكافحة العيوب الظاهرة، بل ينبغي اجتناب التجسس على الناس والتوغل في أمورهم الشخصية لمعرفة عيوبهم الباطنية وكذلك الابتعاد عن الأشخاص الذين يتحركون على مستوى كشف عيوب الناس وفضحهم، يقول عليه السلام:

«وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَاهُمْ [٥٨٢] عِنْدَكَ، أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ».

وعادةً تجتمع حول الوالى أو الحاكم جماعة من هؤلاء الانتهازيين، الذين يبحثون عن عيوب الناس ونقاط الضعف والقصور فيهم من أجل التقرب إلى الوالى والقائد، فيهتكوا أستار الآخرين مما يبعث على تشويش ذهن الوالى بالنسبة لهم

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٨

ويعيش سوء الظن بالنسبة لكل فرد من الأفراد، فالإمام عليه السلام يقول: يجب أن تبعد هذه الجماعة عن نفسك لأنهم يتسببون في إرباك الحكومة، فمن جهة يخلقون جو الفرقة والاختلاف بين الناس، ومن جهة أخرى يقومون بتوهين العلاقة بين الوالى والرعية، ومن جهة ثالثة يغرسون سوء الظن في فضاء المجتمع الإسلامى.

أجل، ينبغي على الوالى أن يسلك معهم بهذه الطريقة حتى لا يتصور أحد أنه، ومن خلال النميمة وافشاء عيوب الناس، يتقرب إلى الوالى ويكون من بطانته.

ولتأكيد هذا المعنى يبين الإمام عليه السلام دليلاً في هذا الشأن ويقول:

«فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، وَالْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا».

ويضيف عليه السلام:

«فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ».

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لَا يُبْلَغُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ» [٥٨٣].

إن ما أشار إليه الإمام عليه السلام في هذا المقطع من كلامه يبين هذه الحقيقة، وهى أن غالبية الناس لهم نقاط ضعف تخفى على الآخرين، فلو أن نقاط الضعف هذه ظهرت للملأ فإن هذا من شأنه إشاعة حالة سوء الظن بين الناس، والوالى بدوره سيعيش سوء الظن بالنسبة للرعية، وهذه الحالة من سوء الظن، والتي أشار إليها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أيضاً في حديثه، من شأنها تقطيع أوصال المجتمع وتخريب الوحدة بين أفرادها وإضعاف عنصر الثقة فيما بينهم، فلا يعيش مثل هذا المجتمع التكاتف والتواصل بين الأفراد، وبينهم وبين الوالى، وهذا هو ما ورد في القرآن الكريم من النهى بصراحة عن التجسس والبحث عن عيوب الناس الخفية تقول الآية:

«وَلَا تَجَسَّسُوا» [٥٨٤].

إن الواجب على الوالى أن يتصدى لمن يمزق ستار الحياء ويتجاهر بالفسق والفجور ولا- يأبى من إظهار عيوبه للناس، ويتعامل معه

بآليات الإصلاح السلمى

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٢٩

ومن خلال الموعظة والنصيحة، ولو لم يوفق من هذا الطريق فإنه يستخدم القوة والشدة ويقيم الحدود الإلهية فيما يتعلق بهذا الشخص، فذلك بمثابة العملية الجراحية الضرورية لإدامة حياة المجتمع.

ثم إن الإمام عليه السلام وفى سياق كلامه يتحدث عن هذا الموضوع من جهة أخرى ويقول:

«فَاسْتَرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ».

وهو إشارة إلى أن الإنسان ينبغي عليه ستر عيوب الناس ليستر الله عيوبه، وهذا بمثابة الثواب الإلهي في الدنيا، وهناك ثواب أعظم ينتظره في الآخرة.

وقد ورد في حديث شريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ فِي فَاحِشَتِهِ رَأَاهَا عَلَيْهِ سَتْرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [٥٨٥].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله:

«كَانَ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامٌ لَهُمْ عُيُوبٌ فَسَكَتُوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ فَأَسَكَتَ اللَّهُ عَنْ عُيُوبِهِمُ النَّاسَ فَمَاتُوا وَلَا عُيُوبَ لَهُمْ عِنْدَ النَّاسِ» [٥٨٦].

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه وخطابه لمالك الأشتر ويأمره بأربعة أمور أخرى، بداية يقول:

«أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ» [٥٨٧].

ومن المعلوم أن هناك عوامل مختلفة ربما تثير العداوة بين الناس والوالى، فيجب على الوالى الأخذ بمقتضيات الحذر والانتباه إلى جذور هذه المسألة ونزع فتيل هذا الحقد والعداوة من صدورهم وذلك من خلال سلوكه الحسن معهم والتواصل معهم بشكل يمتص هذه العقد والأحقاد من نفوسهم.

ويحتمل أيضاً في معنى هذه الجملة أن الوالى عليه أن يترك حالات الحقد على الناس، ولو أن أحداً ارتكب مخالفة فلا يضمها في قلبه بحيث تتحوّل إلى عقدة، بل عليه أن يتناساها، وقديماً قيل: لا تنسى الخير الذى جاءك من الناس وعليك جبرانه فى الوقت المناسب ولا تذكر إساءتهم لك وتعيش حالات الانتقام تجاههم،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٠

ولكن المعنى الأول أنسب للعبارة.

ويقول الإمام عليه السلام فى التوصية الثانية:

«وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ تَوْتِرٍ» [٥٨٨].

لأننا نعلم أن العداوات لا تحدث بدون سبب، إما أن تكون بسبب سوء المعاملة أو تضييع الحقوق أو التكبر والفخر على الآخرين وأمثال ذلك، فعندما يتم قلع هذه العوامل والأسباب فإن العداوات فى جو المجتمع تتبدل إلى محبة ومودة.

ويقول الإمام عليه السلام فى التوصية الثالثة:

«وَتَغَابَ [٥٨٩] عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ [٥٩٠] لَكَ».

وهذه إشارة إلى أنه لا ينبغي لك الاصرار على التدخل فى تفاصيل حياة الناس وأعمالهم، وعليك بالتغافل مهما أمكنك ذلك، فإن التدخل فى جزئيات حياة الأفراد يعيقك عن الاهتمام بالمسائل الكلية والهامة ويعمق الخلافات والعداوات فى فضاء المجتمع.

وفى التوصية الرابعة والخامسة يقول الإمام عليه السلام:

«وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ [٥٩١]

فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌ [٥٩٢]، وَإِنْ تَشَبَّهُهَ بِالنَّاصِحِينَ».

ونعلم أن النمام هو الشخص الذى ينقل الأخبار الصحيحة والسقيمة بين الأفراد ليقع بينهم الشقاق ويزرع بذور العداوة فى صدورهم، وقديماً قالوا:

وَقَدْ قَطَعَ الْوَأَشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ إِلَى أَنْ نُوَصِلَ الْحَبْلَ أَحْوَجُ

رَأَوْا عَوْرَةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِالْبِهِمِ فَلَمْ يَنْهَهُمْ حِلْمٌ وَلَمْ يَنْحَرِّجُوا

وَكَانُوا أَنَا سَاءً كُنْتُ آمِنٌ غَيْبِهِمْ فَرَأَوْا عَلَى مَا لَا نُحِبُّ وَأَدْلَجُوا

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣١

وبعكس ذلك فقد أذن الإسلام في عمليته إصلاح ذات البين بالكذب لقلع فتيل العداوة وإزاحة غبار الكدورة عن القلوب، وبعبارة أخرى: على المسلم أن يصب الماء على نيران الخلاف والفرقة لا أن يضيف إليها حطباً ويزيدها اشتعالاً. ونقرأ في الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ الْمَعَايِبِ» [٥٩٣].

## تأمل

### موارد الاستخبارات والتستر على عيوب الناس

ربما يثار هذا السؤال بعدما رأينا ما يقوله الإمام عليه السلام في هذا القسم من الرسالة فيما يتصل بالتستر على الناس وطرده النمامين الذين يتحركون لفضح الناس أمام الوالي، والسؤال هو: إذن لماذا وضع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام نفسه العيون والجواسيس في شتى نقاط البلاد الإسلامية، والذين كانوا يوصلون إليه أخبار الامراء والولاء الخفية والجلية، فهل يعتبر هذا العمل مخالفاً لمسألة التستر؟

أضف إلى ذلك أنه ورد في التعاليم الإسلامية فيما إذا استشارك شخص حول أحد الأفراد، فلو كنت تعرف منه بعض العيوب الخفية فعليك أن تذكر ذلك لمن يستشرك فيه وأن هذه المسألة من الأمور المستثناة من الغيبة.

ولا يخفى الجواب عن مثل هذا السؤال، لأن كلام الإمام عليه السلام فيما يتصل بالتستر وعدم الكشف عن عيوب الناس، يخص العيوب الشخصية والخصوصية التي لا تؤثر في مصير الأمة أو يكون لها تأثير خفيف جداً، ولكن عندما تتعرض مصالح الأمة والنظام الإسلامي للخطر ويدور الحديث حول وجود مؤامرة تستهدف مصالح النظام والأمة، فهنا يكون لهذه المسألة حكم آخر، وبديهي أن الواجب في هذه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٢

الحالة هو التحقيق والتجسس وإيصال الخبر إلى الوالي لئلا يتسبب في إيجاد الإرباك والخلل في المجتمع الإسلامي وربما تسفك بسببه الدماء وتنهب به الأموال وتنتهك به الحرمات، ففي هذا المورد لا مكان للتستر عن العيوب ونقاط القصور والتقصير.

وهكذا إذا أراد المسلم أن يقدم على عمل معين، سواء يتعلق بأمر الزواج، أو المشاركة في تجارة، أو اختيار شخص لوظيفة وأمثال ذلك، وسأل شخص خبير ومطلع واستشاره في ذلك، فهنا يعتبر التستر على ذلك الشخص نوعاً من الخيانة، فلا يحق للمستشار أن يكتف عيوب الطرف الآخر الذي استشاره صاحبه في هذه الأمور.

وعلى ضوء ذلك يتبين الحد الفاصل بين لزوم التستر على عيوب الناس وحرمة فضحهم وكشف أسرارهم، وبين عمل الاستخبارات في الأمور الاجتماعية والسياسية وفي مقام المشورة.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٣

## القسم السابع



## إشارة

وَلَمَّا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعْدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

## الشرح والتفسير: إحذر هؤلاء المستشارين!

## إشارة

يتحدث الإمام عليه السلام في هذا المقطع من رسالته وعهده عن مسألة المشاورين للوالى وصفاتهم وخصائصهم، والملفت للنظر أن الإمام لا يتحدث عن لزوم المشورة لأنه يعتبر أمراً مسلماً ومطلوباً بأن يكون للوالى مستشارون أكفاء في شؤون الإدارة السياسية والعسكرية، ليستطيع من خلال الاستفادة من أفكارهم وآرائهم أن يختار الطريق الأفضل لتدبير الأمور ويتعد بذلك عن الاستبداد بالرأى والاعتماد فقط على أفكاره الفردية، وبالتالي يمكنه مراعاة مصالح الرعيّة مع المشورة بالمقدار الممكن.

يقول الإمام عليه السلام محدراً مالِك الأشر من مشاورة ثلاث فئات ويبين له الآثار والتداعيات السيئة لهذه المشورة، وذلك بعبارات بليغة وموجزة ويقول:

«وَلَمَّا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعْدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ».

وفي الحقيقة فإن الإمام عليه السلام يوصى بالتحلى بثلاث قيم وملكات مهمّة ومؤثرة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٤

على مستوى التدبير والإدارة: السخاء، الشجاعة والقناعة، وبديهي أن استشارة الشخص البخل سيقف حائلاً أمام السخاء والكرم، ومشاورة الجبان من شأنها اضعاف عزيمة وجراءة الرجل الشجاع، وأما استشارة الحريص فإنها تضعف القناعة وتثير في الإنسان الطمع، وبالتالي تقوده هذه الصفات والحالات السلبية إلى ظلم الرعيّة.

ومن جهة أخرى فإنّ البخلاء يعيقون كلّ عمل من شأنه الترفيه والترويح عن الرعيّة، وأما في الأمور الدفاعية العسكرية فالجبناء يضعون العصى في عجلات المواجهه مع الأعداء ويضخمون خطرهم ويحبذون للوالى حالة الخنوع، وأما في الأمور الاقتصادية فالحريص يقف حائلاً أمام الإزدهار الاقتصادي، وعلى هذا الأساس فالمشاورون للوالى يجب أن يتمّ انتخابهم بما ينتفع بهم في شؤون إدارة البلاد ومدد يد العون للوالى وتقوية عزمته وإرادته ويحذرونه من الأمور التي تؤدى إلى إرباك المجتمع وتعريض مصالح الناس للخطر.

وفي ختام هذا البحث يؤكد الإمام عليه السلام على البحث في جذور هذه الصفات الذميمة ويقرر أنّها تمتد إلى أصل واحد ويقول:

«فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ [٥٩٥] شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

في هذه العبارة يدرس الإمام عليه السلام هذه المسألة من زاوية سيكولوجية عميقة ويقول: إنّ البخل لا يخلون بشيء من مالهم إلّا بسبب سوء ظنهم بالله بأنّه سيمنعهم من فضله ومواهبه ويتصوّرون أنّهم إذا أنفقوا اليوم من أموالهم فإنّهم سيكونون غداً فقراء ومحتاجين، أمّا الجبناء فإنّهم يسيئون الظنّ بالله في وعده للمؤمنين بالنصر على أعدائهم ويتصوّرون أنّهم إذا لم يتراجعوا في المعركة فربّما

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٥

بقوا لوحدهم وهلكوا في مواجهة العدو، أمّا الأشخاص الذين يعيشون الحرص على المال والثروة، فإنّهم لا يملكون حالة التوكل على الله، وفي الحقيقة أنّهم يسيئون الظن بقدره الله تعالى.

والآيات القرآنية بدورها شاهدة على هذه الحقيقة، ففي مورد يقول القرآن:

«الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا» [٥٩٦].

وفي آية أخرى يقول: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [٥٩٧].

وفي مورد ثالث يقول: «وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [٥٩٨].

وما ورد من كلام الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة، يماثل ما ورد في كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في وصيته للإمام علي عليه السلام. فنقرأ في كتاب «علل الشرائع» حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب الإمام علي عليه السلام ويقول:

«يَا عَلِيُّ لَا تُشَاوِرْ جَبَانًا فَإِنَّهُ يُضَيِّقُ عَلَيْكَ الْمَخْرَجَ وَلَا تُشَاوِرِ الْبَخِيلَ فَإِنَّهُ يَقْضِي رُبَّكَ عَنْ عَائِيَتِكَ وَلَا تُشَاوِرْ حَرِيصًا فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ شَرَّهَا وَاعْلَمْ يَا عَلِيُّ أَنَّ الْجُبْنَ وَالْبُخْلَ وَالْحِرْصَ عَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ» [٥٩٩].

### تأمل

### أهمية المشورة في حياة الإنسان

إن مسألة المشورة والاستشارة تعدّ من أهم المسائل الاجتماعيّة، والدليل على ذلك واضح، لأنّ المشكلات الاجتماعيّة وحتى الشخصية تكون في الغالب معقدة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٦

ومشوشة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فكل واحد من الأفراد يملك رأياً وفكراً ربّما يختلف عن الآخرين ويرى المسألة من زاوية واحدة، فلو اجتمعت الآراء والعقول لحلّ مشكلة معينة فربّما نحصل على حلول ناجعة للمشاكل الفرديّة والاجتماعيّة.

ومن هذه الجهة نقرأ في حديث شريف في «غرر الحكم» عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«حَقُّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُضِيفَ إِلَى رَأْيِهِ رَأْيَ الْعَقْلَاءِ وَيَضُمَّ إِلَى عِلْمِهِ عُلُومَ الْحُكَمَاءِ» [٦٠٠].

وبديهي كلما ازداد الأمر أهميّةً وخطورة فإنّ أهميّة المشورة ستزداد أيضاً، والتجربة تدل على أنّ الأشخاص الذين يتحركون في أعمالهم المهمّة بأليّة المشورة والتباحث مع العقلاء وأهل الخبرة في هذا الشأن فإنهم قلّما سيواجهون الخلل والفسل، وبعكسهم المستبدون برأيهم الذين يشعرون بالاستغناء عن أفكار الآخرين نرى أنّهم في الغالب يتورطون في أخطاء وأخطار تعود عليهم بالضرر

الفاحش، ولذلك نقرأ في كلمات الإمام عليه السلام النورانيّة:

«مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا» [٦٠١].

وجاء في حديث عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام أنّه قال:

«مَا تُشَاوِرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا إِلَى رُشْدِهِمْ» [٦٠٢].

وروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه نقل من التوراة هذه الحكمة:

«مَنْ لَمْ يَسْتَشِرْ يَنْدَم» [٦٠٣].

ولا فرق أن يستشير الإنسان من هو أعلم وأعقل منه أو يستشير من هو أدنى منه في المرتبة كما ورد عن علي بن الجهم قال: كنّا عند

أبي الحسن الرضا عليه السلام

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٧

فذكرنا أباه قال:

«كَانَ عَقْلُهُ لَا يُؤَاوِزُ بِهِ الْعُقُولَ، وَرَبَّمَا شَاوَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ سُيْدَانِهِ، فَقِيلَ لَهُ: تُشَاوِرُ مِثْلَ هَذَا؟ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رُبَّمَا فَتِيحَ عَلَيَّ لِسَانِهِ» [٦٠٤].

والملفت للنظر أن الغرض من المشورة، مضافاً إلى ما تقدم بيانه من التأكيد البالغ على الاستشارة، أن المستشار يفكر في المسألة بنزاهة وبفكر خالص في ذلك الموضوع في حين أن صاحب المشكلة الذي يفكر بمنافعه، فإن فكره مشوب بالأهواء والمنافع الذاتية:

«إِنَّمَا حُضَّ عَلَى الْمَشَاوَرَةِ لِأَنَّ رَأْيَ الْمُشِيرِ صَرَفٌ وَرَأْيَ الْمُسْتَشِيرِ مَشُوبٌ بِالْهَوَى [٦٠٥].

كما ورد في كلام الإمام على عليه السلام في هذا العهد: لا يصح استشارة أيّا كان، فالمستشار يجب أن يكون فرداً عاقلاً ومؤمناً لا يريد إلّا الخير لصاحبه، ولذلك نقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الْمَشُورَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِحُدُودِهَا، فَمَنْ عَرَفَهَا بِحُدُودِهَا وَإِلَّا كَانَتْ مَضْرَبَةً عَلَى الْمُسْتَشِيرِ أَكْثَرَ مِنْ مَنْفَعَتِهَا لَهُ: أَوْلَاهَا: أَنْ يَكُونَ الَّذِي يُشَاوَرُهُ عَاقِلًا.

وَالثَّانِيَةَ: أَنْ يَكُونَ حُرًّا مُتَدِينًا.

الثَّالِثَةَ: أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا مُؤَاخِيًا.

الرَّابِعَةَ: أَنْ تُطْلَعَهُ عَلَى سِرِّكَ فَيَكُونَ عِلْمُهُ بِهِ كَعِلْمِكَ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ يَسْتَرِ ذَلِكَ وَيَكْتُمُهُ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا انْتَفَعَتْ بِمَشُورَتِهِ، وَإِذَا كَانَ حُرًّا مُتَدِينًا جَهَدَ بِنَفْسِهِ فِي النَّصِيحَةِ لَكَ، وَإِذَا كَانَ صَدِيقًا مُؤَاخِيًا كَتَمَ سِرِّكَ».

وقال في ختام كلامه عليه السلام:

«إِذَا أَطْلَعْتَهُ عَلَيْهِ، وَإِذَا أَطْلَعْتَهُ عَلَى سِرِّكَ كَانَ عِلْمُهُ بِهِ كَعِلْمِكَ، وَتَمَّتْ الْمَشُورَةُ وَكَمَلَتْ النَّصِيحَةُ» [٦٠٦].

وفي عالمنا المعاصر أضحت المشورة والشورى أوسع بكثير من السابق،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٨

فأحياناً يظنّ الإنسان أن اتساع أمر المشورة من شأنه إصلاح أحوال الدنيا في حين أن مجالس الشورى هذه- وللأسف- ترتبط بصبغة سياسية وتتحرك في خط المنافع الفردية أو الفئوية، وفي الحقيقة أنها تفقد الخلوص والقداسة، والشاهد على ذلك أن الكثير من الأشخاص أو الفئات يسعون من خلال بذل نفقات باهظة ليكونوا نواباً ينتخبهم الناس لمثل هذه المجالس، وهذا يبين بوضوح أن هدفهم ليس تأمين مصالح الأمة، بل بما يعود عليهم أنفسهم بالنفع عاجلاً أم آجلاً.

والكلام عن المشورة كثير ومفصل، والغاية هنا مجرد إشارة مختصرة في هذا الباب وفي صفات المستشار الذي يتولى مسؤوليته ثقيلة في هذا الأمر، ونختم هذا البحث بحديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فَلَمْ يَمْحُضْهُ النَّصِيحَةَ سَلَبَهُ اللَّهُ لُبَّهُ» [٦٠٧].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٣٩

## القسم الثامن

### إشارة

إِنَّ شَرَّ وَزُرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا، وَمَنْ شَرَّكَهُمْ فِي الْأَثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِزْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَمَّا آثَمًا عَلَى إِثْمِهِ أَوْلِيَكَ أَحْفُ عَلَيْكَ مُؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مُعُونَةً، وَأَحْسَنُ عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُّ لَغَيْرِكَ إِفْلًا، فَاتَّخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً

لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لَيْكَنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقُولُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَإِقَاعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ؛ ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحَدِّثُ الرَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

### الشرح والتفسير: الوزير الجيد والوزير السيء!

بعد أن بين الإمام عليه السلام صفات المستشارين في المقطع السابق، فإنه يتحدث في هذا المقطع عن خصائص الوزراء والمعاونين في الحكومة، ففي البداية يعرف الإمام عليه السلام الأشخاص الذين يملكون صفات سلبية، ثم يتحدث عن الواجدين للصفات الحسنة والإيجابية، ثم يطرح توصياته اللازمة فيما يتصل بكيفية التعامل معهم، يقول عليه السلام:

«إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا، وَمَنْ شَرَّ كُهُمْ فِي الْأَثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً» [٦٠٨].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٠

في هذه العبارة يشير الإمام عليه السلام إلى مسألة حسن السابقة وسوء السابقة، ولزوم التحقيق في سوابق الأشخاص الذين يروم اختيارهم لمناصب مهمّة ومسؤوليات ثقيلة، وهذا هو المتعارف عليه في عالمنا المعاصر فيما يتصل بملف وسوابق المسؤولين.

ثم يذكر الإمام عليه السلام الدليل على ذلك بشفاية ويقول:

«فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ» [٦٠٩]، وَإِخْوَانُ

الظَّلْمَةِ».

وهذه إشارة إلى أن الشخص الذي عاش مع الظالمين وساند الجائرين والأشرار فإن هذه الصفة الذميمة ستتحول في نفسه ملكة وسجية، فحتى لو أظهروا التوبة والإنابة فإنهم لا يصلحون للوثوق بهم وبخاصة مع وجود الأفراد اللاتقين في المجتمع الإسلامي الذين لا يملكون مثل هذه السوابق السيئة، ولذلك يقول الإمام عليه السلام في سياق كلامه:

«وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ [٦١٠] وَأَوْزَارِهِمْ [٦١١] وَأَثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنِ ظَالِمًا

عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ».

ويستفاد من هذه العبارة أن الأشخاص الذين يملكون نقطة سوداء واحدة في ملف أعمالهم السابقة، فلا ينبغي اختيارهم للأعمال المهمة كالوزارات وأمثالها، بل ينبغي أن يكون تاريخهم وسابقتهم الحسنة واضحة للجميع.

وفي ختام هذا الكلام يستنتج الإمام عليه السلام هذه النتيجة:

نفحات الولاية؛ ج ١٠؛ ص ٣٤٠

«أُولَئِكَ أَحْفُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةٌ وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ، وَأَخْنَى [٦١٢] عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُ لِعَيْرِكَ إِفْئًا [٦١٣] فَاتَّخِذْ أَوْلِيَاكَ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤١

حَاصَةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ [٦١٤].».

في هذه العبارات الموجزة والعميقة في معناها يطرح الإمام عليه السلام أربع نقاط القوة للذين ليس لهم سابقة سيئة في تاريخهم وحياتهم، ويقول:

١. أن هؤلاء الأفراد لا يثقلون على كاهل الوالي في النفقات، لأنهم في السابق لم تكن لهم منافع غير مشروعة مع حكام الجور والظلم ليتوقعوا أكثر من حقهم.

٢. أن مساهمتهم في تحمل المسؤولية أفضل وأكبر لأن نياتهم خالصة في هذا السبيل وما يقدمونه من معونة في أمور تحمل المسؤولية يقصدون بها الخير للناس والقربة إلى الله.

٣. أن حبهم للوالى أكثر من غيره، لأنهم يتفقون معه في الفكر والدوافع والنيات مما يتسبب في فوران محبتهم وشدة تعاطفهم مع الوالى.

٤. أن هؤلاء لا يرتبطون برابطة مشبوهة مع الأجانب والغرباء، فلا يتواصلون إلا معك ولا يرون سواك.

ومن الجلى أن أنصار الظلمة السابقين ليسوا فقط غير صالحين للتعاون معهم، بل بما أن الناس يعرفون سوابقهم السيئة مما يؤدى إلى ضعف اعتمادهم على الوالى وعدم التعاون معه بشكل جيد.

وينقل ابن أبى الحديد هذه القصة بعد أن يروى هذا الخبر الوارد فى الروايات:

«يُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ مَنْ بَرَى لَهُمْ - أَى لِلظَّالِمِينَ - قَلَمًا»

أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج، فقال له: ما تقول فى الحجّاج؟ قال: ما عَسيت أن أقول فيه، هل هو إلأخطيئة من خطاياك، وشرر من نارك؟ فلعنك الله ولعن الحجّاج معك، وأقبل يشتمهما، فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال: ما تقول فى هذا؟ قال: ما أقول فيه، هذا رجل يشتمكم، فأما أن تشتموه كما يشتمكم، وإما أن تعفو عنه، فغضب

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٢

الوليد وقال لعمر: ما أظنك إلأخارجياً، فقال عمر: وما أظنك إلأمجنوناً، فقام وخرج مغضباً، ولحقه خالد بن الريان صاحب شرطة الوليد، فقال له: ما دعاك إلى ما كلّمت به أمير المؤمنين، لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفى أنتظر متى يأمرنى بضرب عنقك، قال: أو كنت فاعلاً لو أمرك؟ قال: نعم، فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلداً سيفه، فنظر إليه وقال: يا خالد، ضع سيفك، فإنك مطيعنا فى كل أمر نأمرك به - وكان بين يديه كاتب كان للوليد، فقال له: ضع أنت قلمك، فإنك كنت تضرّ به وتنفع، اللهم إننى قد وضعتهما فلا ترفعهما، قال: فوالله ما زالا وضيعين مهينين حتى ماتا [٦١٥].

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام مسألة حسن السابقة فى الوزراء والمسؤولين تطرق إلى ذكر الصفات والخصوصيات لدى الجيدين منهم، بدايةً يقول:

«تُمْ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقُولُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ».

وفى الخصوصية الثانية يقول:

«وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ».

وهذه إشارة إلى أنك لو سلكت سبيل الخطأ أحياناً فإنهم سوف لا يساعدونك فى ذلك، لتكون متنبهاً وتتجنب التورط فى الخطأ والضلالة وتعود إلى خط الصواب، وبعبارة أخرى أنهم يملكون شخصية مستقلة وتفكيراً مستقلاً، فهم يعينونك فى الحق ولا يعينونك فى الباطل.

وفى الخصوصية الثالثة والرابعة يقول الإمام عليه السلام:

«وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ».

«الورع» يعنى التقوى فى حدّها الأعلى، و«الصدق» هو الإخلاص فى المشورة وإيصال الأخبار الحسنة والسيئة للوالى.

وعبارة »

بِمُرِّ الْحَقِّ

«الواردة فى العبارة أعلاه، تبين أن بيان الحق أحياناً يكون

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٣

مستساغاً وحلواً ولكن في الكثير من الأوقات يكون مزاً وصعباً، ولكنه بمثابة الدواء الشافي الذي ربما يكون مزاً لشاربه بصورة مؤقتة، إلماً أنه يبعد عن الإنسان المرض الخطير، وهذه إحدى الاختبارات للخواص والمعاونين للوالي، وذلك بأن يملكون الجرأة والشجاعة لقول الحقيقة للحاكم ولو كانت مرة ولكنها مفيدة، فلا يخشون سخط الحاكم لأجل قول الحقيقة.

وفيما لو سلك الحاكم طريق الخطيئة والزيغ فإن ذلك يشكل امتحاناً آخر لبطانته، بأن يتحلوا بالشجاعة اللازمة ولا يعينونه أو يتماهوا معه في هذا الطريق بل يعيدونه إلى صوابه وينهونه من غفلته ولا يتبعونه أتباع الأعمى ويرجعون رضاه على رضا الله والخلق.

وفي ختام هذا المقطع من التوصيات يقول الإمام عليه السلام فيما يتصل بالوزراء والمعاونين:

«ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزُّهْوَ [٦١٦]، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ [٦١٧].»

ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن «رضهم» من مادة «رياضة» فإنه في هذا المورد تعني التمرين والتربية، وجملة «يطروك» من مادة «اطراء» بمعنى المدح والثناء الكثير، و«يبجوك» ما مادة «بجح» (على وزن فرح) وتعني الفرح، وغرض الإمام عليه السلام أنه لا ينشرح صدرك وينفتح وجهك في مقابل مدح المداحين، فلا ينبغي أن تظهر السرور لذلك، سواء فيما يتصل بأعمالك الحسنه أو ترك الأعمال السيئه، لأن تكرار هذا العمل من قبل الحاشية سيؤدي تدريجاً إلى التأثير في قلب الوالي، وزرع الغرور والعجب في نفسه، ومعلوم أن الغرور بذاته منبع الكثير من الانحرافات الخطيرة.

وجاء في الحديث الشريف عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«لَا تُطْرُونِي

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٤

كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُهُ» [٦١٨].

ونقرأ في روايه معروفه:

«اِحْتُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ» [٦١٩].

وجاء في حديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتاب «غرر الحكم»:

«إِيَّاكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي عَلَى أَحَدٍ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَإِنْ فَعَلَهُ يَصْدُقُ عَنْ وَصْفِهِ وَيُكَدِّبُكَ» [٦٢٠].

ومعلوم أن هذا العمل ليس باليسير بأن تتحدث البطانه والحاشية مع الحاكم بدون خوف وخشيه منه وبدون توقع للصله والثواب، فيمحضوه النصيحه ويخبروه بالحقائق دون أن يخافوا بطشه ولا يتوقعون ماله ورضاه، وهذا هو شأن الموحدن الحقيقيين.

وكما قال الخطيب المعروف: إن النصيحه للملوك هي من شأن من لا يخاف ولا يطمع.

وطبعاً فإن هذا الكلام يعد توصيه أكيدة لجميع المسؤولين في مراكز القدره والسلطه بأن يعلموا مشاوريهم وبطانتهم على قول الحق وأن يكونوا مستعدين لقبول الحقائق المره [٦٢١].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٥

## القسم التاسع

### إشارة

وَلَمَّا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسْتَيءُ عِنْدَكَ بِمَثَلِهِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ! وَالزُّمُّ كُلَّمَا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيْفِهِ الْمُنُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ

يَقَطُّعُ عَنْكَ نَصِيبًا طَوِيلًا. وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ. وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلَا تُخَدِّثَنَّ سُنَّةَ تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَبَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا. وَأَكْثَرُ مُدَارِسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيَتِ مَا صِلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

### الشرح والتفسير: إحيى السنن الحسنة

يوصى الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة العهديَّة لمالك الأشتر بعدد وصايا أخرى.

بداية يؤكد الإمام عليه السلام على الإحسان للمحسنين وإنزال العقوبة بالمسيئين ويقول:

«وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٦

الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِييًّا [٦٢٢] لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالزِّمُّ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ نَفْسَهُ».

ما يبيِّن الإمام عليه السلام في هذه التوصية يعتبر أحد الأصول المهمَّة للإدارة الجيدة، من إدارة الله تعالى والأنبياء للبشرية إلى إدارة رب الأسرة لعائلته وأبنائه.

القرآن الكريم يأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالبشارة والإنذار ويعتبره «مبشراً» و «نذيراً»، وكذلك وعد الله تعالى الصالحين بالثواب الجزيل والنعيم الدائم في الجنة، ووعد المسيئين بالنار والعذاب الأليم.

وهذا الأصل موجود في جميع الأقوام البشرية مع تنوعهم واختلافهم في العقائد والثقافات والأنظمة الحكوميتية، ويندرج تحت عنوان الترغيب والترهيب، والدليل على ذلك بين، لأن استمرار عمليَّة الإحسان وإسداء المعروف للآخرين يتطلب تحفيز الباعث النفسي، ومنع المخالفات أيضاً يستدعى وجود المحفز والباعث، فربما تؤثر الدوافع المعنويَّة والعقائد الدينيَّة في هذا المجال، ولكن هذا الدوافع لا تتوفر في جميع الأفراد، أضف إلى ذلك فإن وجود مسألة الثواب والعقاب من قبل الوالي والحاكم من شأنه تجميد البواعث السلبية وترشيد الدوافع الخيرة.

وجملة

وَالزِّمُّ كُلًّا

... إشارة لطيفة لهذه النقطة، وهي أن المرء عندما يتقبل شيئاً لنفسه فلا مسوغ لأن يقوم الحاكم بمنعه، فالمحسن اختار الثواب لنفسه، والمسييء اختار العقاب لنفسه، ومن هذا المنطلق ينبغي اعطاء كل ذي حق حقه.

والأهم من ذلك أن الإحسان للمحسنين يؤثر على عمل المسيئين ويرغبهم في ترك الإساءة، وعقوبة المسيئين تدعو بدورها المحسنين للإستمرار في إحسانهم كما ذكر الإمام عليه السلام في كلام آخر له في نهج البلاغة:

«أزجرُ المُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ» [٦٢٣].

وهذه إشارة إلى أن المسييء عندما يرى نفسه محروماً من الثواب المادي

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٧

والمعنوي للمحسنين ينتبه إلى خطئه ويثوب إلى رشده وربما يتوب من عمله ويرتدع عن سلوكه.

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه في بيان التوصية الثانية ويبيِّن أفضل وسيلة لجلب حسن الظن تجاه الوالي وكسب محبة الرعايا له ويقول:



«وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرِعْيَتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُتُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَزَكِّيهِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ».

والتعبير بـ «

مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ

« مع الالتفات إلى أن «قبل» تأتي أحياناً بمعنى «عند» وأحياناً أخرى بمعنى «القدرة»، يمكن أن يكون معنى الجملة: الشيء الذي ليس عندهم (وليس في عهدهم) أو الشيء الذي لا يقدرون عليه ولا يطيقونه [٦٢٤].

وهذه الحقيقة قد أثبتتها التجارب الكثيرة، فالوالى إذا كان يفكر بأمر الرعية، وتحرك المسؤولون للتخفيف عن الضرائب التي تثقل كاهلهم ولم يحملوهم ما ليس في طاقتهم من الوظائف والتكاليف، فإن ذلك من شأنه تقوية الرابطة العاطفية وتوثيق العلاقة بينهم وبين الحكومة، هذه العلاقة الحميمية يمكنها أن تلعب دوراً فاعلاً في حلّ الأزمات والمشاكل المعقدة.

وهنا نقطة مهمّة أيضاً، وهى أن الإمام عليه السلام يتحدث عن عوامل حسن الظن للوالى برعيته لا حسن ظن الرعية بالوالى، فى حين أن المناسب حسب الظاهر أن يكون التعبير الأول فى مثل هذه الموارد أنسب، ولكن مراد الإمام عليه السلام التأكيد على أن الولاية وزعماء الأمة يسدون الخير والمعروف للرعية إلى درجة أنهم يطمنون إلى تأييدهم ووفائهم لهم.

وعلى هذا الأساس يقول الإمام عليه السلام فى سياق كلامه:

«فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعْيَتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا [٦٢٥] طَوِيلًا».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٨

وبديهى أن الوالى عندما يسيء الظن برعيته فإنه يحتمل دوماً أن يثور الناس ضده أو يتعاملون معه بآليات التآمر والخيانة، وهذا التذكير والموقف السلبي من الرعية يجعله يعيش دائماً حالات التوجس والخوف وعدم الاطمئنان، ولكن عندما يطمئن الوالى لوفاء الرعية له وتأييدهم لحكومته فإنه سيتحرك على مستوى تدبير ونظم الأمور وإعمار البلاد ودفع شرّ الأعداء براحة بال وثقة بالنفس.

ثم يواصل الإمام عليه السلام شرحه لهذه التوصية بعبارات بليغة أخرى يقول:

«وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَّنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَّنَ بِلَاؤُكَ [٦٢٦] عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ».

وهذه إشارة إلى أن الإحسان للرعية يسبب حسن الظن بهم، فكلما زاد إحسانك لهم زاد حسن الظن بهم، وكما أن الإساءة لهم تتسبب فى سوء الظن، فكلما ازدادت الإساءة ازداد سوء الظن أيضاً.

وجاء فى كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة: «كان ابن عباس يقول: ما رأيت رجلاً أوليته معروفاً إلا أضاء بينى وبينه، ولا رأيت رجلاً أوليته سوءاً إلا أظلم ما بينى وبينه» [٦٢٧].

ونستوحى مما تقدم هذه النتيجة، وهى أن الأشخاص الذين وقعوا مورد العقوبة والمؤاخذه، مهما كان الدليل والمسوغ، فإن على الوالى والحاكم أن يلتزم جانب الحذر منهم ويتجنب حسن الظن بهم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٤٩

يذكر الإمام عليه السلام فى سياق كلامه نقطة مهمّة أخرى، ويحذر مالك الأشتر من نقض السنن والتقاليد الصالحة، ويقول:

«وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ [٦٢٨] هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ».

وتأتى كلمة «سنة» على معنيين: فأحياناً يراد منها العادات والتقاليد الموروثة من الأسلاف والقدماء، وهذه بدورها على قسمين: حسنة وسيئة، كما ورد هذا المعنى فى الحديث الشريف المعروف عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله:

«مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً عَمِلَ بِهَا مَنْ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أَجْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [٦٢٩].

والمعنى الثانى للسنة: كلام النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره، وكلام الإمام عليه السلام فى هذه العبارة ناظر إلى المعنى الأول بقرينه جملة:

«وَلَا تُحَدِّثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ...»

مثلاً: أن يقوم شخص أو جماعة فى كل اسبوع معين من السنة بوصفه اسبوع الإحسان إلى اليتامى أو اسبوع تنظيف المساجد، أو غرس أنواع الأشجار دون أن ينسبوا هذا الأمر للشرع المقدس وتبقى هذه السنة الصالحة ويعمل بها جملة من الناس وتفرز معطيات حسنة على المستوى العام، فالإمام عليه السلام يأمر مالك الأشر بأن لا ينقص مثل هذه السنن الخيرة بل يترك الناس يعملون بها ويتفعلون من بركاتهما.

وطبعاً إذا كانت السنن فاسدة ومفسدة من قبيل ما كانت متداولاً فى زمان الجاهلية من ظاهرة الثأر والانتقام وواد البنات وأمثال ذلك، فينبغى التصدى لمثل هذه السنن الخرافية والخاطئة وغير الإنسانية.

ويشير تاريخ الإسلام إلى أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله قد أمضى السنن الصالحة للقدماء

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٠

ولم ينقضها أبداً، من قبيل السنن التى تركها عبدالمطلب فى قومه، ولكنه حارب السنن الخرافية والسيئة ودعا إلى تركها ونبذها.

ثم يبين الإمام عليه السلام هذا الموضوع بصورة أخرى ويقول:

«وَلَا تُحَدِّثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِيِ تِلْكَ السَّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا».

وفى الحقيقة يريد الإمام عليه السلام القول: إن السنن الصالحة للقدماء لا ينبغى لك نقضها لا بصورة مباشرة ولا من خلال إيجاد العوائق أمامها ليركها الناس، بل عليك بحفظ هذه السنن والتقاليد لينتفع الناس منها فى حال ممارستها والمداومة عليها. وحول أهمية السنن الحسنة وفرقها مع البدع وكذلك مع السنن السيئة وإفرازاتها فى المجتمعات البشرية، سنتحدث عن ذلك فى خاتمة هذا البحث.

وفى آخر توصية الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة العهديّة، يأمر الإمام عليه السلام مالك الأشر بأن يكون إلى جانب العلماء والحكماء ويقول:

«وَأَكْبِرْ مَدَارِسَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ [٦٣٠] الْحُكَمَاءِ، فِى تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ، وَإِقَامِهِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ».

وفى الحقيقة فإن الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من وصاياه لمالك الأشر يؤكد له السعى فى الاستزادة من العلم والمعرفة فيما يتصل بالأحكام والموضوعات وذلك من خلال الإرتباط بالعلماء وأهل الخبرة ومجالستهم حتى يتعرف أكثر على الأحكام الإلهية وكيفية إدارة الأمور فى حكومته وينتفع من تجاربهم فى تشخيص الموضوعات المهمّة، وعندما تزداد معرفة الوالى بالنسبة لهذين القسمين، فإن ذلك من شأنه إصلاح أمر البلاد وبقاء السنن الحسنة للماضيين فى واقع الحياة الاجتماعية.

وينقل الشيخ الكلينى فى الجزء الأول من اصول الكافى فى باب تحت عنوان

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥١

«بَابُ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَصُحْبَتِهِمْ» عدّه روايات فى هذا المجال، منها:

عن الإمام صادق عليه السلام فى حديث أنه قال:

«لَمَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ إِلَى مَنْ أَتَقُّ بِهِ أَوْ تَقُّ بِهِ نَفْسِي مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ» [٦٣١].

وفي حديث آخر عن لقمان ينصح فيه ابنه ويقول:

«يَا بُنَيَّ اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى عَيْتِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ فَإِنْ تَكُنَّ عَالِمًا نَفَعَكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنَّ جَاهِلًا عَلِّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُطْلِبَهُمْ بِرَحْمَتِهِ فَيَعُمَّكَ مَعَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنْ تَكُنَّ عَالِمًا لَمْ يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَاهِلًا يَزِيدُوكَ جَهْلًا، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُطْلِبَهُمْ بِعُقُوبِهِ فَيَعُمَّكَ مَعَهُمْ» [٦٣٢].

وفي الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي يتحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن عوامل سلب التوفيق ويقول:

«أَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَخَذَلْتَنِي».

ومن جملة بركات مجالسة العلماء ومحادثتهم أن الإنسان لا ينسى علومه ومعارفه، ولو لم يعرف شيئاً فإنه سيتعلمه كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام آخر له، قال:

«مَنْ أَكْثَرَ مُدَارَسَةَ الْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عِلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» [٦٣٣].

## تأمل

### سبب ظهور السنن

كلمة «سنّة» في الأصل من مادة «سنّ» (على وزن فن) وتعني إجراء الماء على الوجه، ثم اطلقت على كل أمر فيه جريان وسريان، وتشمل جميع العادات والآداب الحسنه والسيئه من قبل شخص أو فئة في المجتمع، ولهذا السبب قسمت إلى سنّه حسنه وسيئه، مثلاً: اقرار برنامج مستمر في كل عام من أجل إكرام اليتامى، أو المصالحة بين المتخاصمين والمتشاحنين، هذا يعتبر سنّه حسنه، وأما ما جرت عليه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٢

عادة العرب في الجاهلية من وأد البنات في التراب أو ما عليه بعض الشبان في عصرنا الحاضر من اللعب بالمواد المتفجرة في يوم الأربعاء من آخر كل سنّه يعتبر سنّه سيئه.

وقد ورد في الروايات الإسلامية بحوث كثيرة عن الأشخاص الذين يضعون سنّه حسنه أو سنّه سيئه، وقد تقدّمت بعض النماذج والأمثلة عن هذه المسألة في البحوث السابقة، وقد ورد التأكيد في هذه الروايات على أن من يضع سنّه حسنه فله أجر وثواب بقدر الأشخاص الذين يعملون بها دون أن ينقص من ثوابه شيء، وأما الأشخاص الذين يضعون سنّه سيئه فإنهم يحملون وزراً بعدد الأشخاص الذين يعملون بها وتكتب في صحيفه أعمالهم دون أن يقل من عقوبه المرتكبين لهذه الأعمال السيئه، وهذا في الواقع من قبيل التسبب والتعاون على الخير والشر، لأننا نعلم أن الإنسان تارة يقوم بعمل بشكل مباشر وأخرى بالتسبب بإيجاد سنّه حسنه أو سيئه مما يدعو الآخرين للإقتداء به.

ومعلوم أن مسألة السنن والتقاليد الاجتماعية لا ترتبط بالبدع كما تصور بعض الوهابيين المتعصبين، لأن البدعة هي ما ينسب إلى الشارع المقدّس والقرآن الكريم وسنّه نبي وليست منها، ولكن السنن والتقاليد المتداولة هي نوع من البدع العرفية والاجتماعية دون إسنادها إلى الشرع المقدّس، فلو أنّها كانت تصب في مسير أهداف الشريعة المقدّسة، مثل إكرام اليتامى ومساعدة المحرومين فهي سنّه حسنه ومحبّده وإذا كانت على خلاف ذلك مثل وأد البنات في الجاهلية فهي سنّه سيئه وغير محبّده.

ومن هنا يتبين ما عليه الوهابيون المتعصبون من موقفهم المخالف لبعض المظاهر العرفية والدينية من قبيل الاحتفال بميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو إقامة مراسم العزاء على الأموات، وهو ناشىء من سوء فهمهم وخلطهم السنّه بالبدعة، في حين أن الروايات التي تتحدّث عن السنّه الحسنه والسيئه واردة في كتبهم ومدوناتهم [٦٣٤].

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٣

## القسم العاشر

## إشارة

وَاعْلَمَنَّ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصِلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غَنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْحَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعِدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْأَنْصَافِ وَالرَّفِيقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزِيَّةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِينِ، وَكُلُّ قَدْ سَمِيَ اللَّهُ لَهُ سَهْمُهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّهَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا.

## الشرح والتفسير: الطبقات الاجتماعية المختلفة

## إشارة

في هذا المقطع من عهد الإمام عليه السلام المعروف يتطرق الإمام لأحد أهم البحوث الاجتماعية والسياسية ويقسم الناس في المجتمع إلى سبع طبقات أو سبع شرائح وفئات، وقبل أن نستعرض هذه الأقسام والفئات نشير إلى هذه النقطة التي أشار إليها بعض شراح نهج البلاغة، وهي أن الإنسان خلق اجتماعياً «مدنى بالطبع» لأنه من جهة يعيش حاجات متنوعة وكثيرة لا يستطيع كل فرد لوحده أن يؤمن هذه الحاجات، مضافاً إلى أن كل فرد لا يقنع بحياة تسير على وتيرة واحدة، بل إن المجتمع البشري يسير دائماً نحو التحوّل والتكامل، وهذا التكامل يستدعي تنوع الحاجات وزيادتها، ومن أجل حلّ المشكلات وإشباع هذه الحاجات المتنوعة لا يوجد طريق عقلائي سوى أن تقوم كل جماعة بإشباع بعض هذه الحاجات، ويتمّ التبادل مع الآخرين في واقع الحياة الاجتماعية لينتفع الجميع من عملهم وأتعايبهم،

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٤

فجماعة منهم يتولون مسؤولية النظم والأمن، وجماعة أخرى يهتمون بالزراعة والرعى لتأمين المواد الغذائية، وفئة منهم يختصون بأمر التعليم وتربية الأبناء والجيل الناشئ، وفئة يتجهون نحو الصناعات المختلفة، آخرون يتكفلون مسألة الطب وعلاج المرضى، وجماعة يأخذون على عاتقهم أمر القضاء وفصل الخصومات و... الخ.

وقد وصل الحال في هذا العصر إلى حدّ أن تأمين حاجات البشر في مورد واحد يستدعي وجود مئات أو آلاف الفروع التخصصية، وكل جماعة يعملون في فرع خاص منها.

وعلى هذا الأساس قسّم الإمام عليه السلام المجتمع إلى سبع طبقات، وهي في الواقع سبعة أعمدة لخيمة الحياة الاجتماعية، رغم وجود طبقات أخرى أيضاً يمكن فرضها في واقع المجتمع، ولكن العمدة والأساس هي سبع طبقات أو سبع شرائح اجتماعية.

يقول الإمام عليه السلام: «يا مالِك» اعلم أن الناس في المجتمع أو البلد يتشكلون من فئات متعددة وأن كل فئة منهم لا تستغنى في صلاحها إلا بالأخرى، وكل واحد منها تحتاج إلى أخرى.

فجماعة يمثّلون جنود الله (وهم الذين يتكفلون حفظ الأمن والنظام في المجتمع ويتولون الدفاع عنه في مقابل الأعداء).

وفئة أخرى هم الكتّاب من العامية والخاصية (ومسؤوليتهم حفظ الحسابات المالية للحكومة وتنظيم الميزانية وتثبيت الأسناد والوثائق وتعليم وتربية الناس).

وفئة ثالثة هم القضاء الذين يتولون إقامة العدل والفصل بين الخصومات وإحقاق الحقوق.

وفئة أخرى هم العاملون بالانصاف والرفق، وهم الموظفون في الدوائر الحكوميه.

وفئة تتولى أخذ الجزية والخراج من غير المسلمين الذين يعيشون في ظل الحكومة الإسلامية، (ويدفعون الضرائب في مقابل حفظ أنفسهم وأموالهم من قبل الحكومة الإسلامية).

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٥

والمسلمون الذين يعملون في الأراضي الخراجية ويدفعون خراجها إلى الدولة.

وجماعة أخرى من التجار وأهل الصنائع، وجماعة من الطبقة السفلى من المحرومين والمساكين (والعجزة والمسنين الذين لا يقدر على الكسب والعمل:

«وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصِلُ مَحْ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غَنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضِهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعِدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنصِافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ».

ثم يشير الإمام عليه السلام إشارة إجمالية لحقوق ووظائف كل منها، ثم يفصل الكلام عن خصوصيات وصفات ووظائف وحقوق كل واحدة من هذه الفئات والطبقات.

ويقول عليه السلام في إشارة إجمالية:

«وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا».

ومعلوم أن المراد من جنود الله هم أفراد الجيش الذين يتولون حفظ الثغور وحدود البلد الإسلامي في مقابل هجوم الأعداء.

أما الفئة الثانية التي عبر عنها الإمام عليه السلام بكتاب العامية والخاصية، فالكتاب الخاصية هم الذين يكتبون الكتب الرسمية للوالي والمسؤولين ويحفظون أسرار الحكومة ويوقعون على العقود المهمة كعقود الصلح وأمثالها، وأما الكتاب العامية فهم جميع الموظفين الذين يتولون أمر حساب النفقات والواردات لخزينة الدولة ويتولون أمور القروض وتسديدها ويجمعون مطالب الناس، وربما يشمل هذا المعنى في عصرنا مراكز التعليم والتربية للشبان والفتيات.

أما قضاة العدل فيشمل جميع الموظفين في جهاز القضاء الإسلامي وعلى رأسه القضاة.

وأما عمال الانصاف والرفق، فهو إشارة للأمراء والولاة على المحافظات لإدارة المدن والمناطق المختلفة في البلد الإسلامي، وإضافة كلمة «الانصاف والرفق»

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٦

إشارة إلى أنه يجب انتخابهم من بين الأشخاص الذين يتمتعون بهاتين الصفتين:

الانصاف من خلال إيصال الحقوق إلى أصحابها، وكذلك يتعاملون مع الناس بآليات الرفق والمداراة والمحبة.

وأما أهل الجزية والخراج فهي إشارة إلى فئتين من المواطنين في البلد الإسلامي، فأهل الجزية إشارة إلى غير المسلمين من أهل الكتاب الذين يعيشون في كنف الحكومة الإسلامية ويدفعون ضرائب سنوية، وهي في الغالب مبلغ زهيد، للحكومة، وفي مقابل ذلك تتولى الحكومة الإسلامية الدفاع عن حقوقهم وحفظ أرواحهم وأموالهم وأعراضهم.

والقسم الثاني هم الزراع الذين يتولون زراعة الأراضي المتعلقة بالمجتمع الإسلامي، (وتدعى الأراضي الخراجية) ويقومون بأمر الزراعة والبستنة في مقابل دفع مبلغ من المال في كل عام بعنوان الخراج، وهو في الواقع ثمن اجرة تلك الأراضي.

أما التجار وأهل الصنائع الذين يذكروهم الإمام عليه السلام بوصفهم شريحة مهمة من شرائح المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت وكذلك في هذا العصر، الإمام يوصي بعدة وصايا في هذه الرسالة العهديه فيما يتعلق بهم.

وآخر فئة من الفئات السبع هي الطبقة السفلى ويتشكلون من العجزة والمسنين والمعاقين وأهل الحاجات الخاصة الذين يؤكد الإمام

عليه السلام كثيراً في هذه الرسالة على ضرورة الاهتمام بأمورهم أكثر من أي فئة أخرى من هذه الفئات السبع التي ذكرها الإمام عليه السلام في كلامه.

## تأمل

### الشرائح الاجتماعية

يعبر عنها أحياناً الطبقات الاجتماعية، كلمة «طبقه» في اللغة تأتي لمعانٍ كثيرة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٧

متقاربة، من قبيل: جماعة، مرتبة، نسل، صنف، وطبقات الأرض أو طبقات البناية، وفي هذا المقطع من الرسالة جاءت بمعنى الشريحة الاجتماعية، ولكن هذه المفردة تستخدم في عصرنا الحاضر للإشارة إلى الفئات التي تعلق كل واحد منها على الأخرى في الامتيازات والمقامات، ومن هنا فإن الحياة الطبقيّة تشير إلى الحياة التي يعيش فيها جماعة من الأثرياء وجماعة من الفقراء في المجتمع، ومن هذه الجهة يتبادر إلى الذهن مفهوم سلبي عن هذه الكلمة، وطبعاً فإنّ هذا المفهوم السلبي ليس هو المعنى اللغوي في الأصل، وكلام الإمام عليه السلام بدوره لا يشير إلى هذا المعنى السلبي للطبقيّة.

وهذه الكلمة من مادة «طبّق» وتعني المساواة بين شيئين، ولذلك تستخدم كلمة المطابقة والتطابق بهذا المعنى.

وربما يتصور البعض وجود مجاميع وفئات أخرى في المجتمع البشري لا ينضون تحت أي عنوان من هذه العناوين السبعة، ومن ذلك: طبقه العمّال، الاستخبارات، عمّال الحسبة، وهم الأشخاص الذين يتولون الإشراف على الأمور الأخلاقيّة في المجتمع والمسؤولين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمثال ذلك.

ولكن مع التدقيق في المسألة يمكننا إدخال كل هذه الفئات تحت مجموعة من هذه المجاميع السبع المذكورة، مثلاً عمّال الحسبة يدخلون تحت مظلة جماعة القضاء، والعمّال يندرجون في فئة «أهل الصناعات»، والكسبة يدخلون تحت عنوان التجار، وأفراد الاستخبارات تحت عنوان «عمّال الإنصاف والرّفق».

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٩

### القسم الحادي عشر

## إشارة

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ. ثُمَّ لِقَوَامِ الْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُضِلُّ لَهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ. ثُمَّ لِقَوَامِ لِهَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنَفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلَا قَوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَدَوَى الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرُهُمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِينَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سِعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُضِلُّهُ، وَلَيْسَ يُخْرِجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى



لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

### الشرح والتفسير: الأواصر بين الطبقات الاجتماعية

أشار الإمام عليه السلام في المقطع السابق من هذه الرسالة إشارة إجمالية شاملة إلى سبع فئات أساسية في المجتمع الإسلامي، ثم شرع في هذا المقطع والمقاطع التالية بشرح الوظائف والمسؤوليات الملقاة على عاتق كل واحدة من هذه الفئات، وبما أن قوات الأمن والجيش تعدّ أهم ركن من أركان المجتمع فقد بدأ الإمام عليه السلام

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٠

بهذه الشريحة.

يقول عليه السلام:

«فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ».

في هذه الجملة الوجيزة يبيّن الإمام عليه السلام خمسة نتائج ايجابية ومعطيات مهمّة لوجود أفراد الأمن والجيش المخلصين. الأولى: أنهم حصون الرعية، وهذا يعنى أن البلاد ومن أجل حفظها من خطر الأعداء تحتاج إلى حصن حصين وملجأ آمن، وهذا الحصن والملجأ يتمثل بأفراد الجيش الإسلامي المقتدر، لأن كل أشكال الضعف والفتور في القوات العسكرية يؤدى إلى طمع الأعداء ويورث أنواع المشكلات للمجتمع الإسلامي، وفي الماضي وبما أن الأسلحة كانت بسيطة جداً وابتدائية فإن وجود الحصون والقلاع القوية من شأنه أن يمنع الكثير من الأخطار والأضرار، رغم أن وجود هذه الحصون في هذه الأيام ومع تطور الأسلحة من طائرات حربية وصواريخ ومدافع بعيدة المدى لم يعد مؤثراً كثيراً في ميزان القوى.

الثانية: يعتبر الإمام عليه السلام أن الجيش زينة القيادة والحكومة، لأن الحاكم أو القائد يحضى باحترام عامّة الناس ويملك القدرة والنفوذ في أمر الولاية، وهذه القدرة تتمثل في الدرجة الأولى بوجود جيش قوى ومطيع لأوامر القيادة.

الثالثة: أن الجيش سبب عزّة الدين وقدرته، وهذه إشارة واضحة إلى هذه الحقيقة، وهي أن الأمور المعنوية للناس لا تيسر من دون وجود جيش قوى وفاعل، وقسم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحقوق وإجراء الحدود وبسط العدل وإقامة القسط، يحتاج إلى القدرة الكافية لتجسيدها وترجمتها

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦١

على الأرض والواقع الاجتماعى، وهذا مرتبط بوجود جيش قوى.

الرابعة: يتحدّث فيها الإمام عليه السلام عن حالة الأمن الذى يتحقق بواسطة الجيش القوى، ويشير إلى أن الجيش القوى ليس فقط يتولى اخراج العدو من أراضى المسلمين: بل «تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» [٦٣٦]، أى يخيف أعداء الداخل أيضاً، أو بمعنى أن الجنود في هذا المورد أعم من قوى الأمن والجيش، أو يراد بذلك أن الحكومة الإسلامية وفي موارد استثنائية لا تتمكن فيها قوات الأمن والشرطة من تحقيق الأمن في ربوع المجتمع الإسلامي، فإنها تعتمد على الجيش في هذا الأمر لتحقيق الأمن في فضاء المجتمع.

الخامسة: يقول الإمام عليه السلام: إنهم قوام الرعية، وربما تكون هذه الجملة بمثابة النتيجة لما سبق بيانه في الجمل الأربع السابقة، ويحتمل أيضاً أن تكون جملة مستقلة، والمراد منها أن الجيش في الكثير من المواقع يهب لمساعدة الناس في الزلازل والسيول والحوادث الطبيعية الصعبة، بحيث تضطر الدولة للإستعانة بقوات الجيش لمساعدة الناس.

ثم يبيّن الإمام عليه السلام الإرتباط الوثيق بين هذه الفئة من المجتمع مع الفئات الأخرى ويتحدّث عن الرابطة بين الجيش وعمال الخراج:



«ثُمَّ لَأَقِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُضْرِبُ لَهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ».

ويستفاد من تاريخ الإسلام أن الجيش الإسلامي لم يكن في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله بشكل شريحة منفصلة ومستقلة عن المجتمع، بل إن كل أفراد المجتمع من الشبان والشيوخ، الكبار والصغار الذين يستطيعون حمل السلاح يهبون للدفاع عن الإسلام والمسلمين في مقابل الأعداء ويتجهون مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى ميادين الحرب والقتال، وفي الغالب يهيئون سلاحهم ودوابهم بأنفسهم، ومعلوم أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٢

وقبل حركة الجيش نحو ميدان القتال يأمر بتجهيز الزاد والمتاع لأفراد الجيش من طريق الزكاة والتبرعات التي يقدمها المسلمون في سبيل الله.

ولكن في العصور اللاحقة وبعد أن اتسعت الدولة الإسلامية وإمتدت إلى مساحات وبلدان كبيرة ولضطرت الحكومة لتجهيز جيش مدرّب ومهني لمقابلة الأعداء، واضطر المسلمون لتنظيم جيشهم وتوفير المعسكرات اللازمة له [٦٣٧].

وأساساً فإنّ مدينة الكوفة عرفت بأنّها «كوفة الجند» وكانت بمثابة معسكر كبير للجيش الإسلامي.

طبعاً كان الأفراد العاديون يلتحقون بالجيش في المواقع الحساسة ويؤدّون دورهم تحت عنوان الجهاد في سبيل الله والذي هو وظيفة جميع الأفراد القادرين على الجهاد.

على أيّة حال فإنّ هذه الفئة التي وضعت نفسها في خدمة الإسلام وحفظ ثغور المسلمين والدفاع عن حياضهم ينبغي أن يعيش أفرادها الطمأنينة وفراغ البال من معيشتهم ومما يحتاجونه في حياتهم المادية، ولذلك وضع الإسلام ضرائب خاصّة تدعى بالخراج وكذلك وضع سهماً من الزكاة بعنوان: في سبيل الله، لهؤلاء الجند.

والجمل الثالث المذكور أعلاه ربّما تكون إشارة إلى حاجات الجند المختلفة، فجملته

«الَّذِينَ يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ»

إشارة للحاجات التي تتصل بالحرب والقتال من قبيل السلاح والمركب.

وجملته:

«وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُضْلِحُّهُمْ»

إشارة لتأمين ضروريات الحياة.

وجملته:

«وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ»

إشارة إلى الأمور الترفهية، وذهب بعض الشراح إلى أن المراد من هذه الجملة أن أفراد الجيش لا بدّ أن يكون لهم مرتب مستمر وحقوق مائية من شأنها رفع جميع حاجاتهم.

ثم إن الإمام عليه السلام يبيّن إرتباط هاتين الفئتين مع الفئة الثالثة والرابعة والخامسة، أي

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٣

القضاء والموظفين والمحاسبين، ويقول:

«ثُمَّ لَأَقِوَامَ لَهُدَيْنِ الصَّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ [٦٣٨]، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمُّونَ عَلَيْهِ مِنْ حَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا».

وفي الواقع أن الإمام عليه السلام في هذه العبارة النورانية أدغم ثلاث فئات من الفئات الاجتماعية في صنف واحد، وبمعنى الصنف

الثالث في مقابل الصنفين السابقين، أى الجيش وعمّال الخراج، وذكر لكل واحد من هذه الأصناف أثر اجتماعى مهم. فبالنسبة للقضاء يقول عليه السلام: إنهم يعملون على إحكام العقود، لأنه لولا إشرافهم ومراقبتهم لهذه العقود والمواثيق فإن الكثير من الناس يجدون الفرضة فى عدم الالتزام بعهودهم، ولكن وجود المحاكم العادلة يعمل على ضبطهم والتزامهم بالعقود، لأنهم سيكونون ملاحقين من قبل المحاكم ويعاقبون على مخالفتهم.

ويتحدث الإمام عليه السلام عن العمّال أى الموظفين والولاء والمسؤولين الذين يتولون الإشراف على جمع المنافع، فصحيح أن المأمورين على جمع الضرائب والخراج يتحركون على مستوى جمعها وإرسالها لبيت المال، ولكن المشرف على أعمالهم وسلوكياتهم هم العمّال، يعنى الولاية ورؤساء مجالس المحافظات والنواحى التابعة لهم.

ويبين الإمام عليه السلام فائدة وجود الكتياب، وذلك فى ضبط الأمور العامية والخاصية والنفقات وحساب بيت المال والميزانية فى الحكومة الإسلامية، وعندما تتضامن وتتكاتف هذه الفئات الثلاثة فسيتم إصلاح أمر الخراج والضرائب، ومع إصلاحها سيتم إصلاح وضع الجنود وقوات الحرس والأمن.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن هذه الفئات الثلاثة صنف واحد وتلخص فى القضاء والعمّال، وما ورد فى الجمل الثلاثة يعود إلى القضاء، فى حين أنهم ثلاث

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٤

فئات اجتماعية قطعاً، وسبق أن أشار إليها الإمام عليه السلام فى كلامه، وفى هذا المورد أيضاً، ذكر الإمام عليه السلام وظيفة وبرنامج كل واحدة منها، بالرغم من وجود الارتباط القريب والوثيق بينها، ومن هنا ذكرت هذه الفئات بوصفها صنف ثالث.

وربما يطرح هذا السؤال نفسه، وهو أن الإمام عليه السلام سبق وأن أشار إلى صنفين، وطرح مسألة جمع الخراج بوصفها الصنف الثانى فكيف يكون العمّال هنا واحدة من الفئات الثلاثة التى يتشكل منها الصنف الثالث؟

والجواب على هذا السؤال أن الإمام عليه السلام كان يتحدث فى بداية كلامه عن الجيش والمزارعين الذين يزرعون الأراضى الخراجية ويدفعون الخراج إلى الحكومة، ولكنه فى هذا المورد يتحدث عن عمّال الدولة، أى الولاية والمحافظين الذين يقع على عاتق أمر الإشراف على جمع الخراج ويتصدى موظفيهم لجمعه.

والجدير بالذكر أن العمّال جمع «عامل» وردت فى كلمات الإمام عليه السلام كرات عديدة ويراد بها منصب المحافظ والقائم مقام وغير ناظر إلى ما ورد فى القرآن الكريم فى مورد الزكاة من قوله: «

عَامِلِينَ عَلَيْهِ

« أى المأمورون على جمع الزكاة.

والتعبير بـ «

حَوَاصُّ الْأُمُورِ وَعَوَامُّهَا

« إشارة إلى أن عمل الكتاب تارة يتحدد فى إثبات وضبط المسائل السريّة، وأخرى يرتبط بإثبات النفقات والموارد المائية الاعتيادية، فهؤلاء يتولون وظيفة حفظ الاسناد والوثائق وترتيبها، وكذلك حساب النفقات والواردات.

ثم يبين الإمام عليه السلام إرتباط فئة أخرى مع الأصناف السابقة ويقول:

«وَلَا قَوْمَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتِّجَارِ وَذَوَى الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاغِبِهِمْ [٦٣٩]، وَيُقِيمُونَهُ

مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفِّقِ [٦٤٠] بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرِهِمْ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٥

ومعلوم أن جملة: «

فِيمَا يَجْتَمِعُونَ

«...» و «

يُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ

« إشارة إلى التجار والكسبة الذين يقع على عاقتهم تجميع وتوفير ما يحتاجه الناس من المناطق القريبة والبعيدة وعرضها في الأسواق ووضعها تحت اختيار المستهلكين، ولكن جملة »

وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ

«...» إشارة إلى أهل الصنائع الذين يوفرون بتعبهم وعملهم الوسائل التي تحتاجها الناس في معيشتهم، وذلك بصناعتها بأيديهم (طبقاً لظروف ذلك الزمان) ويضعونها في اختيار من يحتاجها من الناس.

وربما يتصور البعض أن التجار ليس لهم دور مهم في حياة الناس، فلا يقومون بعمل إنتاجي ولا صناعي، ولا يعملون بالزراعة والرعي، فكيف جعلهم الإمام عليه السلام من أركان المجتمع البشري، ولكن إذا كان التاجر ملتزماً بالقيم الإيمانية والأخلاقية فإنه يلعب دوراً مهماً في نسيج المجتمع، لأنه من جهة يقوم بتوفير الأجناس والبضائع من مناطق مختلفة من العالم لا تتوفر في مناطق أخرى، فلو أن الناس أرادوا الانتفاع من جميع النعم والبركات الإلهية على الأرض، فينبغي أن تتولى جماعة نقل هذه البضائع التي يحتاجها الناس من نقطة إلى أخرى، وهذه الجماعة هم التجار، ومن جهة أخرى ففي الموارد التي يتولى فيها أهالي المدينة الواحدة إنتاج ما يحتاجونه من البضائع واللوازم المعيشية فإن المنتجين في الغالب لا يستطيعون عرض ما ينتجونه في السوق ويبيعونه إلى المشتريين، بل يضطرون لبيع منتجاتهم جملة واحدة لشخص يملك رأس مال كافٍ، ويتولى ذلك الشخص بيعها إلى الكسبة في السوق، والكسبة بدورهم يبيعونها إلى المشتريين.

ومن جهة ثالثة فإن الكثير من المحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية التي ربما لا يتسنى لها التصريف والبيع في محل إنتاجها وينبغي جمعها وعرضها على السوق، فهنا يجب أن تتولى جماعة هذا العمل على أساس أنه من الصادرات

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٦

والواردات، وهذه الجماعة هم التجار وبخاصة المحاصيل التي تحتاج في حفظها وإدخالها إلى مخازن مجهزة خارجة عن عهدة المنتج وأرباب الصناعات، فالتجار لهم دور مهم في هذه الأمور الثلاثة، وهذا يعني أن وجود هاتين الواسطتين «التجار والكسبة» ضروري لغرض تداول أموال المحاصيل والمنتجات بشكل صحيح، ولكن إذا تعددت الوسائط وأرادت كل جماعة أن تستغل التجار بدون أن توفر عملاً إيجابياً وتريد زيادة ثمن البضاعة أو المنتجات الزراعية والصناعية، أو يقوم بعض التجار والكسبة باحتكار البضائع أو تداولها من يد إلى أخرى وتشكيل سوق سوداء بأثمان زائفة وهمية، فذلك يعد انحرفاً في التداول الاقتصادي للمال ولا يرتبط بمسألة التجارة.

ولهذا السبب نرى أن جميع الحكومات جعلت إحدى الوزارات باسم وزارة التجارة من أجل الإشراف على أمر التجارة، بل تساهم في مد يد العون للتجار واعطائهم رؤوس أموال لازمة للقيام بعملية الصادرات والواردات، وهذا العمل يمثل في الواقع حلقة مكملة لعمل أصحاب الصناعة والزراعة والرعي.

ثم يتحدث الإمام عليه السلام عن الطبقة الدنيا في المجتمع ويقول:

«ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ [٦٤١] وَمَعُونَتُهُمْ».

ومن المعلوم أن في كل مجتمع بشري هناك أفراد لا يستطيعون العمل والكسب وهم مستهلكون فقط، وذلك بسبب الشيخوخة، المرض المزمن، الإعاقة في الأعضاء، وبسبب الحوادث المختلفة، المتخلفون ذهنياً وعقلياً وأمثالهم من ذوى الحاجات الخاصة، فالكثير من أفراد هذه الفئة كانوا في السابق وفي أيام الشباب يعيشون سلامة الجسم والروح ومن المنتجين والفاعلين في المجتمع، ولكن

بسبب مرور الزمان والحوادث المختلفة صاروا بهذه الحالة، فلا-العقل ولا-الوجدان يقبل أن يهمل هؤلاء ولا تتم حمايتهم على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، ولهذا السبب

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٧

نجد في كافة أقطار الدنيا أنهم يفتحون حساباً خاصاً لهؤلاء المقعدين ويخصصون قسماً من ميزانية الدولة لانفاقه عليهم ويفتحون لهم مراكز لاحتضانهم وحمايتهم، وقد وردت التوصيات الأكيدة في الإسلام فيما يتصل بالتواصل مع هذه الفئة المحرومة، وقد فرضت الشريعة الإسلامية سهماً خاصاً لهم من الخمس والزكاة.

أضف إلى ذلك لو أهملت هذه الشريحة فإن ذلك من شأنه إفراز مشكلات مهمة لباقي الشرائح والفئات الأخرى في المجتمع، فمن جهة ربما يسعى أفراد هذه الفئة المحرومة ومن أجل تأمين معيشتهم، لإرتكاب جرائم مختلفة وسلوك طريق الانحراف والجنوح، أو ترى الفئات الأخرى حال هؤلاء فيؤثر ذلك على معنوياتهم ويفكرون في أنهم إذا حل بهم يوماً ما حلّ هؤلاء فماذا يكون مصيرهم؟ ولكن عندما يرون أن الحكومة والمجتمع سيعتنى بهم ويهب لحمايتهم في حال إعاقتهم وعجزهم عن العمل والكسب، فإنهم سيعيشون الأمل في مستقبلهم.

وعبارة »

أَهْلُ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ ...

« إشارة إلى طائفتين: أهل الحاجة هم الأشخاص الذين يعملون للكسب وتوفير المعيشة ولكن عاندهم المالي لا يسد نفقاتهم، وأهل المسكنة إشارة إلى العجزة والمقعدين الذين ليس لهم وارد مالي ولا يتمكنون من العمل مطلقاً.

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام وضعيته الترابط بين هذه الطبقات الاجتماعية، أشار إلى نقطة مهمة وقال: «وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ».

وهذه إشارة إلى أن جميع هذه الطبقات والفئات ومن أجل التوصل لتحقيق مرادهم، فإنهم يستمدون المعونة من مصدرين: الأول: مصدر الخلق والرزق، وهو الله الذي خلق كل هذه المواهب والنعم والإمكانات في هذا العالم، وكل واحدة من هذه الفئات بإمكانها الانتفاع من هذه المواهب من خلال السعي وبذل الجهد، هذا بحسب عالم التكوين، أما بحسب عالم التشريع، فالحكومة الإسلامية موظفة بمد يد العون لجميع هذه الفئات لإيصالها إلى مقاصدها، لأن الحكومة تملك القدرة المالية

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٨

من جهة، وتملك من جهة أخرى أخرى القدرة التنفيذية، وبإمكانها من خلال هاتين القدرتين مساعدة جميع الطبقات الاجتماعية.

ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه في كيفية أداء الوظيفة الشرعية للوالي بصورة صحيحة، ويقول:

«وَأَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ [٦٤٢] نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا حَفَّ عَلَيْهِ أَوْ نُقِلَ».

وفي الواقع ذكر الإمام عليه السلام ثلاثة شروط لنجاح الوالي في أداء وظيفته في مقابل هذه الفئات الاجتماعية وقال: الشرط الأول: السعي وبذل الجهد في هذا السبيل، الشرط الثاني: الاستمداد من لطف الله وكرمه، والشرط الثالث: الاستعداد لتحمل الصعاب والمشكلات في هذا الطريق، ومعلوم أن الوالي إذا توكل على الله تعالى وسعى جاهداً ومخلصاً، ولم يتردد في طريق أداء الوظيفة من مواجهة المشكلات والتحديات، فإنه سينجح في عمله وسيكتب له التوفيق في إدارته.

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٦٩

## إشارة

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَزْأَفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَتَّبِعُ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَأَيْبُورُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. ثُمَّ الصَّقُ بِجَدْوَى الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكِرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ. ثُمَّ تَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَقَّمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتُهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدْعُ تَفَقَّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسَدِيهَا، فَإِنَّ لِّلْسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ.

## الشرح والتفسير: شروط قادة الجيش

في هذا المقطع من الرسالة العهديَّة يتحدَّث الإمام عليه السلام بالتفصيل عن شروط قادة الجيش، وهذا من قبيل ذكر التفصيل بعد الاجمال، وفي المجموع يذكر الإمام عليه السلام أربعة عشر صفة لقادة الجيش، ويقول:

«فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا [٦٤٣]، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٠

وهذه الصفات الثلاث اللازم توفرها في قادة الجيش، تؤدي: أوَّلًا: أن يعيش القائد العسكري هاجس الحق ويفكر في نصره الدين واعلاء كلمه التوحيد ونصره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام، وثانيًا: أن يسعى في هذا الطريق من موقع الإخلاص والتفاني، ثالثًا: يعمل على تدبير أمور الجيش بآليات المداراة والعقلانيَّة والخبرة الكافية.

مفردة «حلم» في هذا المورد يمكن أن تشير إلى العقل [٦٤٤] ويحتمل أن تأتي بمعنى الصبر وضبط النفس، ولكن الجمل اللاحقة تقوى المعنى الثاني.

وبعد أن يذكر الإمام عليه السلام هذه الصفات الثلاث يشير إلى صفتين أخريين، وهما في الواقع من باب التفصيل للصفة الأخيرة، يقول:

«مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ».

وبديهي أن مراده عليه السلام ليس التساهل وقبول العذر في مقابل المسائل المهمَّة والمصيريَّة بل المراد التسامح في مقابل الأخطاء الجزئية التي ربَّما يمكن صدورها من جميع الأفراد، فالقائد العسكري يجب أن يتعامل مع هذه الأخطاء بدم بارد وبآليات التسامح وقبول العذر.

وفي سياق هذا الكلام يتعرض الإمام عليه السلام للصفة الرابعة ويقول:

«وَيَزْأَفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَتَّبِعُ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَأَيْبُورُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ».

وهذه الصفات الأخلاقيَّة من شأن الأشخاص الذين يتمتعون بشخصية قوية وشجاعة، فمثل هؤلاء يتعاملون مع الضعفاء من موقع المحبة والشفقة، ويتحركون لحمايتهم ومدد يد العون إليهم، أمَّا في مقابل أصحاب القدرة والثروة فإنهم يقفون موقفًا صلبًا ولا يطأطؤون برؤوسهم لهم، ويحلون المشاكل التي تواجههم بآليات

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧١

العقل والتدبير والحزم، ولا يبدون حالات الضعف والتراجع أمام أي شخص وأي عمل.

وبعد أن بين الإمام عليه السلام هذه الصفات التسع، يشير إلى ثمان صفات أخرى لا بد أن يتمتع بها القائد اللائق أو الوالي المحنك،

ويقول:

«تُمُّ الصَّقُ بِذَوِي المُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ.»  
مُرُوءَاتِ

« جمع «مروءة» من مادة «مرء» وتأتي عادة بمعنى أصحاب الشخصية المتميزة.  
أَحْسَابِ

« جمع «حَسَب» إشارة إلى أصالة النسب والأبعاد الإيجابية في الوراثة، كأن نقول إنَّ الشخص الفلاني من طائفة بني هاشم ومن  
السادات المحترمين.

«أَهْلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ

« إشارة إلى الاسر والعوائل النظيفة والمرموقة في المجتمع.  
و »

السَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ

« ناظرة إلى الاسر التي تملك سمعة حسنة، ليس فقط في هذه الأيام بل في الماضي بسبب أعمالهم الصالحة بحيث إنهم تركوا سمعة  
حسنة في الذهنية العامة.

النَّجْدَةِ

« في الأصل تعني الارتفاع وفي هذا المورد تعني الرفيع في المقام والكبير في الروح والعالى في مكانته الاجتماعية.  
الشَّجَاعَةِ

« وتعني من يملك الجرأة في مواجهة الصعوبات.  
السَّخَاءِ

« يعني الكرم والجود.

و »

السَّمَاخَةِ

« تعني سعة الصدر والتحلى بالحلم.

وعلى هذا الأساس فإنَّ لكلِّ وحدة من هذه الكلمات الثمان معنًى مختلفاً وتشير إلى إحدى الفضائل والصفات المتميزة للإنسان، رغم  
أنَّ بعض شراح نهج البلاغة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٢

ذهبوا إلى أنَّ بعض هذه الكلمات مترادفة، مثل: «النجدة» و «السخاوة»، وكذلك:

«السخاء و «السماحة»، وهكذا في «أحساب» و «أهل البيوتات الصالحة».

وعبارة »

الصَّقُ

« إشارة إلى الروابط القريبة والعلاقات الوثيقة، وهذا يعني لزوم إيجاد رابطة عميقة مع هذه الجهات التي تملك هذه الخصائص  
المتتميزة لغرض اختيار قادة الجيش منها.

ولا شك أنَّ الأشخاص الذين يملكون مثل هذه الصفات المتميزة يكونون جديرين بالاعتماد عليهم ويتحركون بفاعليته أكثر في مسألة  
كسب النصر والظفر.

أما الحسب والوراثه وحسن السابقة والأعمال التي تشير إلى الحلم والشجاعة والسخاء والفتوة فإنها تصلح أن تكون دليلاً على شخصيته صاحبها السامية، وفي الحقيقة فإن الإمام عليه السلام في هذا المورد يتحدث بمنطق علم النفس والتحليل النفسي ليتمكن مالك الأشر من اختيار أفضل الرجال لقيادة الجيش.

ومن هذه الجهة يواصل الإمام عليه السلام كلامه ويقول:

«فَانَّهُمْ جِمَاعٌ ٦٤٧] مِنَ الْكَرَمِ،

وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ».

كلمة »

عُرْفُ

« إشارة إلى جميع أنواع المحاسن والفضائل، وهذه المفردة من مادة «عرفان» و «معرفة» وتأتي بمعنى المعروف أيضاً، وبما أن الفضائل معروفة لدى عقل الإنسان وروحه، فقد وردت التعبير عنها بالمعروف أو العرف، خلافاً للقبائح والردائل التي لا تتناسب وفطرة الإنسان النقية، فهي أمور منكرة وغير معروفة، فيقول الإمام عليه السلام في هذه العبارة إن الأشخاص الواجدون لهذه الصفات الثمان يمثلون مركزاً مجسداً للفضائل والصفات الإنسانية المتميزة.

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام هذه الصفات المهمة والمتميزة، يتحرك على مستوى بيان أربع توصيات لقادة الجيش فيما يتصل بسلوكهم ونشاطهم بداية يقول:

«ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٣

وعلى ضوء ذلك فقائد الجيش ينبغي أن يتعامل مع القادة في المراتب الأدنى، بل مع جميع أفراد الجيش، كالوالد الحنون والام العطوف، ويتواصل معهم من موقع المحبة والسؤال والاستفسار عن حاجاتهم وتعميق العلاقة العاطفية معهم فيما يتسبب في بقاء وفائهم وإخلاصهم وطاعتهم لقائد الجيش وثباتهم في ميدان القتال.

ويضيف الإمام عليه السلام في التوصية الثانية:

«وَلَا يَتَّفَاقَمَنَّ ٦٤٨] فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ».

وهذه إشارة إلى أن خدماتك مهما تكن كبيرة وكثيرة فينبغي أن تعدّها صغيرة وتفكر في الإتيان بالأفضل منها.

وفي التوصية الثالثة يقول عليه السلام:

«وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ ٦٤٩] بِهِ وَإِنْ قَلَّ».

ثم يقيم الإمام عليه السلام دليلاً لهذه المقولة (وهي الاهتمام بالأمور الكلية والجزئية لقادة الجيش والجنود) ويقول:

«فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ».

وفي التوصية الرابعة يقول عليه السلام:

«وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِّلِّسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلَّجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ».

وهذه النقطة جديرة بالانتباه والتدقيق، وهي أن القادة بل جميع مدراء المجتمع الإسلامي لا- ينبغي أن يغفلوا عن الأمور الصغيرة والكبيرة، أو يهتموا فقط بالأمور الكبيرة والمصيرية ويعتونا بالحاجات المهمة للمجتمع، بل يضعون كل واحدة في مكانها، لأنه أحياناً تكون الغفلة عن الأمور الفرعية مضرّة بقدر الغفلة عن الامور الكلية.

والنقطة الملفت للنظر أن الإمام عليه السلام في جميع المسائل السابقة وبدلاً من اهتمامه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٤



بمسائل التعليم والعسكري والامور المتعلقة بالأسلحة وأمثال ذلك يهتم بالأمور المعنوية والأبعاد الروحية لقادة الجيش، لأنّ العنصر الأساس في تحقيق النصر هو هذه الأمور رغم أنّ الأمور الأخرى لها مكانها المناسب.

في عالمنا المعاصر قلما يُبحث، في مسألة اختيار القادة العسكريين ومدراء المجتمع، عن الخصائص العائليّة والصفات المعنويّة وحالات الكرم والتقوى والطهارة من الرذائل في شخصيّة الأفراد، ومن هذه الجهة حدثت الكثير من الخيانات الكبيرة من قبل هؤلاء المدراء والمسؤولين الكبار.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٥

### القسم الثالث عشر

#### إشارة

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هُمُومًا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ. وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةٍ صِدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقَلَّةِ اسْتِقَالِ دَوْلِهِمْ، وَتَزَكِّيِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مِيدَانِهِمْ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَأَصِلْ فِي حُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَتْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أفعالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَتْلَى، وَلَا تَضْمَنْ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صِدْغِيرًا، وَلَا ضَعْفُهُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.

### الشرح والتفسير: أفضل قادة الجيش

في هذا المقطع من الرسالة يتابع الإمام عليه السلام توصياته في اختيار قادة الجيش، ويتجه نحو الاهتمام بأمر الجند وأفراد الجيش ويوصي مالِك الأشر باختيار القادة والضباط من الذين يهتمون بأمر الجيش بشكل أفضل، يقول عليه السلام:

«وَلْيَكُنْ آثَرُ [٦٥٠]

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٦

رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ [٦٥١]، بِمَا يَسَعُهُمْ

وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ [٦٥٢] أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هُمُومًا وَاحِدًا فِي جِهَادِ

الْعَدُوِّ».

وفي عالمنا المعاصر نرى أنّ العلاقة بين قادة الجيش والجنود تتميز بالجفاف وانعدام الاحساس العاطفي، وتكون العلاقة عسكرية أكثر منها عاطفية، فمثل هذه العلاقة تدور في الغالب حول محور العقوبة والسجن والتهديد، في حين أنّ الإمام عليه السلام أكد قبل أربعة عشر قرناً على أنّ تكون العلاقة عاطفية، وينبغي على قادة الجيش أن يأخذوا بنظر الاعتبار مشاكل الجنود وحتى مشاكل عائلاتهم أيضاً ويوفروا لهم معيشة مقبولة وبالمقدار الممكن، كيما يتحرك الجنود في ميدان القتال بالتركيز على مسألة الجهاد وقاتل الأعداء لا غير، وبديهي أنّ مثل هذا الجيش سيكون أقرب لتحقيق النصر والغلبة.

عندما ينظر الجيش بعين إلى ميدان المعركة وبالعين الأخرى إلى الأهل والأولاد ويعيشون القلق تجاههم فإن إرادتهم على قتال العدو ستضعف وترتبك.

واللافت أن الإمام عليه السلام راعى في حياته الشخصية الحد الأعلى من الزهد وقد أمر الولاة والقادة أيضاً بهذه التوصية، وقد سبق الحديث عن ذلك في شرح رسالة الإمام عليه السلام لعثمان بن حنيف، ولكن بالنسبة للمجموعات الخاضعة لكفالته أوصى بتوفير المعيشة الكافية والمعقولة.

ثم يتحدث الإمام عليه السلام في مقام بيان العلة لهذه التوصية يقول:

«فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٧

ومع الالتفات إلى أن الضمير في

«عَلَيْهِمْ»

و

«قُلُوبَهُمْ»

يعود إلى أفراد الجيش ظاهراً، فإن معنى هذا الكلام: عندما تتواصل مع أفراد الجيش بالمحبة من خلال محبتك قادة الجيش فإن أفراد الجيش سيمنحوك حبهم ووفائهم من صميم القلب [٦٥٣].

ثم يواصل الإمام عليه السلام هذا الكلام ويشير إلى نقطة مهمة هي السبب في دوام الحكومة والدولة، ويقول:

«وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ».

وهذه إشارة إلى أن إقامة العدل والقسط تتسبب في تقوية العلاقات العاطفية بين الناس من جهة، والقادة والولاة من جهة أخرى، ولذلك يعتبر إقامة العدل أفضل وسيلة لحفظ الحكومة ودوامها.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى عوامل ظهور المودة والمحبة من قبل الناس تجاه الوالي ويقول:

«وَإِنَّهُ لَأَنْظَهُرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةٍ صُدُورِهِمْ».

وسلامة الصدور إشارة إلى حسن الظن ونفى كل أشكال الحقد والعداوة، وبديهي أن الرعية إذا كانت تملك حسن الظن بأعمال

الولاة والمسؤولين ولم يشعروا نحوهم بأى حقد وعداء، فإن مظاهر المحبة والوفاء تجاه الحكومة ستظهر جلياً.

وربما تكون هذه العبارة إشارة إلى الكثير من الناس وبحكم الاجبار والخوف يتحركون على مستوى المدح والثناء للوالي والمسؤولين

في حين أنهم لا يعيشون سلامة الظهر وحسن الظن بهم، فالمودة الواقعية لا تظهر إلا إذا كانت القلوب تعيش المودة والمحبة تجاه

المسؤولين.

ويضيف الإمام عليه السلام:

«وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٨

اسْتِثْقَالِ [٦٥٤] دُولِهِمْ، وَتَرَكَ اسْتِبْطَاءِ [٦٥٥] انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ».

واللافت للنظر أن الإمام عليه السلام ولأجل بقاء واستمرار الحكومات لا يعتمد على عنصر الاقتدار الظاهري وتسلط الجيش وقوى

الأمن والاستخبارات على الناس، بل يعتمد تماماً على قلوب الناس والبعد العاطفي لهم ويهتم بكيفية كسب محبتهم وجذبهم، في حين

أن الكثير من الحكومات في الماضي وحتى في الحال الحاضر يعتقدون أن بقاءهم على رأس السلطة منوط بالقدرة الظاهرية على

الناس، ونرى غالباً أن الناس الذين يعيشون عدم الرضا عن الحكومة بمجرد أن تتوفر لهم الفرصة فإنهم يشورون ضد الحكومة

ويزيحونها ويلقونها في مزبله التاريخ.

وجاء في شرح نهج البلاغه للعلامة التستري أن الزهري قال: دخلت يوماً على عمر بن عبدالعزيز، فبينما أنا عنده إذا أتاه كتاب من عامله أن المدينة قد احتاجت إلى مرمة، فقلت له: إن بعض عمال علي بن أبي طالب كتاب بمثل هذا، فكتب عليه السلام إليه: «أَمَا بَعْدُ، فَحَصَّنْهَا بِالْعَدْلِ وَتَقَّ طُرُقَهَا مِنَ الْجَوْرِ» فكتب (عمر بن عبدالعزيز) ذلك إلى عامله [٦٥٦].

ثم يتحدث الإمام عليه السلام عن مسألة التشويق المادي ويقول: «فَأَسْخِ فِي آمَالِهِمْ [٦٥٧]».

للآمال مفهوم واسع يشمل جميع الحاجات الضرورية والترفيهية، وبديهي أن قادة الجيش والجنود إذا لم يعيشوا راحة البال والفكر من جهة تأمين معيشتهم فإن أداءهم العسكري في ميدان القتال سيشهد الضعف والفتور. نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٧٩

ويتحدث الإمام عليه السلام في سياق كلامه هذا عن التشويق النفسي والمعنوي ويقول:

«وَأَصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ [٦٥٨] مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ [٦٥٩] الشُّجَاعَ وَتَحْرُضُ [٦٦٠] النَّاكِلَ [٦٦١] إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

ومعلوم أن مسألة تشويق أفراد الجيش اللاتقنين والفعالين سيقع مؤثراً في تطوير وتفعيل النشاطات الاجتماعية، وخاصة أنه يحضى في عالمنا المعاصر بالأهمية القصوى، فاختيار الاستاذ النموذجي، والعامل النموذجي، والمزارع النموذجي، والقادة المثاليين وإعطائهم لوحات التقدير والجوائز الكبيرة وذكر أسمائهم في أجهزة الإعلام العام يدخل كله في هذا الباب. والجدير بالذكر أن مثل هذا التشويق، كما ذكر الإمام عليه السلام في كلامه أعلاه، له أثر من جهتين: فمن جهة يحث الأفراد اللاتقنين على العمل والفعالية، ومن جهة أخرى يؤثر على الأفراد الكسالي الذين يرون أنفسهم في هذا الحال منكسرين فيفكرون في تغيير سلوكهم وتنشيط أداؤهم.

ثم إن الإمام عليه السلام يتابع في كلامه هذا، أي في مسألة التشويق، ليتعرض لتوضيح أكثر في هذا المجال ويقول:

«ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضْمَنْ [٦٦٢] بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تَقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَاءِهِ».

في هذه العبارات الثلاث والتي تتضمن كل واحدة منها إشارة نقطة خاصة في ذات الوقت مكمله للأخرى، يؤكد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر أن يكون منتبهاً ومراقباً

نقحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٠

لأعمال وسلوكيات من هم تحت إمرته ويقدر لهم أتعابهم، فإذا قام أحدهم بعمل مهم فينبغي أن ينسب له ذلك العمل، ومضافاً إلى لزوم معرفة الشخص الجيد والذي يقدم خدمة جليلاً للجيش، أن يتعرف بدقة على مقدار خدمته أيضاً.

ثم يبين الإمام عليه السلام توصيتين أخريين في سياق إكمال هذه التوصيات ويقول:

«وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا وَلَا ضَعْفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَضْعِرَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا».

وبعبارة أخرى أن تنظر إلى العمل نفسه ثم إلى العامل، بخلاف ما هو متداول لدى غالبية الناس أنهم ينظرون إلى العامل أولاً ثم إلى عمله، وهذا الأمر يتسبب في وقوع الخطأ في تقييم أعمال الأشخاص.

والجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام في هذا المقطع من كتابه لمالك الأشتر يبين في البداية الصفات البارزة في قادة الجيش، ثم يبين التوصيات اللازمة بالنسبة لأفراد الجيش، وبعد ذلك يتحدث عن عامية الرعية، وفي الختام يتحدث مرة أخرى عن المسائل

المتعلقة بتشويق وحث قادة الجيش وبيّن توصياته المؤكدة لهم.

ومن هنا يبدو أنّ الإمام عليه السلام في ثنايا البحوث المتعلقة لقادة الجيش وجنوده وبشكل جملة معترضة، يتوجه في كلامه مخاطباً جميع أفراد المجتمع الإسلامي.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨١

## القسم الرابع عشر

### إشارة

وَأَرْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِشَادَهُمْ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرَّقَةِ.

### الشرح والتفسير: طرق حل المشكلات

### إشارة

في هذا المقطع من الرسالة بين الإمام عليه السلام وظيفته مالك الأشر فيما يتصل بأحكام الشرع، وكما يقال في الشبهات الحكمية وطريق الكشف عن الأحكام الإلهية في المسائل المتعلقة بالجيش والحرب والصلح وسائر المسائل التي تتصل بشأن الحكومة وإدارة البلاد حيث يدعوه الإمام عليه السلام للاجتهاد في الأحكام الإلهية من خلال استفادة من المنابع الأصلية، لأنه يرى فيه القابلية لمثل هذا الاستنباط الشرعي يقول عليه السلام:

«وَأَرْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ».

ثم يستند الإمام عليه السلام إلى الآية الشريفة ويقول:

«فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِشَادَهُمْ

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» [٦٦٣].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٢

ثم يضيف عليه السلام:

«فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرَّقَةِ».

وجملة »

ما يُضْلِعُكَ

« مع الالتفات إلى أنّ «ضلع»؛ (على وزن منع) في الأصل تعنى الحمل الثقيل الذي يجعل حامله يميل من هذه الجهة إلى الأخرى وهذه إشارة إلى أنّ كلّ حكم مشكل ومعقد يواجهه الإنسان لابد له لحمله من مراجعة الكتاب والسنة.

وكلمة

«خُطُوب»

جمع «خطب» (على وزن ختم) ويعنى الأمر المهم، تطلق على أى نوع من الأعمال، وهذه إشارة إلى أن الإنسان المؤمن يجب عليه، سواءً فى الأمور الهامة أم فى الأمور العادية، الرجوع إلى نصوص الكتاب أو السنة أو العمومات والإطلاقات، فيما لو واجه مشكلة فى حكم من الأحكام الشرعية ويستوحى من النصوص الشريفة الحلول لتلك المشاكل.

وعبارة

«أولى الأمر»

تعنى أصجاب الاختيار وذوى الشأن، وهذه إشارة إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام ومصدقها البارز فى ذلك الوقت الإمام على عليه السلام نفسه.

وعبارة

«مُحْكَمٌ كِتَابِهِ»

إشارة إلى محكمات الآيات القرآنية التى لا شك ولا شبهة فى مفهومها وتفسيرها.

وعبارة

«السنة الجامعة غير المفترقة»

إشارة إلى الأحاديث النبوية وسيرة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله المقبولة والمشهورة بين المسلمين ولا يتسبب الأخذ بها الخلاف والفرقة بأى شكل من أشكال.

وهنا ربما يثار هذا السؤال: لماذا لم يتحدث الإمام عليه السلام عن دليل العقل والإجماع اللذين يعتبران من الأدلة القطعية فى عملية الاستنباط الفقهي فى دائرة الأدلة الأربعة المعروفة؟

والجواب عن هذا السؤال بين، لأن الكتاب والسنة أيدا بصراحة حجية دليل العقل وحجية الإجماع أيضاً، سواء قلنا بأن الإجماع يعدّ دليلاً مستقلاً أو أنه يعود إلى السنة وكلام المعصوم.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٣

**تأمل**

**من هم اولوا الأمر؟**

بالنسبة لتفسير «اولوا الأمر» هناك خلاف بين المفسرين، فالمفسرون من أهل السنة يرون أن أولى الأمر هم القادة والولاة والحكام فى كل عصر، والعجيب أنهم لم يقولوا بوجود استثناء من هذه القاعدة، وبالتالي يجب على المسلمين اتباع كل شكل من أشكال الحكومة حتى لو كانت حكومة المغول والتر، ولكن بعض المفسرين المتأخرين منهم، الذين يتمتعون بافق أوسع وذهن أرحب كصاحب تفسير «المنار» و «فى ظلال القرآن»، يعتقدون بأن المراد من أولى الأمر هم نواب الشعب والعلماء وأصحاب المناصب الذين لهم دور مهم فى حياة الناس، ولكنهم يشترطون بأن لا يسير هؤلاء بخلاف مقررات الإسلام وأحكامه.

هذا والحال أن البعض الآخر يحصر اولوا الأمر بالعلماء والزعماء المعنويين فقط، وذهب آخرون إلى أن أولى الأمر هم الخلفاء الأربعة عشر ولازمه عدم وجود اولوا الأمر فى الأزمنة الأخرى

وذهب بعضهم إلى أن الصحابة من أولى الأمر أيضاً، حيث يرد عليه نفس الإشكال والايراد.

ولكن المفسرين الشيعة متفقون بأن أولى الأمر هم أئمة المعصومين عليهم السلام فقط وهم قادة الخلائق إلى الله فى جميع الأمور

الماديّة والمعنويّة، والدليل على ذلك واضح، وهو أن إطاعة أولى الأمر الوارد في الآية الشريفة مطلقة، وبديهي أن الطاعة المطلقة للشخص الذي يتورط في الذنب أو الخطأ لا معنى لها، وخاصية أن أولى الأمر معطوفة مباشرة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وجمله «اطيعوا» التي جاءت قبل ذلك تشمل الإطاعة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأولى الأمر على حدّ السواء. والجدير بالذكر أن بعض المفسّرين من أهل السنّة تحرّكوا في هذا المورد من موقع الانصاف واعترفوا بهذه الحقيقة، يقول الفخر الرازي في تفسيره في ذيل هذه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٤

الآية: «إنّ قوله «وأولى الأمر منكم» يدلّ عندنا على أنّ إجماع الأئمة حجّة والدليل على ذلك أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً من الخطأ، وإذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ فثبت قطعاً أنّ أولى الأمر المذكورة في هذه الآية، لابدّ أن يكون معصوماً، وبما أنّ الفخر الرازي لم يعتقد بعصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام يقول: «ذلك المعصوم إما مجموع الأئمة أو بعض الأئمة، لا جائز أن يكون بعض الأئمة لأننا بينا أنّ الله تعالى أوجب طاعة أولى الأمر في هذه الآية قطعاً (وهي الأئمة)» [٦٦٤]. النتيجة أنّ أولى الأمر يقصد به الإجماع!

ولكن الفخر الرازي غفل عن هذه النقطة، وهي أنّ القرآن الكريم يقول إنّ المسائل المشكّلة والمعقدة التي تواجهكم في الحياة، عليكم حلّها بواسطة إطاعة أولى الأمر، ومن المعلوم أنّ المسائل مورد الاتفاق محدودة ومعدودة ولا يمكن حلّ جميع المشكلات عن طريق تحصيل اتفاق جميع أفراد الأئمة أو علمائها، أضف إلى ذلك أنّ الاستفادة من الآية الشريفة أنّ المسلمين يجب أن يذعنوا لحكومة أولى الأمر، وحكومة مجموع الأئمة واتفاقهم غير ممكن حتى لو استخدمنا آليّة الانتخابات لاختيار نواب الأئمة لمثل هذه الأمور، فقلّما يمكن أن يتفق الناس على اختيار هؤلاء النواب، ومن هذا المنطلق فإنّ إطاعة أولى الأمر بمعنى حكام البلاد الإسلاميّة مجانيب للصواب.

يبقى سؤال مهم، وهو أنّ أولى الأمر بمعنى الإمام المعصوم لم يكن موجوداً في زمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فكيف أمر القرآن الكريم بطاعتهم؟

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٥

والجواب عن هذا السؤال بيّن، لأنّ المخاطبين لهذه الآية ليسوا فقط الأشخاص الذين كانوا في زمن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفي عصر نزول هذه الآية، بل الآية ناظرة لجميع الأزمنة والعصور، ولذلك فجميع القادة والحكام مشمولون لمدلول الآية، وحتى الفخر الرازي الذي يرى أنّ أولى الأمر تعني إجماع المسلمين، يرى أيضاً أنّ المعيار هو تحقيق الإجماع في كلّ عصر وزمان. وينبغي القول أنّ المناهج الإسلاميّة، من الشيعة وأهل السنّة، ذكرت روايات عديدة في أنّ المراد من أولى الأمر على بن أبي طالب عليه السلام (بوصفه المصداق الكامل) [٦٦٥].

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٧

## القسم الخامس عشر

### إشارة

ثُمَّ اخْتَرُوا لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَاتَضَيِّقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْضُرُ مِنْ

الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَمَّا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَمَّا يَكْتَفِي بِأُذُنِي فَهَمُّ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحَجِيحِ، وَأَقْلَهُمْ تَبْرُمًا بِمَرَاجِعِهِ الْخُضْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْدَرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ. وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَأَوْلَيْتَكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهِدَ قَضَائِهِ، وَافْسَحَ لَهُ فِي الْيَدْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَنَقَلَ مَعَهُ حَاجَتَهُ إِلَى النَّاسِ. وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمُنَزَّلَةِ لِمَدِيكَ مَا لَمَّا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِئَامَنْ بِذَلِكَ اغْتِيَالِ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيَا.

### الشرح والتفسير: يجب أن يتصف القضاة بهذه الصفات الاثني عشر!

يتحدث الإمام عليه السلام في هذا المقطع من رسالته لمالك الأشر عن موضوع مهم في شأن القضاة، ويجعله بحثاً مستقلاً عن البحوث السابقة، للإشارة إلى مسألة الاستقلال القضائي المتداولة في عالمنا المعاصر والذي يحظى بأهمية كبيرة حيث تكون السلطة القضائية قوة مستقلة في عرض السلطة التنفيذية (الحكومة) والسلطة التشريعية (البرلمان)، مضافاً إلى ذلك فإن الإمام عليه السلام ذكر خصائص القضاة بعد ذكر خصائص قادة الجيش مما يوحي إلى أن الجيش الإسلامي يحفظ الأمة في مقابل

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٨

الأجانب، والسلطة القضائية تحفظ الأمة في مقابل المخاصمات والنزاعات الداخلية، وبعبارة أخرى أن أحدهما يؤدي دور حفظ الأمة من الخارج، والآخر حفظ الأمة من الداخل.

بداية يقول عليه السلام:

«ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ».

وهذا التعبير يوحي أن الحاكم في مورد اختيار القضاة يجب أن يختار الأفضل والأجدر منهم، لأن مسألة القضاة أمر حساس وخطير جداً وأن الأفضل والأجدر من الجميع هو الذي يستطيع تولى هذا المنصب.

وجملته

«اخْتَرِ»

تشير إلى أن القضاة لا ينتخبون بآراء الناس، كما هو المتداول في بعض البلدان المعاصرة، بل يختارهم القائد والإمام بشكل مباشر أو بواسطة الأفراد الموثوقين، لأن مسألة صلاحية القضاة ليست شيئاً يمكن الرجوع فيه إلى آراء الناس للحكم في ذلك.

ثم يعدد الإمام عليه السلام اثني عشر صفة لابد من توفرها في القاضي، وهذا في الواقع من قبيل التفصيل بعد الاجمال، ويشير إلى من هو الأفضل والأجدر لحياسة هذا المنصب المهم:

١. يقول عليه السلام:

«مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ».

وهذه إشارة إلى أن معرفة القاضي فيما يتصل بالمسائل المختلفة والقوانين الإسلامية ومعرفة الموضوعات إلى درجة من التعقيد في كل مسألة بحيث ينبغي للقاضي معرفة طريق الحل فيها ولا يواجه مشكلة في هذا الأمر، وبعبارة أخرى أن يكون عارفاً بأحكام الشرع من جهة، وله معرفة في تشخيص الموضوعات أيضاً من جهة أخرى، ليستطيع ردّ الفروع على الأصول واستنباط الفروع من الأصول، وهذه الصفة لا توجد إلا في المجتهدين المبرزين.

٢. ويقول عليه السلام في بيان الصفة الثانية:

«وَلَا تَمَحْكُهُ [٦٦٦] الْخُصُومُ».

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٨٩



يعنى أن يملك من سعة الصدر بحيث لو تنازع المتخاصمين في مجلسه وارتفعت أصواتهم فلا- يثيره ذلك ولا- يخرج عن حد الاعتدال، بل يصدر الحكم الإلهي العادل في حقهما مهما كانا وشرسين وعدمى الأدب.

٣. ويقول الإمام عليه السلام في بيان الصفة الثالثة للقضاء الموثوقين واللائقين: «وَلَا يَتَمَادَى [٦٦٧] فِي الزَّلَّةِ».

ومعلوم أن الشخص اللجوج والمعاند عندما يرتكب خطأ ويلتفت إلى هذا الخطأ لا يجد في نفسه استعداداً للاعتراف بهذا الخطأ وتغيير مساره والعودة إلى الصراط المستقيم، وهذا بدوره يتسبب في أن يصدر أحكاماً جائرة وغير واقعية، وهو من الظلم المتعمد وغير القابل للمغفرة.

ويتحدث القرآن الكريم عن جماعة من الكفار: «وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» [٦٦٨]. وكثيراً من يؤثر العناد والتعصب في فكر الإنسان إلى درجة أنه يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اللُّجَاجُ يُفْسِدُ الرَّأْيَ» [٦٦٩]

ويقول في مورد آخر:

«اللُّجَاجُ أَكْثَرُ الْأَشْيَاءِ مَضَرَّةً فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ» [٦٧٠].

٤. ويقول عليه السلام في بيان الصفة الرابعة:

«وَلَا يَخْصُرُ [٦٧١] مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ».

وهذه الصفة في الحقيقة وجه آخر لعدم العناد واللجاج، وبعبارة أخرى هي نتيجة لها، فالإنسان إذا لم يتحرك في خط اللجاج والعناد وتبين له الحق في المسألة فإنه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩٠

سيعود إليه بكل سهولة ويصلح جميع تداعيات الخطأ الذي اقترفه، وبعبارة أخرى هو الشخص الذي يملك الشجاعة للاعتراف بخطئه وإصلاح هذا الخطأ والاشتباه، ومثل هذه الشجاعة تعتبر من أهم أغصان الفضيلة الإنسانية.

٥. قوله عليه السلام:

«وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ».

وبديهي أن القاضى إذا كان يعيش حالات الطمع، حتى في أدنى مستوياته فبالإمكان إغوائه بسهولة عن طريق تقديم الرشوة وبالتالي منعه من إصدار الحكم بما يتفق مع الحق في الحكم.

ونقرأ في حديث شريف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«رَأْسُ الْوَرَعِ تَزُكُّ الطَّمَعِ» [٦٧٢].

ونقرأ أيضاً في الكلمات القصار لأمير المؤمنين عليه السلام:

«أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الطَّمَعِ» [٦٧٣].

وبيان آخر، مع الالتفات إلى أن الإشراف يعنى النظر إلى الشيء من جهة العلو فهذا الكلام من الإمام عليه السلام يشير إلى أن الإنسان الطامع من شأنه أن يسقط من ذروة الفضيلة إلى هوة الرذيلة.

٦. قوله عليه السلام:

«وَلَا يَكْتَفِي بِأَذْنِي فَهَمِّ دُونَ أَقْصَاهُ».

وهذه إشارة إلى أن القاضى ينبغي، في مجال فهم المسائل، أن يملك من سعة الصدر بحيث يحيط بجميع جوانب المسألة، سواء في الشبهات الحكمية أم في الشبهات الموضوعية، ويحقق في شروط المتخاصمين الذين حضرا عنده في القضاء والحكم بينهما، ثم بعد

ذلك يصدر حكمه من موقع الوضوح في الرؤية.

٧. يقول عليه السلام:

«وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ».

ونعلم، كما ورد في الحديث النبوي المعروف، أن الأمور على ثلاثة أنحاء: فمنها ما يكون الحق فيها جلياً، والآخر ما يكون الباطل فيها جلياً، ولكن القسم الثالث هو

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩١

الشبهات، يعني الأمور التي لا يتسنى للإنسان الاحاطة بها بسهولة، ففي مثل هذه الموارد يجب أخذ جانب الاحتياط، والشخص الذي يتحرك في وادي الشبهات فسوق يقوده ذلك إلى دورب المحرمات والغرق في المتاهات، والشخص الذي يجتنب الشبهات فإنه يترك المحرمات الواقعية بشكل أفضل ويجتنبها.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حَلَمَالٌ بَيْنَ وَحَرَامٍ بَيْنَ وَشُبُهَاتٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ نَجَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاتِ ارْتَكَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ» [٦٧٤].

وهذا الكلام لا- يعني أن القاضى يمتنع من إصدار الحكم لأنّ وظيفته الشرعية فصل الخصومة وانهاء النزاع، بل المراد أن يتوقف ويحتاط ويدرس جميع جوانب المسألة ويزيل ظلمة الشبهات بنور العلم والمعرفة، وأحياناً يقوم بمصالحة طرفي النزاع فيما تدعوه مواقف الاحتياط.

٨. يقول عليه السلام:

«وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ».

إنّ أهم عمل القاضى التحقيق في أدلة الطرفين، فيأخذ بالأدلة القوية والمقبولة، ويمتنع عن قبول الأدلة الضعيفة والمهزوزة. ويحتمل أيضاً أن مراده من هذه الجملة أنّ القاضى يجب أن يتحرك أكثر من أى شخص آخر في البحث عن الدليل، بمعنى أنّه أحياناً لا يوجد أى دليل حسب الظاهر في المسألة مورد الخصومة ليبيّن الحق في المسألة، ولكن القاضى يستطيع ومن خلال البحث والتدقيق في زوايا القضية، أن يعثر على أدلة قوية لكشف الحق من الباطل، كما هو الحال في الكثير من قضاء أمير المؤمنين عليه السلام، إذ أنّ الإمام عليه السلام ومن خلال استخدام أساليب نفسه يستطيع إمّا في أخذ الاعتراف والإقرار من المجرم، وإمّا أن يتوفر له العلم من مجمل القرائن والشواهد المتوفرة، مثلاً في قضية اختلاف امرأتين على طفل واحد، وإصرار كلّ واحدة منهما على أنّ هذا الطفل هو ابنها،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩٢

فحسب القاعدة يجب على القاضى في هذا المورد اللجوء إلى القرعة للفصل بينهما، ولكن الإمام عليه السلام تحرك على مستوى البحث عن الأدلة، فأمر بأن يأتوا له بالسيف وقال: سوف أشق هذا الولد إلى نصفين، فكل واحدة منكما تأخذ نصفاً من هذا الطفل، فصاحت الام الحقيقية بأننى تنازلت عن حقي فادفعوا هذا الطفل إلى المرأة الاخرى، فعرف الإمام عليه السلام بهذه الطريقة المدعى الحقيقي من الكاذب، وهناك الكثير من هذه الأمثلة في قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وقضائه [٦٧٥].

٩. وقوله عليه السلام:

«وَأَقْلَهُمْ تَبْرُماً [٦٧٦] بِمُرَاجَعَةِ الْخُصْمِ».

في الكثير من الحالات يكون لكل واحد من الطرفين المتخاصمين أدلة وشواهد عديدة ويطرحها بالتالى على القاضى ممّا يسبب له إزعاجاً وإرهاقاً، وإذا كان القاضى ضيق الصدر وسريع الانفعال فسيقوم بطردهما، وما أكثر الأدلة الواقعية التي تبقى طي الكتمان بهذا

العمل، ولكن إذا كان يملك سعة الصدر ولا يفعل بسهولة فإنه يستطيع إعادة الحق إلى أهله. يجب على القاضي أن يمنح طرفي النزاع مقداراً كافياً من الوقت ليبيّن له ما أمكنهما من الشواهد والأدلة لإثبات الدعوى.

نفحات الولاية؛ ج ١٠؛ ص ٣٩٢

. وقوله عليه السلام:

«وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ».

وبدئها أن القاضي لو كان عجولاً ومتسرعاً فسوف لا تتضح لديه حقيقة الأمر وبخاصة في الدعاوى المعقدة، ولكن إذا كان يتحلّى بالصبر والترث ولا يصدر حكمه النهائي بسرعة، فإنه يستطيع بشكل أفضل أن يكشف الستار عن وجه الحق في المسألة، وهذا الكلام لا يعنى أن الملفات القضائية، كما هو الحال في زماننا، يتم تأخيرها إلى أيام وشهور عديدة بحجة التحقيق في الملف، وأحياناً يتأخر الحكم

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩٣

في قضية معينة لسنوات عديدة، وخاصة إذا قام المحامون بوضع العصي لإعاقة عجلة الحكم، فأحياناً وبذريعة بسيطة يتم تأخير إصدار الحكم في القضية في الحكم.

١١. قوله عليه السلام:

«وَأَصْرَمَهُمْ [٦٧٧] عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ».

وهذه إشارة إلى أن الاحتياط الذي يمارسه القاضي والصبر في مقابل بيان حجج الطرفين والتحقيق في الأدلة لا يعنى أنه ستردد في مقام إنشاء الحكم وبتلى بالوساوس ويوكل إنشاء الحكم إلى غدٍ وبعد غد، بل ينبغى أن يكون كالسيف الصارم في الحزم وفصل الخصومة بإنشاء الحكم القاطع ولا يفكر بتداعياته وآثاره فيما بعد، لأن إنشاء الحكم عادة يقع بنفع أحد الطرفين ويؤدى بالتالى إلى امتعاض الطرف الآخر وعدم رضاه وسيلجأ للمحامين والأصدقاء وأحياناً للقبيلة والطائفة لفرض رأيه على القاضي، وهذه المسألة من اللوازم الطبيعية للقضاء، ومن يفكر في هذه الأمور ويتحرك على مستوى الاحتياط في إصدار الحكم لا ينبغى أن يجلس على كرسى القضاء.

١٢. وفي آخر صفة من الصفات القاضي اللائق يقول الإمام عليه السلام:

«مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ [٦٧٨] إِطْرَاءٌ [٦٧٩] وَلَا يَسْتَمِيلُهُ [٦٨٠] إِغْرَاءٌ [٦٨١]».

وغير خفى عن البيان أن الأشخاص المغرورين والمعجبين بأنفسهم عندما يسمعون عبارات المدح والثناء والتمجيد من قبل البعض تجاههم، فربما ينحرفون عن مسير الحق ويؤثر حب الذات في ميلهم إلى جهة المداحين، وبسبب هذه العلاقة النفسية يحكم هذا القاضي بما يصب في نفع هذا الشخص ظمناً وعدواناً، وهنا يؤكد

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩٤

الإمام عليه السلام أن مثل هؤلاء الأشخاص ليسوا جديرين بمنصب القضاء بين المسلمين حتى لو توفرت فيهم الصفات الأخرى ثم إن الإمام عليه السلام بعد أن ذكر هذه الصفات الإثني عشر، التي كلّ واحدة منها أهم من الأخرى يتوجه نحو القضاء الذين يستطيعون، عند مواجهه أعقد المسائل وأصعب الملفات، من تشخيص الحق من الباطل بكل شجاعة وفطنة ويحكمون وفق ما توفر لديهم من أدلة وشواهد ويعيد الحق إلى صاحبه حتى لو كان من أضعف الأفراد في المجتمع، وكان مخالفه من أقوى الأفراد، وطبعاً كما قال الإمام عليه السلام في نهاية حديثه عن هذه الصفات:

«وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ».

ولكن المهم للوالى أن يدرس جميع جوانب المسألة بصبر وأناة وللعثور على هذا القليل ممن تتوفر فيهم هذه الشروط من بين المرشحين لهذا المنصب ووضعه على كرسى القضاء بين المسلمين.

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام خصوصيات وصفات القاضى اللاتق، تحدّث عن وظائف الوالى فى مقابل هؤلاء القضاة ويأمره بثلاثة أوامر مهمّة جداً.

بداية يقول عليه السلام:

«ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاهُدَ [٦٨٢] قَضَائِهِ»

، وهذه إشارة أنه مهما كان هؤلاء القضاة واجدين لهذه الصفات ومورد الاعتماد، فمع ذلك وبما أن مسألة القضاء مهمّة جداً وربما يبتلى القاضى بالخطأ والزيف أو الانحراف، فمن الضروري أن ترسل بعض المفتشين ليحققوا فى الأحكام القضائية الصادرة عنهم، أو تتولى هذه المسألة بنفسه وتحقق عن كذب فى بعض الأحكام القضائية لهم، ومثل هذا العمل يمنح القاضى قوّة فى التزامه الواعى بقيم العدالة.

طبعاً فإنّ هذا الكلام لا يعنى وجود مسألة الاستئناف والتمييز فى نظام القضاء الإسلامى بل بمعنى أن الوالى لو عثر على خطأ مسلم فى الحكم وجب عليه ابطاله وتجرى إعادة التحقيق مرّة أخرى.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩٥

وفى التوصية الثانية يقول عليه السلام:

«وَأَفْسَحْ لَهُ فِى الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلْ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ».

وهذه إشارة إلى أن أحد عوامل الفساد فى السلطة القضائية، قلة الحقوق المائيّة للقضاة والموظفين فى الجهاز القضائى، فينبغى أن يضع الوالى لهم مخصصات ورواتب شهرية كبيرة ليتنسى لهم العيش بشكل معقول وشريف ولا يفكروا بعد ذلك بقبول الرشوة. يقال إنّ فى بعض البلدان فى هذا العصر يصرون صكاً أيضاً ويسلموه للقضاة ليكتبوا فيه أى رقم يريدونه لتمرير المسألة لصالحهم. وهذا الكلام، سواء كان صحيحاً أو مبالغ فيه أو كان كاذباً يعكس لنا هذه الحقيقة، وهى أنّ القاضى يجب أن يكون له نصيب من بيت المال يتناسب مع حياته ومعيشته.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام بالنسبة لمسألة تأمين الحقوق المائيّة لضمان معيشة محترمة، سواء بالنسبة للقضاة أم بالنسبة لقادة الجيش كما تقدّم سابقاً، يبرز الإمام عليه السلام حساسية شديدة تجاه هذه المسألة، فصحيح أنّ جميع الموظفين والمسؤولين وحتى أفراد الجهاز القضائى وأفراد الجيش الإسلامى يجب أن تتوفر لهم معيشة كافية، ولكنّ تأكيد الإمام عليه السلام على هاتين الفئتين بالخصوص يشير إلى لزوم الاهتمام أكثر بأعمال هاتين الفئتين من أجل حفظ الحدود والثغور وكذلك من أجل حفظ حقوق الناس. ثمّ يتطرق الإمام عليه السلام للتوصية الثالثة ويقول:

«وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِئَامَنْ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ [٦٨٣] الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ».

وهذه النقطة مهمّة، وهى أنّ القاضى يجب أن يعيش الحرية الكاملة فى إنشاء الحكم العادل ولا ينبغى أن يخضع تحت أية ضغوط اجتماعية وفتوية، وهذا لا يتسنى إلّا إذا كان القاضى أقرب الناس إلى الوالى والقائد، لأنه لو كان هناك أفراد

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩٦

أقرب منه إلى الوالى، فسوف لا يشعر القاضى بالأمن من حكمه وقضائه، وربما يتوجه الخصم إلى حاشية السلطان ويسعى فى تشويه سمعة القاضى لديه فيضطر القاضى إلى إصدار حكمه وفقاً لما يريد الخصم، وبعبارة أخرى يجب أن يكون القضاة مصونين من كلّ جهة ليحفظوا لهم استقلالهم القضائى.

وبعد هذه التوصيات الثلاث يقول الإمام عليه السلام مؤكداً:

«فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا».

وكلمة

«ذلك»

ربما تشير إلى التوصية الأخيرة أو إلى التوصيات الثلاث بل حتى إلى الصفات الاثني عشر للقاضي، بمعنى ينبغي أن تنظر بدقته في اختيار القضاء وكذلك في التحقيق في أعمالهم ورفع حاجاتهم وضمان حريتهم في ممارسة دورهم القضائي.

وفي نهاية هذا المقطع من الكلام يتجه الإمام عليه السلام لذكر الدليل على كل هذه التأكيدات التي سبق ذكرها، ويقول: «فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا».

ومعلوم أن هذا الكلام يشير إلى زمان الخليفة الثالث عثمان حيث أمسك بعض الأفراد الفاسدين والمفسدين من بنى امية وبنى مروان زمام السلطة والقدرة ونهبوا أموال بيت المال ولم تكن مسألة حفظ الإسلام والرسالة الإلهية مطروحة في قاموسهم.

أمّا أن الفساد الإداري والمالي في زمن عثمان قد امتد بشكل واسع في تفاصيل وأبعاد الحكومة فلا يشك أحد من المؤرخين في ذلك، غاية الأمر أن بعض علماء أهل السنة ومن أجل حفظ مكانة عثمان قالوا: كان رجلاً ضعيفاً لم يتمكن من السيطرة على هذه الجماعة الشريرة وبالتالي فلت زمام الأمور من يديه وتولى رجال بنى امية الحكم، ومن هنا فهو معذور!! وأما الكلام في معقولية مثل هذا العذر، فهي مسألة أخرى.

وقد أشار الإمام عليه السلام في الخطبة الشقشقية إلى هذه المسألة حيث قال:

«وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ».

نقعات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٩٧

ملاحظة: قمنا بتقسيم عهد مالك الأشتر رحمه الله التاريخي إلى ثلاثين مقطعاً، تحدّثنا عن ١٥ مقطعاً منها في الجزء العاشر، وسيأتي الكلام عن ١٥ مقطع آخر في الجزء الحادي عشر، وذلك لحفظ التعادل في صفحات الكتاب.

ولا يسعني في هنا إلا أن نذكر صديقنا العزيز المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ محمد جعفر الإمامي الذي واكبنا إلى آخر لحظة ثم وافاه الأجل ولبي دعوة الحق وانتقل إلى رحمة الله الواسعة، وكذلك الصديق الوفي المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ إبراهيم البهادري حيث انتقل إلى رحمة قبل فترة وجيزة، وكان المرحومين من المخلصين والمتقين والمؤمنين وباحثين ومحققين جادين في عملهما وعالمين عاملين، فبقيت ذكرياتهم في خواطرنا ولا ننساهم إن شاء الله، ونسأل الله الغفور الرحيم أن يجعلهما في غريق رحمته الواسعة.

اللهم! لك الحمد ولك الشكر على هذه النعمة العظيمة أن وفقنا لإكمال هذا المشروع المبارك وإدامه شرح نهج البلاغة حتى أتممنا الجزء العاشر منه ببركة مولى الموحدين - عليه آلاف التحية والثناء - وقريباً سنقدم للقرّاء الأعضاء الجزء الحادي عشر منه، والذي به ينتهي قسم الكتب والرسائل في نهج البلاغة، وفي القريب العاجل سنقدم للطبع الأجزاء الخاصّة بشرح وتفسير الكلمات القصار للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبذلك يكتمل هذا الشرح الجامع في أربعة عشر جزءاً (

بحول الله وقوته وبمّنه وكرمه

.) نهاية الجزء العاشر

ربيع الأول ١٤٣١ هـ - ٢٠٠٩ م

[١] (١). سند الرسالة:

لم ينقل فى مصادر نهج البلاغة سند لهذه الرسالة سوى ما ذكره ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة فى مقدمة هذه الرسالة وصرح فى ختامها أن ما ذكر السيد الرضى فى نهج البلاغة يمثل مقطعاً من رسالة الإمام على عليه السلام التى ذكرها أبو الحسن على بن محمّد المدائنى بكاملها، وهذا يشير إلى وجود مصدر آخر غير نهج البلاغة لدى ابن أبى الحديد حيث نقل عنه عبارات أخرى لهذه الرسالة (على بن محمّد المدائنى من مؤرخى فى القرن الثالث الهجرى وتوفى فى سنة ٢٢٥، وقد ورد فى بعض العبارات أن الطبرى والبلاذرى نقلوا عنه فى كتبهم التاريخيّة، وقيل إن اسم الكتاب فتوحات الإسلام، طبقاً لنقل ربحانة الأدب ونقلًا عن دائرة المعارف دهخدا (بالفارسيّة)، مادة مدائنى).

[٢] (١). «أرديت» من مادة «إرداء» بمعنى إهلاك.

[٣] (٢). «جيل» الجماعة والصنف والنسل.

[٤] (٣). «جاوزوا» من مادة «جواز» وتعنى العبور والعدول.

[٥] (٤). «نكصوا» من مادة «نكوص»، بمعنى العودة والرجوع.

[٦] (٥). «عولوا» من مادة «تعويل» وهى الاعتماد والاتكال.

[٧] (٦). «أحساب» جمع «حسب» على وزن «نَسَب» تأتى أحياناً بمعنى الفضائل التى تنسب للأباء والأجداد ويفتخربها الإنسان، وأحياناً أخرى تعنى الصفات البارزة والملكات المشهودة للإنسان نفسه كالشجاعة والسخاء والعلم والمعرفة.

[٨] (١). «مؤازرة» من مادة «وزر» تعنى الحمل الثقيل، وإتما سمي الوزير وزيراً لأنه يحمل مسؤوليّة ثقيله على عهده، وموازرة تأتى أيضاً بمعنى المعاونة والمساعدة، لأن الإنسان عندما يعين الشخص الآخر فإنما يحمل قسماً من عمله ومسؤوليته على عهده.

[٩] (١). انظر: شرح نهج البلاغة، للعلامة التستري، ج ١٠، ص ٢٦٩.

[١٠] (٢). «جاذب» صيغة أمر، يعنى مأخوذ من مادة «جذب» بمعنى جر الشىء إلى نفسه.

[١١] (٣). «قياد» بمعنى زمام، وأصلها من «قيادة» وهى الزعامة وتولى أمور الآخرين.

[١٢] (١). سورة الأنعام، الآية ٢٨.

[١٣] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٣٦.

[١٤] (١). سند الرسالة: ورد فى مصادر نهج البلاغة أن ابن أبى الحديد وابن ميثم فى شرحهما لنهج البلاغة ذكرا فى شأن صدور هذه الرسالة: أن معاوية أرسل جماعة من أهل الشام بشكل خفى إلى مكة فى موسم الحج لدعوة الناس للإنضمام إليه واطاعته والتمرد على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو تقوية هذه الشبهة فى الأذهان أن الإمام على عليه السلام هو قاتل عثمان أو على الأقل لم يمد له العون والنصرة فى الموقع المناسب، وفى كلا الحالتين فإن على بن أبى طالب لا يصلح لمقام الإمامة والخلافة، وكذلك يتحدثون عن كرم معاوية وسخائه وما إلى ذلك، وعندما وصل هذا الخبر إلى الإمام على عليه السلام كتب هذه الرسالة إلى واليه على مكة قثم بن عباس وحذره من هذه المؤامرة.

ثم إن صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة يستنتج ممّا تقدم أن ابن أبى الحديد وابن ميثم كانا يملكان مصدرًا آخر غير نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣١٩)، ولكن لا يبعد أنهما أخذوا هذا الكلام من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى المتوفى سنة ٣١٤، حيث أورد هذا الكلام فيما يتصل بهذه الرسالة (الفتوح، ج ٤، ص ٢٢٠-٢٢٢).

واللافت وجود سند آخر لهذه الرسالة فى كتاب «الغارات» وهو كتاب الذى تم تأليفه فى القرن الثالث وقبل ولادة السيد الرضى بسنوات، وهو يختلف عمّا أورده السيد الرضى، ولكن أساس كلا الرسلتين واحد (الغارات، ج ٢، ص ٥٠٩).

- [١٥] (١). «عين» أصلها في اللغة العضو المبصر في الوجه، ولكن بما أن عناصر الاستخبارات في الحكومة بمثابة العين لرئيس الحكومة فاطلقت هذه الكلمة عليهم.
- [١٦] (١). «المغرب»: في هذه العبارة تعني الشام لأنها تقع شمال غرب العراق.
- [١٧] (٢). «المؤسِم» من مادة «وَسَمَ» على وزن «رسم» في الأصل تعنى جعل علامة، ثم اطلقت على محل الاجتماع أو زمان الاجتماع، لأن ذلك المحل أو الوقت علامة على ذلك التجمع، وتطلق هذه الكلمة ولا سيما في الفقه على أيام الحج.
- [١٨] (٣). «العمى»، جمع «أعمى» .
- [١٩] (٤). «الصم»، جمع «أصم».
- [٢٠] (٥). «الكُمه»، جمع «أكمه».
- [٢١] (٦). سورة الأعراف، الآية ١٧٩.
- [٢٢] (٧). «يلبسون» من مادة «لَبَسَ» على وزن «حَبَسَ» وهو التشويش وخلط الأمور، و«لَبَسَ» على وزن «حُمَسَ» تعنى اللباس والملبس.
- [٢٣] (١). «يَحْتَلِبُونَ» من مادة «حَلَبَ» على وزن «حَمَدَ» بمعنى اخراج اللبن من الضرع.
- [٢٤] (٢). «دَرَّ» بمعنى اللبن أو اللبن الكثير، وبمعناها المصدرى تعنى هطول المطر أو السوائل الأخرى
- [٢٥] (٣). سورة الزلزلة، الآيتان ٧ و ٨.
- [٢٦] (١). «الصَّليب» من مادة «صَلَبَ» على وزن «صَبَحَ» الشدَّة والصلابة فى كلِّ شيء، وإنما يقال للصليب «صليب» لأنه يستخدم فى صنعه أخشاب صلبة لتعليق المصلوب.
- [٢٧] (٢). «اللَّيب» هو صاحب العقل والفهم، وأصلها من «لُب» وتعنى الدماغ والمخ.
- [٢٨] (٣). «بَطَّرَ» هو الشخص الغارق فى النعمة، وأصلها من «بَطَّرَ» على وزن «نَظَرَ».
- [٢٩] (٤). «فَشِلَّ» وهو الشخص الكسول والضعيف وأصلها من «فشل» على وزن «نظر» يعنى الضعف والاستكانة أو الضعف المقترن بالخوف.
- [٣٠] (١). مكاتيب الأئمة، الاستيعاب، اسد الغابة، ولغة نامة دهخدا (بالفارسية).
- [٣١] (١). سند الرسالة: نقل هذه الرسالة قبل السيد الرضى أبو الحسن المدائنى، والظاهر أنه نقلها من كتاب فتوحات الإسلام، وإبراهيم بن الثقفى فى كتاب «الغارات»، والطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ٣٨، والبلاذرى فى شرح حال الإمام على عليه السلام فى كتابه «أنساب الأشراف» (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٢٢).
- [٣٢] (١). اقتبس من: مصادر نهج البلاغة وكتب أخرى.
- [٣٣] (١). «مَوْجِدَةٌ» بمعنى الغضب والاستياء.
- [٣٤] (٢). «تَسْرِيحٌ» ارسال الشخص لطلب شيء وأداء عمل معين، وتستعمل لكلِّ تحرير وإزالة القيود، ومن هنا يطلق على الطلاق بأنه تسريح لأنَّ الزوج يطلق ويسرح زوجته من قيود الزوجية.
- [٣٥] (٣). «عَمَلٌ» فى هذا المورد تعنى الولاية والامارة، ولذلك يقال للوالى أنه «عامل»، فى الرسالة السابقة قرأنا أنها رسالة من الإمام على عليه السلام إلى قثم بن العباس «عامله على مكة».
- [٣٦] (٤). «اسْتَيْطَاءٌ» ضد الاسراع، أى تأخر فى سيره، بطيء من مادة «بطء» على وزن «كُفِرَ».
- [٣٧] (١). انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٤٤.
- [٣٨] (٢). «نَاقِمٌ» المنكر والمعترض، وإذا كان اعتراضه على مستوى العمل والممارسة فتعنى الانتقام من مادة «نَقَمَ» على وزن «قلم».



[٣٩] (٣). «حَمَام» من مادة «حَمَم» على وزن «غَمَم» بمعنى الشيء المقدر، وبما أن الموت يعدّ تقديراً إلهياً على الإنسان فلذلك يطلق عليه الحمام.

[٤٠] (٤). «أولى من مادة» ولاية» وتعنى الشخص الذى يكلف بعمل معين أو يوضع فى اختياره شىء، وهنا جاءت بالمعنى الثانى، يعنى أن الله تعالى يضع رضاه وجنته التى تعتبر نتيجة رضا الله تعالى فى اختيار مالك الأشر.

[٤١] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٤٤.

[٤٢] (٢). «أضحِرَ» فعل أمر من مادة «اصحار» وتعنى الخروج والظهور فى الصحراء.

[٤٣] (٣). «شَمَّر» من مادة «تشمير»، وأصل شَمَّر على وزن «تمر» وتعنى الجمع وحسب المنتج والاستعداد لعمل معين.

[٤٤] (١). «يُنزَلُ» بصيغة فعل المضارع من باب «إفعال» وفاعلها الله تعالى، ولكن فى هذا المورد لا يتناسب هذا المعنى، ولذلك وردت هذه الجملة فى الكثير من نسخ نهج البلاغة بصيغة «نزل» وبصيغة الفعل الماضى بدون الإسناد الى الله، ولكن بعض الكتاب ذكرها بصيغة الفعل المضارع من الثلاثى المجزء، أى «ينزل» بفتح الياء لا من باب الإفعال بضم الياء.

[٤٥] (١). انظر: نفحات الولاية، ج ٣، ص ٧٦.

[٤٦] (١). سند الرسالة: من جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى، الطبرى فى تاريخه بتفاوت يسير فى حوادث سنة ٣٨، وكذلك إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتابه «الغارات» (نقلًا عن مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٢٦).

[٤٧] (١). «نَحْتَسِب» من مادة «احتساب» و«حسبه» بمعنى استلام الأجر، وعليه فإن «إحتساب» تأتى بمعنى طلب الأجر، رغم أن «إحتساب» فى الأصل تعنى كل عمل يعمله الإنسان بتيّة التقرب إلى الله تعالى ويجعله فى حسابه فى الآخرة، ومعناه بالملازمة طلب الأجر من الله تعالى (لمزيد من الاطلاع راجع كتاب مقياس اللغة ولسان العرب).

[٤٨] (١). «وَلَدًا» ذكر البعض أن ولدًا منصوب بوصفه عطف بيان، والبعض الآخر ذهب إلى أنه بدل من ضمير المفعول فى «نحسبه»، ولكن لا يمكن أن يكون مفعولاً ثانياً لنحسب، لأن معنى الجملة سيتبدل.

[٤٩] (٢). «كَادِح»، وهو الشخص الذى يبذل الكثير من الجهد والسعى، وأصلها من «كدح» على وزن «مدح» بمعنى السعى الحثيث والعمل الجاد.

[٥٠] (٣). وَاَمَّ مُحَمَّدٌ أَسْمَاءَ بِنْتِ عَمِيْسِ الْخَثْعَمِيَّةِ وَهِيَ اَخْتٌ مِيْمُونَةٌ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأُخْتُ لِبَابَةِ اَمِّ الْفَضْلِ وَعَبْدُ اللهِ زَوْجِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَكَانَتْ مِنَ الْمَهَاجِرَاتِ اِلَى اَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهِيَ اِذَاكَ تَحْتَ جَعْفَرِ بْنِ اَبِي طَالِبٍ فَوَلَدَتْ لَهُ هُنَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَبْدُ اللهِ، عَوْنًا، ثُمَّ هَاجَرَتْ الْمَدِيْنَةَ، فَلَمَّا قَتَلَ جَعْفَرٌ تَزَوَّجَهَا اَبُو بَكْرٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ اَبِي بَكْرٍ هَذَا، ثُمَّ مَاتَ اَبُو بَكْرٍ فَتَزَوَّجَهَا الْاِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَتْ لَهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ. (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٤٢).

[٥١] (٤). «حَثَّتْ» بمعنى التشويق والإثارة.

[٥٢] (٥). «الْوَقْعَةُ»، الحادثة، وأحياناً تأتى بمعنى وقوع الحرب والقتال، وهنا قصد منها المعنى الثانى.

[٥٣] (٦). «عَوْدًا» و«بِدَأًا» تعنى كما ورد فى بعض كتب اللغة أولًا وآخرًا، وفى بعضها بمعنى تكرار الشىء، وهنا يحتمل فيها كلا المعنيين.

[٥٤] (١). «الْمُعْتَل» تعنى المريض، وأحياناً تعنى الشخص الذى يعتذر لفعله ويأتى بمبررات لتسويغ فعله.

[٥٥] (٢). «حَاذِلٌ» وهو الشخص الذى يمتنع من مدد يد العون إلى الآخر وبالتالي يؤدّى إلى ذلّة ومهانة الطرف المقابل.

[٥٦] (١). تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٨١-٨٣.

[٥٧] (٢). سورة الأنفال، الآية ٦.

- [٥٨] (٣). سورة الأحزاب، الآية ١٣.
- [٥٩] (١). سورة التوبة، الآية ٨١.
- [٦٠] (٢). «تَوْطِين» تعني تهيئة الشيء، وأصلها من «وطن» على وزن «بطن» وتعني اختيار الوطن، وبما أن كل إنسان عندما يختار محلاً للسكن فإنما يهيب نفسه للحياة في ذلك المكان، فالتوطين يعني التهيؤ.
- [٦١] (١). خلف الأحمر من علماء القرن الثاني للهجرة وهو صاحب اليد الطولى في الشعر والأدب والتاريخ.
- [٦٢] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٤٥ و ١٤٦ (مع التلخيص).
- [٦٣] (١). سند الرسالة: جاء في مصادر نهج البلاغة أن هذه الرسالة نقلها قبل السيد الرضى، إبراهيم بن الثقفى في كتابه «الغارات»، وأبو الفرج الاصفهاني في كتاب «الأغانى» وابن قتيبة الدينورى في كتاب «الإمامة والسياسة». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٣٢). وتقدم شرح أكثر عن سند هذه الرسالة فيما يتصل بالخطبة ٢٩ للإمام على عليه السلام في الجزء الثاني من هذا الكتاب (نفحات الولاية، ج ٢، ص ١٣٥).
- [٦٤] (١). مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٢٩ و ٣٣٠.
- [٦٥] (١). «سَرَح» من مادة «تسريح»، وكما تقدم في شرح الرسالة ٣٤ أنها تعنى ارسال شخص لعمل معين، وتستعمل أيضاً بمعنى مطلق الارسال والتحرير.
- [٦٦] (٢). «كَثِيف»، يعنى الغليظ والكثير الملتف، وأصلها من «كثافه».
- [٦٧] (٣). «نَكَّص»، من مادة «نكص» على وزن «مكث»، والنكوص يعنى التراجع والعودة.
- [٦٨] (١). «جَرِيض» هو شخص المختنق من شدة الحزن أو الهيجان.
- [٦٩] (٢). «المُخَنَّق» هو محل الخنق، من مادة «خنق» على وزن «حرب» وهو الضغط على المختنق أو ضغط رقبة الشخص.
- [٧٠] (١). الغارات، ج ٢، ص ٤٣٩.
- [٧١] (٢). «تَزَكَاض» هو الركض الشديد، من مادة «ركض» على وزن «ضرب»، والتركاظ صيغة مبالغة للركض.
- [٧٢] (٣). تجوال، بمعنى كثرة الجولان والتراكض فى الميدان.
- [٧٣] (٤). الشقاق، بمعنى العداوة والمخالفة والانفصال.
- [٧٤] (٥). «الجماح» بمعنى التمرد، و«جموح» على وزن «قبول» وأصله بمعنى الحيوان المتمرد والمنفلت، ثم استعملت فى الإنسان المتمرد والحوادث التى ليست باختيار الإنسان وإرادته إطلاقاً.
- [٧٥] (١). مجمع الزوائد، الهيثمى، ج ٩، ص ١١٨؛ كتر العمال، ج ١٣، ص ١٧٦، ح ٣٦٥٢٣.
- [٧٦] (١). «المُحَلِّين» جاء فى صحاح اللغة أن «المحل» يقال للشخص الذى ينقض عهده وينكث بيعته ويخرج من إطاره.
- [٧٧] (١). سورة الزمر، الآية ٣٦.
- [٧٨] (٢). سورة المائدة، الآية ٤٤.
- [٧٩] (٣). «ضَيِّم» بمعنى الظلم والجور ويأتى مصدره على هذا الوزن أيضاً، ويعنى ايقاع الظلم على الآخر وقهره والتغلب عليه.
- [٨٠] (٤). «سَلِس» المطيع والمنقاد، وأحياناً تأتى بمعنى السهل واليسير.
- [٨١] (٥). «وَطِىء» صفة مشبهة بمعنى اللين والملائم.
- [٨٢] (١). «رَيْب» تأتى أحياناً بمعنى الشك وأخرى بمعنى الحوادث المشكلة والتحديات الصعبة.
- [٨٣] (٢). «صَلِيب» تعنى المحكم والشديد، وأصلها من «صلب».
- [٨٤] (٣). «كَآبَةٌ»، تعنى الحزن والغم والانكسار الناشئ منه.

[٨٥] (٤). «يَشَمَت» من مادة «شماة» وهي فرح العدو.

[٨٦] (٥). «عَاد» يعنى العدو، من مادة «عداوة».

[٨٧] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٥٢.

[٨٨] (٢). شرح نهج البلاغة، للعلامة التستري، ج ٧، ص ٥٠٢.

[٨٩] (١). سند الرسالة: لهذه الرسالة مطلع حذفه السيّد الرضى طبقاً لمنهجه في الانتقاء، وقد اقتصر على ذكر ذيل هذه الرسالة، وقد نقل المرحوم ابن ميثم وابن أبي الحديد صدر هذه الرسالة كما سنشير إلى ذلك لاحقاً، وهذا يشير إلى أنّهما عثرا على مدرّك ومصدر غير نهج البلاغة ذكر فيه صدر الرسالة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٣٢).

[٩٠] (١). تمام نهج لبلاغه، ص ٨٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٥٣.

[٩١] (١). «أَطْرَحَ» من مادة «طرح» يعنى إلقاءه بعيداً.

[٩٢] (١). سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

[٩٣] (٢). سورة آل عمران، الآية ٣٢.

[٩٤] (١). سورة يس، الآية ٦٠.

[٩٥] (٢). «الْحِجَاجُ» يعنى المجادلة للتغلب على الطرف المقابل.

[٩٦] (٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٥٤.

[٩٧] (١). فى ظلال نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٤٩.

[٩٨] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٥٤.

[٩٩] (٢). صفين، ص ٧٦.

[١٠٠] (١). سند الرسالة: نقل هذه الرسالة جماعة من المؤرخين والعلماء عاشوا قبل السيّد الرضى، فى كتبهم، منهم: الطبرى فى تاريخه المعروف فى حوادث سنة ٣٨ للهجرة، والشيخ المفيد فى كتابيه الاختصاص والأمالى، وابن الهلال الثقفى فى موردين من كتاب «الغارات»، وفى المورد الأوّل نقلها عن صعصعة بن سوحان وفى المورد الثانى عن المدائنى عن أحد غلمان مالك الأشتر، قال: عندما توفى مالك الأشتر (فى طريقه إلى مصر بسبب السم) رأوا رسالة مشدودة إلى رجليه وهذه الرسالة من الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أهالى مصر (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٣٦).

[١٠١] (١). «سَيْرَادِق» أصلها فارسىة بمعنى الخيم التى تتخذ لتشكيل المجالس المختلفة وأحياناً تنصب فى باحة الدار، وأخرى بشكل مستقل.

[١٠٢] (٢). «الظَّاعِن» هو المنتقل من محل لآخر، من مادة «ذعن» على وزن «طعن» وهو الانتقال.

[١٠٣] (١). انظر: سيرة ابن هشام، والاستيعاب، ابن عبد البر.

[١٠٤] (١). لمزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع راجع هذا الكتاب (نقحات الولاية الجزء الثانى استناد لما ورد فى تاريخ الطبرى).

[١٠٥] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٥٦.

[١٠٦] (٢). شرح نهج البلاغة، لابن ميثم وفى ظلال نهج البلاغة.

[١٠٧] (١). بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٩٤، ح ١٠.

[١٠٨] (٢). «لَا يَنْكُلُ» فى الأصل من مادة «نكول» ويعنى التراجع عن خوف، وأحياناً تطلق على كلّ تراجع من أداء عمل معين.

[١٠٩] (٣). «الرَّوْع» الخوف والوحشة، وأحياناً تأتى بمعنى التخويف والترهيب.

[١١٠] (٤). «مَدَحِج» قبيلة فى اليمن، ويعتبر مالك الأشتر من رؤساء تلك القبيلة ثم جاء إلى المدينة ومنها إلى الكوفة وأضحى من

جملة شيعه أمير المؤمنين عليه السلام الخاصين وأتباعه المخلصين.

[١١١] (١). شرح نهج البلاغه للعلامة التستري، ج ٧، ص ٦٠٤.

[١١٢] (٢). كنز العمال، ج ٥، ص ٧٩٢، ح ١٤٤٠١.

[١١٣] (٣). «كَلِيل» هو الضعيف والعاجز، من مادة «كَلَّ» على وزن «حَلَّ».

[١١٤] (٤). «الظُّبَةُ» حافه السيف والرمح والخنجر.

[١١٥] (٥). «نَابِي» هو السيف الكليل الذي لا يعمل، والكلمه في الأصل من «نوبه» على وزن «ضربه» وهو المكان المرتفع، وبما أن

السيف الكليل لا يدخل في الموضوع ويقف في أعلاه فليل عنه «نابي».

[١١٦] (٦). «الضَّرْبِيَّةُ» بمعنى المضروب والمحل الذي وجهت له ضربه.

[١١٧] (١). انظر: الكامل، لأبن الأثير، ج ٢، ص ٣٥٨؛ اسد الغابه، ج ٤، ص ٢٧٧ في ترجمه حياه مالك بن نويره.

[١١٨] (٢). «يُحْجِمُ» من ماده «احجام» و«حجم» على وزن «رجم» في الأصل بمعنى تكميم فم الحيوان، ثم اطلقت على كل منع وإعاقة

لعمل معين.

[١١٩] (٣). «شَكِيمَةٌ» هي اللجام الذي يوضع في فم الدابه ويمنعها من أن تتحرك بما يخالف إرادته صاحبها، وفي الجملة أعلاه إشارة

إلى أن مالك الأشتر يكبح جماح عدوكم ويمنعه من التحرك.

[١٢٠] (١). سند الرساله: من جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرساله في كتبهم قبل السيد الرضى، نصر بن مزاحم في كتاب صفين

مع تفاوت يسير، وطبعاً هذا الكلام ذكره ابن أبى الحديد، ولكن بعض المحققين الذين قرأوا كتاب نصر بن مزاحم قالوا: لا وجود

لهذه الرساله بهذه الصوره في نسخه كتاب نصر بن مزاحم الذى بين أيدينا راجع شرح نهج البلاغه، للعلامة التستري، ج ٧، ص ٥١٤،

والغدير، ج ٢، ص ١٣٠، ويضيف العلامة الأمينى فى الغدير أن ما بين أيدينا من كتاب نصر بن مزاحم يمثل مقطعاً خاصاً منه، وأصل

الكتاب أكثر بكثير مما بين أيدينا وقد حذف الكثير منه عند طبعه)، ومن جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرساله بعد السيد الرضى

فى كتابهم ابن الجوزى الحنفى فى كتاب «تذكرة الخواص» والطبرسى فى «الاحتجاج». (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٣٣٧).

[١٢١] (١). تمام نهج البلاغه، الرساله ٤٦، ص ٨٢٦.

[١٢٢] (١). «مَهْتُوكٌ سِتْرُهُ» هو الشخص الذى شقّه حجب الحياء لشده استهانتته ودنائه، وأصلها من «هتك» يعنى الشق والتمزيق.

[١٢٣] (٢). «يَشِين» من ماده «شين» على وزن «عين» بمعنى يقبح.

[١٢٤] (٣). «الْحَلِيم» تعنى فى مثل هذه الموارد العاقل، من ماده «حلم» على وزن «ربع» وتعنى العقل.

[١٢٥] (٤). «بِخْلَطَتِهِ» من ماده «خلطه» بمعنى المعاشرة والاختلاط.

[١٢٦] (١). أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٦٢ (مع التخليص).

[١٢٧] (١). «الضَّرْعَامُ»، يعنى الأسد.

[١٢٨] (٢). «مَخَالِب» من ماده «مخلب» على وزن «منبر» أظافر الحيوان المفترس.

[١٢٩] (٣). «فَرَيْسَةٌ»، الصيد، من ماده «فرس» على وزن «فقط» بمعنى القتل.

[١٣٠] (٤). تاريخ يعقوبى، ج ٢، ص ٢٢٢، وللمزيد من الاطلاع انظر شرح الخطبه ٨٤ من هذا الكتاب، ج ٣.

[١٣١] (١). شرح نهج البلاغه، لمحمد عبده، فى أول الرساله المذكوره.

[١٣٢] (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٦١.

[١٣٣] (١). سند الرساله: ذكر هذه الرساله العقد الفريد (ابن عبد ربه المتوفى، ٣٢٨ هـ) (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٣٥٥) والعجيب

أن الشارح المعروف ابن ميثم لم يذكر هذه الرساله فى شرحه لنهج البلاغه.

[١٣٤] (١). أنساب الأشراف البلاذري، ص ١٦٩؛ جواهر المطالب ابن الدمشقي، ج ٢، ص ٧٩.

[١٣٥] (١). «أخزيت» من مادة «خزى» على وزن «حزب» فى الأصل تعنى الإنكسار الروحى والخجل، الذى تصيب الإنسان إماً من ناحية ذاتية وبشكل حياء مفرد، أو من ناحية أخرى يفرض على الإنسان من خارجه وهذه المفردة تارة تأتي بمعنى السقوط فى البلاء، وأخرى الفضحية والخجل الناشئ منه.

[١٣٦] (١). سورة لقمان، الآية ١٦.

[١٣٧] (١). سند الرسالة: أورد ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦) مقاطع من هذه الرسالة فى كتاب عيون الأخبار، والبلاذري (المتوفى ٢٧٩) فى كتاب أنساب الأشراف، وابن عبد ربه (المتوفى ٣٢٨) فى العقد الفريد، وهؤلاء جميعاً عاشوا قبل السيد الرضى، ومن الأشخاص الذين جاءوا بعد السيد الرضى وذكروا هذه الرسالة فى كتبهم، أحمد بن محمد بن الميدانى فى مجمع الأمثال، وسبط بن الجوزى فى تذكرة الخواص.

يقول ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة: اتفق الرواة على أن هذه الرسالة من الإمام على عليه السلام وقد وردت فى أكثر الكتب التاريخية. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٤٤).

[١٣٨] (١). «شعار» يطلق على الملابس الداخلية التى تلتصق بشعر بدن الإنسان، ومن هذه الجهة تطلق هذه الكلمة على صاحب السرّ ومحرم الأسرار، فى مقابل «دثار» وتعنى اللباس الخارجى، ومفردة «شعار» لها معنى آخر وهو العلامة، وكذلك تطلق على الكلمات والعبارات التى تشير إلى أهداف القوم والجماعة، وقد وردت فى الرسالة أعلاه بالمعنى الأول.

[١٣٩] (١). «بطانة» وتعنى أيضاً الملابس الداخلية، فى مقابل «ظهارة» وتعنى اللباس الخارجية، وكذلك تطلق كلمة بطانة على أصحاب السرّ من الأصدقاء الموثوقين، ومراد الإمام عليه السلام من هذه المفردة المعنى الأخير.

[١٤٠] (٢). «موازرة» تعنى المعاونة من مادة «وزر» بمعنى الثقل، لأنّ الشخص الذى يساعد الآخر بأنّه يحمل ثقله على ظهره، ومن هذه الجهة اطلقت كلمة وزير على معاون الملك أو الزعيم.

[١٤١] (٣). «كَلِبٌ» فعل ماضى من مادة «كلب» على وزن «قلب» وفى الأصل تعنى الحصان بالمهميز. (المهميز شىء له نصل مدبب يوضع إلى قطب الحصان فيستفاد منه الراكب لحثّ الفرس على السرعة) وكَلِبٌ تعنى هنا الشدّة والصعوبة.

[١٤٢] (٤). «فَنَكْتُ» فعل ماضى من مادة «فَنَكْتُ» على وزن «قلب» وتعنى العدوان والتمرد واللجاجة.

[١٤٣] (٥). «شَعَرْتُ» فعل ماضى من مادة «شعر» على وزن «صبر» وتعنى عدم الملجأ ما يدافع به.

[١٤٤] (٦). «المَجِنُّ» تعنى الدرع من مادة «جن» على وزن «فن» وتعنى التغطية، لأنّ الدرع يغطى الإنسان من ضربات العدو.

[١٤٥] (١). «آسَيْتُ» من مادة «مُواساة» وتعنى المعاونة والمساعدة.

[١٤٦] (٢). «غَرَّةٌ» وتعنى الخدعة والإغفال.

[١٤٧] (١). «كَرَّةٌ» تعنى الهجوم.

[١٤٨] (٢). «الْوُئْبَةُ» من مادة «وئب» على وزن «وصف» تعنى الانتصار، ثمّ استعملت بمعنى الففز للامساك بشىء.

[١٤٩] (٣). «اِخْتِطَافٌ» تعنى أخذ الشىء بسرعة.

[١٥٠] (٤). «الأزَلُّ» من مادة «زَلَّ» تعنى الإنسان أو حيوان الذى يملك أفخاذاً ضعيفة، وبما أنّ مثل هذا الشخص باستطاعته الركض بسرعة فاطلقت هذه الكلمة بمعنى السريع وفى العدو.

[١٥١] (٥). «دَامِيَةٌ» تعنى المجروحة والتى يخرج منها الدم، من مادة «دم».

[١٥٢] (٦). «المِعْزَى» فصيلة من الغنم واليشاه.

[١٥٣] (٧). «الكسيرة» التى تكسر عظمها، وعندما تستعمل فى الأغنام وأمثالها تأتي بمعنى المكسورة اليد أو الرجل.

- [١٥٤] (٨). «رِحِب» بمعنى الواسع من مادة «رُحِب» على وزن «قفل» وتعنى السعة، ورحيب الصدر يقال للشخص الباردمزاج والذى يملك سعة الصدر وعدم المبالاة فى مواجهة المثيرات.
- [١٥٥] (٩). «مُتَأْتِمٌ» الشخص الذى يشعر بالذنب.
- [١٥٦] (١٠). «حَدَرَتْ» من مادة «حَدَر» على وزن «قدر» بمعنى الهبوط والنزول إلى الأسف، وبما أن النزول عادة يتم بسرعة، فاطلقت هذه الكلمة على السرعة أيضاً.
- [١٥٧] (١). «نِقَاشٌ» بمعنى الدقة والتصعب فى الحساب.
- [١٥٨] (٢). سورة الزلزلة، الآيتان ٧ و ٨.
- [١٥٩] (١). «تَسِيغٌ» من مادة «سَوغ» على وزن «قوم» بمعنى الهنيء وتطلق عادة على الأطعمة والأشربة، ولكنها تستعمل كناية فى أمور أخرى أيضاً.
- [١٦٠] (١). «أَفَاءٌ» من مادة «فَىء» بمعنى العودة، وكأن الأموال التى بيد الكفار ذات طابع غصبى، فعندما تغنمها المسلمون منهم فإنها تعود إلى أصحابها الأصليين.
- [١٦١] (٢). «أعذرُن» من مادة «إعذار» بمعنى إظهار الشخص لعدره.
- [١٦٢] (١). «هَوَادَةٌ» بمعنى اللبونة والصلح والعلاقة بالشخص، وهنا جاءت بمعنى الأول.
- [١٦٣] (٢). «أَزِيحٌ» من مادة «إِزَاحَةٌ» تعنى الإزالة.
- [١٦٤] (١). سورة الزخرف، الآية ٨١.
- [١٦٥] (٢). سورة النور، الآية ٢.
- [١٦٦] (٣). سورة النساء، الآية ١٣٥.
- [١٦٧] (٤). الكافى، ج ٢، ص ١٤٠، ح ٣. وردت روايات أخرى فى هذا الباب وفى هذا الموضوع.
- [١٦٨] (١). «ضَحَّحٌ» صيغة أمر من مادة «تَضَحَّحِيَةٌ» وفى الأصل تعنى رعى الأغنام عند طلوع الشمس، وجملة «فَضَحَّحَ رُوَيْدًا» تطلق على مورد يكون المقصود منه أن الأغنام تتحرك ببطء فى المرتع إلى أن تشبع تماماً، ثم استخدمت هذه الجملة فى الموارد التى يقصد منها الحفظ والهدوء.
- [١٦٩] (٢). «مَدَى» تعنى نهاية العمل والوصول إلى سنين المتقدمة.
- [١٧٠] (٣). «التُّرى» تعنى التراب.
- [١٧١] (٤). مفردة «لاتٌ» تعنى للنفى، وفى الأصل «لا» النافية، وضيفت لها تاء التأنيث للتأكيد، «مناص» من مادة «نوص» وتعنى الملجأ والملاذ، يقال: إن العرب عندما يواجهون حادثه صعبة وموحشة وخاصة فى الحروب يكررون هذه الكلمة ويقولون: مناص، مناص، يعنى أين الملجأ، أين الملجأ؟ وبما أن هذه المفهوم يقترب مع الهرب والفرار، فإنه يستخدم أحياناً محلّ الفرار والمهرب، ومن هذه الجهة فإن جملة «ولاتٌ حينٍ مناصٍ» تعنى: لا يوجد طريق للفرار والنجاه.
- [١٧٢] (٥). سورة ص، الآية ٣.
- [١٧٣] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٧٢.
- [١٧٤] (٢). شرح نهج البلاغة، لابن ميثم، ج ٥، ص ٩٠.
- [١٧٥] (١). انظر: شرح نهج البلاغة للعلامة التستري، ج ٨، ص ٨٩.
- [١٧٦] (٢). المصدر السابق، ص ٩٢، نقلًا عن تذكرة الخواص، ص ١٥٠.
- [١٧٧] (١). انظر: معجم رجال الحديث، ج ١٠، ص ٢٣٨، به نقل عن الطبرى.

- [١٧٨] (١). بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٥٢، ح ٢٠.
- [١٧٩] (١). سند الرسالة: جاء في كتاب مصادر نهج البلاغة: من الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى: ابن واضح اليعقوبى (المتوفى ٢٨٤) فى تاريخه المعروف، والبلاذرى (المتوفى ٢٧٩) فى كتابه أنساب الأشراف است. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٤٦).
- [١٨٠] (١). «تَثْرِيْب» من مادة «ثَرَب» على وزن «سرو» فى الأصل تعنى الجلد الذى يغطى المعدة والأمعاء، وعندما تأتى هذه المفردة من باب تفعيل (تثريب) تعنى إزاحة هذه الجلدة، ثم استخدمت بمعنى اللوم والتوبيخ والتقريع، وكأنَّ الإنسان بهذا العمل يكشف غطاء الذنب عن وجه الطرف المقابل.
- [١٨١] (٢). «ظَنِين» تعنى المتهم، من مادة «ظنة» أى التهمة، والفرق بينها وبين المتهم فى العبارة المذكورة ربّما يكون بأنَّ سوء الظن بالمتهّم أكثر وأشد من الظنين، وتستخدم فى موارد توجد فيها قرائن على إتهام الشخص.
- [١٨٢] (٣). «مَأْتُوم» تعنى الشخص الذى ذكرت له ذنوب، ولكن «آثم» تعنى الشخص المذنب وكليهما من مادة «إثم» على وزن «اسم» ويعنى الذنب.
- [١٨٣] (١). «اسْتَظْهَر» من مادة «استظهار» ويعنى طلب المعونة من الشخص الآخر والإطمئنان لمساعدته.
- [١٨٤] (١). الإستيعاب، ح ١٨٨٢، فى شرح حال عمر بن أبى سلمة.
- [١٨٥] (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٧٣.
- [١٨٦] (٣). عيون الأخبار، ج ١، ص ٣٨، ح ٨.
- [١٨٧] (١). انظر: مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٤٥ و ٣٤٦.
- [١٨٨] (١). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة قبل السيد الرضى، البلاذرى فى كتابه أنساب الأشراف، وكذلك وردت فى تاريخ اليعقوبى (ابن واضح) مع تفاوت يسير، وجاء فى الخطبة ٤٤ الجزء الأول من هذا الكتاب موارد أخرى من سيرة مصقلة وحياته.
- [١٨٩] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ٣، ص ١٢٧.
- [١٩٠] (١). «أَعْتَام» من مادة «إعتيام» ومن مادة «عيم» على وزن «عيب» فى الأصل تعنى العطش والرغبة بتناول اللبن، وبما أن الإنسان عندما يشعر بميل شديد نحو شىء فإنه يسعى إلى اختيار أفضل أنواعه، وكلمة «عيمه» (بكسر الميم) تعنى كل شىء جيد ومختار من الشىء، وعليه فإنَّ جملة «اعتامك» تعنى أنهم اختاروك.
- [١٩١] (١). «النَّسَمَة» فى الأصل بمعنى التنفس ويقال لهبوب الريح الملائمة «نسيم» وأحياناً تطلق على نفس الإنسان أو روحه.
- [١٩٢] (٢). «مَحَق» تعنى المحو والهلاك.
- [١٩٣] (١). سورة الكهف، الآيتان ١٠٣ و ١٠٤.
- [١٩٤] (١). تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٢٠١.
- [١٩٥] (٢). فتوح البلدان للبلاذرى، ج ٢، ص ٤١١.
- [١٩٦] (١). سند الرسالة: أورد هذه الرسالة قبل السيد الرضى، المدنى (فى كتاب فتوح الإسلام)، والجدير بالذكر أن الرواية التى ينقلها المدائنى تختلف الرواية التى نقلها السيد الرضى نهج البلاغة، ويشير إلى أن السيد الرضى لم يأخذ هذه الرواية بل من مصدر آخر، ونقلها بعد السيد الرضى، ابن الأثير فى كتابه الكامل فى حوادث سنة ٤٤، وفى أسد الغابة، وابن عبد البرّ فى الاستيعاب فى شرح حال زياد. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٥٢).
- [١٩٧] (١). «يَسْتَرِلُّ» من مادة «زَلل» على وزن «قمر» بمعنى الخطأ، و«يستزل» يعنى أنه يريد أن يوقع الآخر فى الخطأ.
- [١٩٨] (٢). «لُبُّ» فى الأصل بمعنى المخ فى كل شىء، ويقال للعقل «لُبُّ».



[١٩٩] (١). «يَسْتَفِيلُ» من مادة «فَلَّل» على وزن «قمر» بمعنى كسر الشيء أو التقليل من حدة السكين.

[٢٠٠] (٢). «عَرَبَ» بمعنى النشاط، وكذلك التصميم.

[٢٠١] (٣). «لِيَقْتَحِمَ» من مادة «اقتحام» بمعنى إدخال الشيء بالقوة في شيء آخر.

[٢٠٢] (٤). «يَسْتَلِبُ» من مادة «استلاب» بمعنى النهب والغارة والسرقة، وأصلها من «سلب».

[٢٠٣] (٥). «عَزَّ» بمعنى الغفلة والتساهل.

[٢٠٤] (١). سورة طه، الآية ٨٢.

[٢٠٥] (٢). سورة هود، الآية ٦.

[٢٠٦] (٣). سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

[٢٠٧] (٤). سورة سبأ، الآية ٥٤.

[٢٠٨] (٥). بهج الصباغة، ج ١٤، ص ٣٧٢.

[٢٠٩] (٦). مجمع البيان، ذيل الآية ١٧ من سورة الأعراف.

[٢١٠] (١). «فَلْتَهُ» من مادة «فَلت» على وزن «ثبت» في الأصل بمعنى فقدان الشيء، ولذلك تطلق هذه الكلمة على الكلام الذي يصدر

من الإنسان بدون دقة ويفلت من فمه وتقال: «فلته»، وكذلك تطلق على الحوادث الفجائية وبدون تأمل.

[٢١١] (٢). «نَزَعَهُ» من مادة «نزع» على وزن «نظم» بمعنى الدخول في عمل بقصد الإفساد وإيجاد النزاع بين الناس، و«نزعات شيطان»

تقال للوساوس الشيطانية التي توقع النزاع بين الأفراد.

[٢١٢] (٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٨٠.

[٢١٣] (١). «مُدْفَعٌ» من مادة «دفع»، تعنى الشخص الذي يمنع من عمل معين.

[٢١٤] (١). بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٣.

[٢١٥] (١). سورة الأحزاب، الآية ٤.

[٢١٦] (١). شرح نهج البلاغة عبده، ذيل الرسالة ٤٤، ص ٤٥٨.

[٢١٧] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٨٧.

[٢١٨] (١). سورة النمل، الآية ٣٧.

[٢١٩] (١). ما ورد أعلاه مقتبس من كتاب الاستيعاب، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وتنقيح المقال، للعلامة المامقاني وشرح

نهج البلاغة، للعلامة التستري، فراجع.

[٢٢٠] (١). سند الرسالة: صرح صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة بأن الصدوق ذكر قسماً من هذه الرسالة في كتاب الأمالي قبل

السيد الرضى، والجدير بالذكر أن السيد الرضى في شرحه لهذه الرسالة يقول في عدة موارد وفي رواية أخرى ورد كذا وكذا، وهذا

يشير إلى وجود مصدر آخر عنده نقل منه هذه العبارة المتفاوتة، بل إنه في أحد الموارد يقول: إن جماعة نقلوا هذه العبارة بكذا

وكذا، والتعبير بالجماعة جدير بالتأمل، مضافاً إلى ذلك فإن مقاطع من هذه الرسالة وردت في كتب متعددة بعد السيد الرضى

كخارج للقطب الراوندى، وروضه الواعظين للفتال النيسابورى، والمناقب لابن شهر آشوب، وبيع الأبرار للزمخشري مع اختلاف

يسير، هذا الاختلاف يشير إلى مصادر أخرى لديهم (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٧٣).

وقد أورد هذه الرسالة «البري» (المتوفى قرن ٧) في كتاب الجوهرة في نسب الإمام على، ص ٨١، مع بعض الإضافات.

[٢٢١] (١). جملة «تستطاب لك» بمعنى أنه يطلق لك جلب الأنواع الجيدة واللذيذة من الأطعمة، وهي من مادة «طيب» بمعنى الطاهر

واللذيذ والجيد.

[٢٢٢] (١) «عائل» بمعنى من له عيال محتاجين إليه.

[٢٢٣] (٢) «مجفوّ» بمعنى المحروم والشخص الذى لم يعطى حقه.

[٢٢٤] (٣) «تقضمه» من مادة «قضم» على وزن «فهم» بمعنى مغض الطعام فى الفم، وأحياناً تأتي بمعنى الأكل، و«مقضم» يطلق على الطعام فى الفم.

[٢٢٥] (٤) «فالظه» من مادة «لفظ» بمعنى اخراج الطعام من الفم، ويقال للألفاظ لأنها تخرج من الفم.

[٢٢٦] (١) الأعلام الزركلى، ج ٤، ص ٢٠٥.

[٢٢٧] (١) الاستيعاب، ج ٣، ص ٨٩.

[٢٢٨] (٢) مستدركات علم رجال الحديث، ج ٥، ص ٢١٣.

[٢٢٩] (٣) اسدالغابة، ج ٣، شرح حال عثمان بن حنيف، رقم ٣٥٧١. وقد ورد ما يشبه هذا المعنى فى مسند أحمد، ج ٤، ص ١٣٨؛ ومستدرک الحاكم، ج ١، ص ٥١٩. ويقول الحاكم بعد نقل هذا الحديث: إن هذا الحديث صحيح السند رغم أن البخارى ومسلم لم ينقلاه، ليت المخالفين الجاهلين يتمسكون لا أقل بمبانيهم الروائية ليعلموا مدى وقوعهم فى الاشتباه.

[٢٣٠] (٤) رجال المامقانى، شرح حال عثمان بن حنيف.

[٢٣١] (١) «طمر» تعنى الثوب الخلق والقديم، وفى الأصل من مادة «طمر» على وزن «أمر» ويعنى تغطية الشىء، وأما استخدام الإمام عليه السلام لهذه الكلمة بصيغة التثنية فمن أجل أن أحدهما يشير إلى الثوب والآخر إلى اللباس الداخلى.

[٢٣٢] (١) «قرص» فى الأصل بمعنى الشىء المدور، ولذلك يطلق على الشمس والقمر والخيز المدور فيقال قرص الخبز أو قرص الشمس، والتثنية فى عبارة الإمام عليه السلام إشارة إلى طعام يوم واحد، لأن كثير من الناس فى ذلك الزمان يتناولون الطعام فى اليوم والليله مرتين.

[٢٣٣] (٢) فى ظلال نهج البلاغه، ج ٤، ص ١٦.

[٢٣٤] (١) «تبر» قطعات الذهب والفضة قبل أن تصنع منها الزينة أو تكون مسكوكه.

[٢٣٥] (٢) «وفر» يقول أرباب اللغة أنها تعنى المال الكثير من مادة «وفور» بمعنى الزيادة والكثرة، وأحياناً تطلق على كل شىء الكثير.

[٢٣٦] (١) «عفصه» تارة تطلق على شجرة البلوط، وأخرى على ثمرتها، وهذه المادة يترشح منها سائل أبيض ومضافاً إلى مرارته فإنه قابض.

[٢٣٧] (٢) «مقر» تارة تأتي بمعنى المر، وأخرى بمعنى الحامض، وفى هذا المورد جاءت بمعنى الأول، وهى تأكيد على مفهوم «عفصه».

[٢٣٨] (١) «شحت» من مادة «شح» على وزن «نه» بمعنى البخل المصاحب للحرص.

[٢٣٩] (٢) «سخت» الجود والسخاء.

[٢٤٠] (١) «مظان» جمع «مظنة» بمعنى المكان الذى يضم أو يطمئن الإنسان بوجود الشىء يطلبه فيه.

[٢٤١] (٢) «جدث» بمعنى القبر.

[٢٤٢] (٣) «اضغط» من مادة «اضغات» بمعنى العصر من مادة «ضغت» على وزن «وقت» بمعنى استخدام القوة فى الشىء والضغط عليه.

[٢٤٣] (٤) «المدر» يقال للطين الصلب الملتصق ببعضه مثل قطعة الآجر.

[٢٤٤] (١) شرح نهج البلاغه، للعلامة التستري، ج ٥، ص ٣٤٠.

[٢٤٥] (٢) «المزلق» بمعنى زلق من مادة «زلق» على وزن «شفق» بمعنى الترحلق.

[٢٤٦] (١) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

- [٢٤٧] (٢). سورة مريم، الآيتان ٧١ و ٧٢.
- [٢٤٨] (٣). «القمح» بمعنى الحنطة.
- [٢٤٩] (٤). «نسائج» جمع النسيج بمعنى المنسوج.
- [٢٥٠] (١). «القرز» بمعنى الحرير.
- [٢٥١] (٢). «جشع» بمعنى الحرص والطمع، وتأتي أحياناً بمعنى الحرص الشديد.
- [٢٥٢] (٣). «مبطان» هو الشخص الذى إمتلأت بطنه من الطعام، من مادة «بطن» وهذه المفردة صيغة مبالغة.
- [٢٥٣] (٤). «غرثى» تعنى الجوعان (وصيغة المفرد المؤنثة وجاء صفة للبطون).
- [٢٥٤] (٥). «حرى» بمعنى العطشان من مادة «حرارة».
- [٢٥٥] (٦). «بطنه» كثرة الأكل (من مادة «بطن»).
- [٢٥٦] (٧). «تحنّ» من مادة «حنين» بمعنى التمايل والاستعطاف للإلفات النظر.
- [٢٥٧] (٨). «قدّ» تعنى الجلد أو ما يشبه القربة التى التوضع فيها السوائل، وتطلق أحياناً على قطع اللحم الجاف التى توضع فى القربة، ويقال عنها «قدّ»، وهذا الشعر لحاتم الطائي صاحب الكرم المعروف لدى العرب (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ٢٨٨).
- [٢٥٨] (١). إرشاد القلوب، للديلمى، ص ٢٢. (شعر أبى العتاهية).
- [٢٥٩] (٢). «جشوبة» بمعنى الخشونة والعنف.
- [٢٦٠] (١). تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ١٥٤.
- [٢٦١] (٢). أوردت هذه الآية فى سورة الأسراء الآية ٢٦، وهى مدنية كما صرح بذلك علماء أهل السنة، رغم أن الآية «فَاتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» (سورة الروم، الآية ٣٨) مكية كما ذهب إليه البعض، وذهب الآخرون بدون الالتفات إلى التفاوت بين الآيتين إلى مكية الآية الثانية ليتخذوها ذريعة فى نفى حادثة فذك.
- [٢٦٢] (٣). شواهد التنزيل، ص ١٦٨.
- [٢٦٣] (٤). تفسير فتح القدير، ج ٣، ص ٢٢٤.
- [٢٦٤] (٥). تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص ١٩٩.
- [٢٦٥] (١). بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ١٢٩.
- [٢٦٦] (٢). الاحتجاج، للطبرسى، ج ١، ص ٩٢.
- [٢٦٧] (٣). بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ١٩٤.
- [٢٦٨] (٤). سنن الدارمى، ج ١، ص ٩٨؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٨١ ح ٢٢٣؛ الكافى، ج ١، ص ٣٢، ح ٢.
- [٢٦٩] (١). صحيح البخارى، ج ٣، ص ٣٥ باب غزوة خيبر.
- [٢٧٠] (٢). المصدر السابق، ج ٤، ص ٢١٠؛ بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٣٣٦.
- [٢٧١] (٣). مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٥٣؛ المعجم الكبير، للطبرانى، ج ٢٢، ص ٤٠١.
- [٢٧٢] (١). فتوح البلدان للبلاذرى، ص ٣٨.
- [٢٧٣] (٢). زهرا برترين بانوى جهان (الزهراء سيده نساء العالمين).
- [٢٧٤] (٣). فذك، ص ٦٠.
- [٢٧٥] (٤). ولمزيد من الإطلاع انظر حول فذك: صحيح البخارى؛ مستدرك الحاكم، تاريخ الطبرى، سنن ابن ماجه وكتاب فذك،

تأليف باقر المقدسى؛ وكتاب فذك فى التاريخ تأليف آية الله الشهيد السيد باقر الصدر؛ وكتاب بحار الأنوار، ج ٢٩.

[٢٧٦] (١). «المربوطة» تعنى فى هذا المورد الحيوان الذى يربط لغرض زيادة سممه ولحمه.

[٢٧٧] (٢). «تقمم» بمعنى أخذ جميع ما يحتاج للسفر من طعام ومتاع، وفى الأصل من مادة «قم» على وزن «غم» وتعنى تنظيف الدار وتعديلها، وكذلك تطلق على قطف الرياحين والنباتات بشكل كامل بواسطة شفاه الحيوان.

[٢٧٨] (٣). «تكثرش» من مادة «كرش» على وزن «كرج» وتعنى معدة الحيوانات، وعليه فإن «إكتراش» تعنى امتلاء المعدة.

[٢٧٩] (١). «سدى» بمعنى الباطل وعدم الفائدة.

[٢٨٠] (٢). «اعتسف» من مادة «اعتساف» بمعنى أداء العمل بدون فكر وهداية وإرادة، وتعنى الانحراف عن الجادة أيضاً.

[٢٨١] (٣). «المتاهة» اسم مكان من مادة «تبه» بمعنى الحيرة والضلالة.

[٢٨٢] (١). سورة القيامة، الآيات ٣٦-٣٩.

[٢٨٣] (٢). سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

[٢٨٤] (٣). «منازلة» بمعنى المقاتلة والحرب، من مادة «نزول» فالشخص المقاتل ينزل إلى الميدان فى مقابل خصمه ويقاتله.

[٢٨٥] (٤). «الروائع» جمع «رائع» وهنا جاءت معنى الشجرة المزدهرة، من مادة «رتع» على وزن «نفع» بمعنى الأكل من المرتع.

[٢٨٦] (١). «العذية» تطلق على الأرض البعيدة عن الماء، ولا يرويه إلّاء المطر.

[٢٨٧] (٢). «وقود» بمعنى الحطب.

[٢٨٨] (٣). «خمود» أى انطفاء النار ثم اطلقت على كل شىء يهدأ ويسكن من نشاطه وفعاليته.

[٢٨٩] (١). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٩ من الكلمات الغريبة للإمام عليه السلام.

[٢٩٠] (٢). كفاية الطالب، ص ٣١٥ وما بعده طبقاً لنقل شرح نهج البلاغة، للعلامة التستري، ج ٧، ص ٤٦٨ و ٤٦٩.

[٢٩١] (٣). تذكرة الخواص، ص ٣٧.

[٢٩٢] (٤). مسند أحمد، ج ١، ص ١٥١.

[٢٩٣] (١). بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٢٥٩؛ تاريخ يعقوبى، ج ٢، ص ٥٦.

[٢٩٤] (٢). «المركوس» أى المنقلب، من مادة «ركس» على وزن «عكس» أى انقلاب الشىء ظهر على عقب، أو وضع الشىء برأسه على الأرض.

[٢٩٥] (٣). «المدره» قطعة الطين الجاف.

[٢٩٦] (٤). «الحصيد» بمعنى النبات المحصود من مادة الحصاد.

[٢٩٧] (١). سورة التوبة، الآية ٧٣.

[٢٩٨] (٢). سورة آل عمران، الآية ١٥٩. ويقول الفخر الرازى فى تفسيره لسورة الحمد، ج ١، ص ٢٣٥: «لقد اشتهر أن النبى صلى الله عليه وآله لما كسرت ربايته قال: «اللهم إهد قومى فإنهم لا يعلمون».

[٢٩٩] (١). «إليك عنى» جملة تتشكل كل واحد منهما ظاهراً من جار ومجرور، فى حين أن «إليك» اسم فعل بمعنى «أبعد». ويحتمل أن تكون جملة لفعل مقدر وهو «أرجع» و«أبعد»، يعنى «أرجع إليك وأبعد عنى».

[٣٠٠] (٢). «غارب» بمعنى المحل الذى يقع على ظهر ورقبة الناقة، ويأتى بمعنى الرقبة وآخر نقطة من الظهر.

[٣٠١] (٣). «انسللت» من مادة «سل» على وزن «حل» بمعنى سحب واخراجه بهدوء.

[٣٠٢] (٤). «مخالب» جمع «مخلب» على وزن «منبر» تطلق على أظافر الطيور والوحوش.

[٣٠٣] (٥). «أفلت» من مادة «فلت» على وزن «برف» بمعنى الخلاص والتحرر.

[٣٠٤] (٦). «جباثل» جمع «جباله» بمعنى المصيده والشرك.

[٣٠٥] (٧). «مداحض» جمع «مدحض» على وزن «مركز» بمعنى منزلق.

[٣٠٦] (١). «مداعب» جمع «مدعبة» على وزن «مكتبة» بمعنى المزاح والمداعبة.

[٣٠٧] (٢). «رهائن» جمع «رهينة».

[٣٠٨] (٣). «مضامين» جمع «مضمون» في الأصل تعني الجنين في باطن امه، ثم اطلقت على كل شيء في مطاوى شيء آخر.

[٣٠٩] (٤). «اللحود» جمع «لحد» على وزن «مهد» ويعني الشق الذي يقع في أسفل القبر ويوضع الميت فيه.

[٣١٠] (٥). الأنوار البهية، ص ٢٤٤.

[٣١١] (١). شرح نهج البلاغة للعلامة التستري، ج ٦، ص ٣٩٠؛ بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٧٥.

[٣١٢] (٢). «المهاوى» جمع «مَهوى» و«مَهواة» يعنى الوادى ويطلق على كل مكان خطر يتعرض فيه الإنسان للهلكة.

[٣١٣] (٣). «ورد» تعنى فى الأصل الوصول إلى حافة النهر، ثم اطلقت على كل وصول أو دخول.

[٣١٤] (٤). «صدر» ضد «ورد» يعنى الخروج من الشاطيء ثم اطلقت على كل أنواع من الخروج.

[٣١٥] (١). سورة يوسف، الآية ١١١.

[٣١٦] (٢). سورة الدخان، الآيات ٢٥-٢٩.

[٣١٧] (٣). «دحض» يعنى منزلق.

[٣١٨] (٤). «زلق» من مادة «زلق» على وزن «دلق» بمعنى التزحلق.

[٣١٩] (٥). «لجج» جمع «لجج» على وزن «حجج» بمعنى القسم العظيم المتلاطم من البحر.

[٣٢٠] (٦). «ازور» من مادة «ازورار» بمعنى الجنوح والانحراف من شيء، وهو من مادة «الزيارة».

[٣٢١] (٧). «مناخ» فى الأصل بمعنى المحل الذى يرك فيه الإبل، ثم اطلقت على كل محل للإستقرار.

[٣٢٢] (١). الكافي، ج ٢، ص ٤٥٩، ح ٢١.

[٣٢٣] (٢). «اعزبى» أى ابتعدى عنى من مادة «عزوب» على وزن «غروب» بمعنى الابتعاد عن الشيء، ويطلق على من لم يتزوج أعزب

لأنه بعيد عن الحياة العائلية.

[٣٢٤] (٣). «أسلس» من مادة «سلاسة» بمعنى المطيع وتأتى أحياناً بمعنى السهل والميسور.

[٣٢٥] (١). سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

[٣٢٦] (١). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٦٣.

[٣٢٧] (١). «أيم الله» بمعنى «اقسم بالله»، وقيل إنها فى الأصل من «أيمن» جمع يمين بمعنى القسم، وألفه ألف وصل، وتقرأ أحياناً

بالتفتح وأخرى الكسر، ثم حذف النون منها وصارت «أيم الله»، وأحياناً تحذف الياء أيضاً ويقال: «أم الله» وعلى أية حال نظراً لأن هذه

العبارة جمع، فإنها تدل على القسم المؤكد.

[٣٢٨] (٢). «رياضة» فى الأصل بمعنى ترويض وتطويع النفس أو البدن وتربيته، ومن هذه الجهة يقال للرياضات الجسمائية والنفسائية

بأشكالها المختلفة «رياضة» ويقال للستان روضة من جهة أن الإنسان يهتم بتنظيمها وتربيتها وفق برنامج مدروس لتكون مزدهرة

وخضراء.

[٣٢٩] (٣). «تهش» من مادة «هشاشة» على وزن «حوالة» بمعنى الفرح التيسم.

[٣٣٠] (٤). «مأدوماً» من مادة «إدام» بمعنى المرق (الشيء الذى يأكل مع الخبز) وعليه فإن «مأدوم» الشيء الذى يؤكل على شكل

مغمس بالمرق.

- [٣٣١] (١). «مقلّة» يطلق على كرة العين بأجمعها، وأحياناً يراد منها سواد العين فقط.
- [٣٣٢] (٢). «نضب» من مادة «نضوب» فى الأصل بمعنى ذهاب الماء فى الأرض وجفاف البئر أو الغدير، وهذه المفردة تستعمل أحياناً فى مورد العين أيضاً عندما يجف دمعاها.
- [٣٣٣] (٣). «معين» من مادة «معن» على وزن «طعن» بمعنى جريات الماء و«ماء معين» يراد منها الماء الجارى، ثم استخدمت فى جريان الدموع من العيون.
- [٣٣٤] (٤). سورة الكهف، الآيتان ٢٣ و ٢٤.
- [٣٣٥] (١). «السائمة» الحيوان الذى يترك ليرعى فى الصحراء، من مادة «سوم» على وزن «قوم».
- [٣٣٦] (٢). «رعيها» تعنى العلف الذى يأكله الحيوان أثنى الرعى، من مادة «رعى» على وزن «وحى».
- [٣٣٧] (٣). «تبرك» من مادة «بروك» بمعنى الاستقرار والهدوء على الأرض.
- [٣٣٨] (٤). «الربيض» قطع الغنم وأمثال ذلك عندما يعود مع الراعى إلى محل استقراره أى الحضيرة. من مادة «ربض» و«ربوض» على وزن «قبض» و«قبوض» أى جمع الحيوان ليده ورجله للجلوس على الأرض.
- [٣٣٩] (٥). «عشب» النباتات الرطبة فى مقابل الحشيش وهو النباتات الجافة.
- [٣٤٠] (٦). «يهجع» من مادة «هجع» على وزن «ركوع» بمعنى النوم الخفيف.
- [٣٤١] (٧). «الهاملة» الحيوان المتروك من مادة «همل» على وزن «حمل» بمعنى ترك الحيوان بدون راعى.
- [٣٤٢] (٨). «المرعية» اسم مفعول من مادة «رعى» على وزن «سعى» وهو الحيوان الذى يساق للمرعى.
- [٣٤٣] (٩). مجانى الأدب، ج ٢، ص ٣٧.
- [٣٤٤] (١). غرر الحكم، ح ٤٨٠٩.
- [٣٤٥] (٢). المصدر السابق، ح ٤٧٩١.
- [٣٤٦] (٣). كثر العمال، ح ٤٤١٧٦.
- [٣٤٧] (٤). ميزان الحكمة، ح ٧٥٤١.
- [٣٤٨] (٥). تذكرة الأولياء، ج ١، ص ٢٣٥.
- [٣٤٩] (١). «تاريخ تصوف» للدكتور الغنى، ص ٣٦١، بالفارسية.
- [٣٥٠] (٢). تذكرة الأولياء، ج ٢، ص ١٦٤.
- [٣٥١] (١). سورة المؤمنون، الآية ٥١.
- [٣٥٢] (١). «طوبى» مؤنث «أطيب» ولها معنى واسع وتشمل أظهر وأفضل الخيرات والطيبات، وفى مثل هذه الموارد تشبه الدعاء للآخرين.
- [٣٥٣] (٢). «عركت» من مادة «عرك» على وزن «أرك» فى الأصل تعنى التمغ ثم اطلقت على كل ما يؤثر على كل شىء وينتهى لفنائه وزواله.
- [٣٥٤] (٣). «بؤس» يعنى كل أشكال الانزعاج والمساءة وهى فى مقابل النعمة والراحة.
- [٣٥٥] (٤). «غمض» من مادة «غموض» بمعنى غص النظر عن الشىء وعدم رؤيته، ثم اطلقت على حالة النوم، لأنّ الإنسان يغمض عينه فيه، وفى الجملة أعلاه قصد بها هذا المعنى.
- [٣٥٦] (٥). «كرى» يعنى النوم.
- [٣٥٧] (١). «توسد» من مادة «وساد» بمعنى المتكأ والمخدة.

- [٣٥٨] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٨٤، ح ٧.
- [٣٥٩] (٣). من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٥٨، ح ٥٧٦٢.
- [٣٦٠] (١). «أسهر» من مادة «سهر» على وزن «سفر» بمعنى اليقظة.
- [٣٦١] (٢). «تجافت» من مادة «تجافى» بمعنى التحنى والابتعاد ومادته الأصلية «جفاء» بمعنى أبعاد الشيء.
- [٣٦٢] (٣). «مضاجع» جمع «مضجع» بمعنى محل النوم.
- [٣٦٣] (٤). «همهت» من مادة «همهه» بمعنى الكلام بصورة همس.
- [٣٦٤] (٥). «تقشعت» من مادة «تقشع» على وزن «توقع» ويعنى التلف والتفرق من مادة «قشع» على وزن «مشق» بمعنى الرفع والدفع.
- [٣٦٥] (٦). سورة السجدة، الآية ١٦.
- [٣٦٦] (٧). سورة الذاريات، الآيتان ١٧ و ١٨.
- [٣٦٧] (٨). سورة المجادلة، الآية ٢٢.
- [٣٦٨] (٩). «ولتكفف» من مادة «كف» بمعنى المنع، ولكن فى الكثير من نسخ نهج البلاغة وشروحها وردت «وَلْتَكْفِكَ» من مادة «كفايه» يعنى أن أقراص الخبز كافية لك فلا تقصد الموائد الفاخرة والأطعمة الملوثة.
- [٣٦٩] (١). مروج الذهب، ج ٣، ٣١٠.
- [٣٧٠] (١). ورد هذا الكلام عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى سنن الترمذى، ص ٢٤٤٣. وكذلك ورد هذا الحديث فى وسائل الشيعة ج ١١، ص ٣١٥، ح ١٣ باب استحباب الزهد فى الدنيا وحد الزهد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً.
- [٣٧١] (٢). نهج البلاغة، الخطبة ٨١.
- [٣٧٢] (٣). بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٢٩٩.
- [٣٧٣] (٤). المصدر السابق، ج ٤٢، ص ٢٧٦.
- [٣٧٤] (١). كنز العمال، ح ٨٥٦٦.
- [٣٧٥] (١). المؤمنون هنا، بقرينه الآية السابقة إشارة إلى أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام وهى آية الولاية واعطاء الإمام خاتمه فى حال الركوع، وعلى فهذه الآية نازلة فى شأنه عليه السلام.
- [٣٧٦] (١). سند الرسالة: أجمل الكثير من شراح فى من هو المخاطب فى هذه الرسالة، ولكن صاحب كتاب (مصادر نهج البلاغة) يرى أن المخاطب لها هو مالك الأشر، وكذلك ذكره صاحب كتاب (تمام نهج البلاغة) ويضيف صاحب المصادر: عندما عاد الإمام على عليه السلام من صفين أرسل مالك الأشر إلى منطقة حكومته وإدارته «منطقة الجزيرة» (وفقاً لما ورد فى معجم البلدان أن الجزيرة منطقة فى العراق تقع بين نهري دجلة والفرات) وعندما انتهت قضية التحكيم وتغيرت أوضاع مصر أرسل الإمام على عليه السلام مالك الأشر إلى مصر بدلاً من محمد بن أبى بكر وأرسل معه هذه الرسالة وقال: إن هذه المهمة لا يقوم بها إلا أنت، وأعطاه رسالة العهد التى ستأتى فى الرقم ٥٣.
- ومن الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى، إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات، وكذلك البلاذرى فى أنساب الأشراف، والطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ٣٨، ومن الأشخاص الذين ذكروا هذه الرسالة بعد السيد الرضى، ابن الأثير فى كتابه الكامل». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٧٦).
- [٣٧٧] (١). «استظهر» من مادة «استظهار» بمعنى طلب المعونة والمساعدة.
- [٣٧٨] (٢). «أقمع» من مادة «قمع» على وزن «قرض» بمعنى انصراف الشخص من إنجاز هدفه، وبمعنى القهر والضغط على الشخص للاستسلام، و«مقمعه» تعنى العمود الحديدى الذى يضرب به الشخص أو الحيوان المتمرد على رأسه لمنعه من التمرد.



- [٣٧٩] (٣). «نخوة» التكبر والغرور.
- [٣٨٠] (١). «لهاء» بمعنى اللسان الصغير، ثم اطلقت على المخنق والحنجرة كما ورد في الجملة أعلاه.
- [٣٨١] (٢). «الثغر» يعني حدود البلد وفي الأصل بمعنى كل شق.
- [٣٨٢] (١). تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٠١، حوادث سنة ٣٦.
- [٣٨٣] (٢). «منبج» على وزن «مجلس» اسم مدينة من مدن الشام.
- [٣٨٤] (٣). «ضغث» على وزن «حرص» تعني قبضة من الأعواد الرفيعة مثل سيقان الحنطة والشعير أو محمل التمر في النخلة، ويأتي بمعنى حزمة من حطب أو نبات الجاف أيضاً، وأحياناً تطلق على المنامات المضطربة، وهنا وردت بمعنى مجموعة من عوامل اللين.
- [٣٨٥] (١). الكافي، ج ٢، ص ١١٩، ح ٦.
- [٣٨٦] (٢). مجاني الأدب، ج ٢، ص ٤٨.
- [٣٨٧] (١). مجاني الأدب، ج ٢، ص ١٠١.
- [٣٨٨] (٢). سورة الحجر، الآية ٨٨.
- [٣٨٩] (٣). سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
- [٣٩٠] (٤). «آس» من مادة «مواساء» تعني وقوع الأشياء في صف واحد والتساوي في المرتبة.
- [٣٩١] (٥). «حيف» الانحراف عن الحق والعدالة.
- [٣٩٢] (١). سند الرسالة: نقل هذه الوصية جماعة كثيرة قبل السيد الرضي، ومنهم أبو مخنف (لوط بن يحيى طبقاً لنقل مقاتل الطالبين) وأبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرون، والطبري في تاريخه المعروف في حوادث سنة ٤٠، والكليني في كتاب الكافي، والمسعودي في مروج الذهب، والشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه، وجماعة آخرون. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٧٩-٣٨١).
- [٣٩٣] (١). «تبغيا» و«بغت» كلاهما من مادة «بغاء» على وزن «سنا» بمعنى طلب الشيء.
- [٣٩٤] (٢). «زوى» من مادة «زى» على وزن «حى» وتعني الإبعاد والنهي، وفي الجملة أعلاه «زوى» بمعنى اخذ.
- [٣٩٥] (٣). سورة الحديد، الآية ٢٠.
- [٣٩٦] (٤). سورة الحديد، الآية ٢٣.
- [٣٩٧] (١). تفسير در المنتور، ذيل الآية ١٠ من سورة الحشر.
- [٣٩٨] (٢). ميزان الحكمة، ج ٣، باب الحزن، ح ٣٧٨٩. وللاطلاع أكثر انظر الرسالة ٢٢ من هذا الكتاب.
- [٣٩٩] (١). الكافي، ج ٢، ص ٣٣٢، ح ٨.
- [٤٠٠] (١). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٥٩.
- [٤٠١] (٢). غرر الحكم، ص ٤٤٦، ح ١٠٢١٠.
- [٤٠٢] (١). جاء في رواية وفقاً لما ذكر صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة: عندما عاين الطبيب المعروف في الكوفة الإمام عليه السلام قال: أنا آيس من بقاءك وحياتك، فأمر الإمام عليه السلام بأن يأتي له بدواة وقلم. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٧٩).
- [٤٠٣] (٢). «ذات» في الأصل بمعنى الخلقة والبنية وأساس الشيء، وإن جاء في اصطلاح الفلاسفة بمعنى عين الشيء وحقيقته، ومن هذه الجهة فإن إصلاح ذات البين أو صلاح ذات البين إشارة إلى إزالة الكدورات والأحقاد من الأصل والأساس.
- [٤٠٤] (١). سورة الحجرات، الآية ١٣.
- [٤٠٥] (١). تفسير الثعلبي، ج ٩، ص ٨٠.

- [٤٠٦] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٢٠٩، ح ١.
- [٤٠٧] (١). الختن، زوج بنت الرجل وزوج اخته.
- [٤٠٨] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٢٠٩، ح ٣ و ٤.
- [٤٠٩] (٣). كنز العمال، ح ٥٤٨٠؛ مجموعة ورام، ج ١، ص ٣٩.
- [٤١٠] (٤). بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٤٤.
- [٤١١] (٥). المصدر السابق، ص ٤٣.
- [٤١٢] (١). «تغبوا» من مادة «غَبَّ» على وزن «حد» بمعنى العاقبة، وهذه المفردة تأتي أحياناً في مورد الأعمال والأموال التي يؤتى بها بشكل غير متوالى، من قبيل ما ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال لبعض أصحابه: «زُرُّ غِبًّا تَزُدُّ حُبًّا» (مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٣٧٤، ح ١٢٢١٠).
- [٤١٣] (١). مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٠٦.
- [٤١٤] (٢). المصدر السابق.
- [٤١٥] (٣). من بلاد كردستان قريبة من بغداد.
- [٤١٦] (٤). الكافي، ج ١، ص ٤٠٦، ح ٥.
- [٤١٧] (١). بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٩.
- [٤١٨] (٢). «سيورثهم» «ورث» (صيغة الثلاثي المجرد) تعنى أخذ الميراث، ولكن «ورث» من باب التفعيل تعنى اعطاء الميراث أو ترك الميراث.
- [٤١٩] (١). مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٤٢٤، ح ١٤.
- [٤٢٠] (٢). انظر: وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٤٩١، آداب العشرة، باب ٩٠.
- [٤٢١] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٩.
- [٤٢٢] (١). بهج الصباغة، ج ١١، ص ٨٠.
- [٤٢٣] (٢). نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.
- [٤٢٤] (١). التهذيب، ج ٢، ص ٢٣٧، ح ٥.
- [٤٢٥] (٢). بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٢١٨، ح ٣٦.
- [٤٢٦] (٣). ذكر المرحوم العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٢٥١، وجماعة من شراح نهج البلاغة معنى الجملة كما ذكرناه في المتن، وبهذا المعنى ورد في مجمع البحرين، ولكن جماعة من الأكابر كالفيض الكاشاني في الوافي، والمحقق السبزواري في ذخيرة المعاد، والسيد أحمد العاملی في مناهج الأخيار في شرح الاستبصار فسروا جملة: «لم تناظروا» بمعنى «لم تمهلوا».
- [٤٢٧] (١). الكافي، ج ٤، ص ٢٧١.
- [٤٢٨] (٢). ورد في بعض نسخ الوسائل «ما أخلفك».
- [٤٢٩] (٣). الكافي، ج ٤، ص ٢٧١، ح ١.
- [٤٣٠] (١). تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٢٣، ح ٨.
- [٤٣١] (٢). الكافي، ج ٥، ص ٨، ح ١١.
- [٤٣٢] (١). الكافي، ج ٢، ص ٣٤٥، ح ٥.
- [٤٣٣] (٢). المصدر السابق، ص ٣٤٦، ح ٧.

- [٤٣٤] (٣). المصدر السابق، ص ٣٤٤، ح ١.
- [٤٣٥] (١). الكافي، ج ٥، ص ٥٦، ح ٣.
- [٤٣٦] (١). الكافي، ج ٥، ص ٥٥، ح ١.
- [٤٣٧] (٢). المصدر السابق.
- [٤٣٨] (٣). المصدر السابق، ص ٥٩، ح ١١.
- [٤٣٩] (١). «ألفينكم» من مادة «لفو» على وزن «لهو» فى الأصل بمعنى فصل الشىء عن غيره، مثل فصل اللحم عن العظم، والفاء هنا بمعنى العثور على الشىء فجأة.
- [٤٤٠] (٢). «تخوضون» من مادة «خوض» فى الأصل بمعنى الغمس فى الماء، ثم اطلقت على الدخول العميق والتوغل فى كل شىء حتى فى البحوث العلمية.
- [٤٤١] (١). انظر: شرح نهج البلاغة، للعلامة التستري، ج ١١، ص ٨٧.
- [٤٤٢] (١). تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ١١١؛ الكامل، لابن الأثير، ج ٣، ص ٣٩٠.
- [٤٤٣] (٢). «تمثلوا» من مادة «مثل» على وزن «أصل» بمعنى قطع وفصل أعضاء البدن فى العقوبة.
- [٤٤٤] (٣). «عقور» بمعنى المتوحش والهارى، وهى صيغة مبالغة من مادة «عقر» على وزن «عقد» بمعنى إصابته بجرح، وهذه المفردة تستخدم غالباً فى الكلاب، ولكن أحياناً تطلق على حيوانات أخرى.
- [٤٤٥] (٤). سورة النحل، الآية ١٢٦.
- [٤٤٦] (٥). التفسير الأمثل، ذيل الآية ١٢٦ من سورة النحل، نقلًا عن تفسير العياشى والدر المنثور والميزان.
- [٤٤٧] (٦). بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٢١٦، ح ٤.
- [٤٤٨] (١). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، وكذلك نقلها نصر بن مزاحم فى كتابه عن ابن ديزيل وكلاهما كان يعيشان قبل السيد الرضى، وكذلك ذكر أحمد بن أعثم الكوفى فى كتاب الفتوح وكان أيضاً قبل السيد الرضى وأوردها بشكل أكثر تفصيلاً مما أورده السيد الرضى، وهذا يشير إلى وجود مصدر آخر لهذه الرسالة. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٨٣ و ٣٨٤).
- [٤٤٩] (١). «الزور» على وزن «كور» فى الأصل من مادة «زور» على وزن «غور» وتعنى القسم العلوى من الصدر، ثم اطلقت على كل شىء ينحرف عن الحد الوسط، وبما أن الكلام الباطل منحرف عن الحق يقال له «زور»، وشهادة الزور تعنى شهادة الكذب والباطل.
- [٤٥٠] (٢). «يوتغان» من مادة «وتغ» على وزن «وجب» بمعنى هالك وفساد، وعندما تأتى من باب الأفعال تعنى إهلاك وإفساد.
- [٤٥١] (١). انظر: بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٥٣٧.
- [٤٥٢] (٢). «تألوا» من مادة «تأة» على وزن «عطية» بمعنى القسم واليمين، وعندما تأتى من باب تفعل (كما فى مورد البحث) تعنى صدور القسم من الطرفين، وفى بعض نسخ نهج البلاغة ورد كلمة «تألوا» بدلاً من هذه المفردة، وهنا تعنى التفسير بالرأى، يعنى أن جماعة ولغرض التوصل إلى غاياتهم يأولون آيات القرآن وفقاً لميولهم وأهوائهم النفسانية.
- [٤٥٣] (١). «يغتبط» من مادة «غبطة» وتعنى الفرح والسرور، وأحياناً تأتى بمعنى الحسد، (ولكن ليس الحسد بمعنى السلبى يعنى تمنى سلب النعمة من الآخر، بل بمعنى الحصول على النعم التى حصل عليها الآخرون).
- [٤٥٤] (٢). «أحمد» من مادة «حمد» بمعنى من يليق للمدح والثناء.
- [٤٥٥] (٣). «أمكن» من مادة «مكان» وهنا جاءت بمعنى التسهل وتوفير وسائل العمل، وبالتالي السيطرة على الشىء أو الشخص.
- [٤٥٦] (٤). «قياد» تعنى اللجام، من مادة «قيادة» أى الرئاسة والزعامة.

- [٤٥٧] (١). سورة مريم، الآية ٣٩.
- [٤٥٨] (٢). صفين، ص ٤٨٩.
- [٤٥٩] (١). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح، والدينوري (المتوفى ٢٨٢) في أخبار الطوال، ونصر بن مزاحم في كتاب صفين وكلهم عاش قبل السيد الرضى، وقال جماعة من المؤرخين وشرّاح نهج البلاغة بأنّ المخاطب لهذه الرسالة هو عمرو بن العاص (ولمزيد من التوضيح انظر: مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٨٤).
- [٤٦٠] (١). «لهج» بمعنى العلاقة الشديدة والافتتان فى مقابل شىء.
- [٤٦١] (٢). الكافى، ج ٢، ص ١٣٦، ح ٢٤.
- [٤٦٢] (٣). سورة ص، الآية ٢٣.
- [٤٦٣] (٤). سورة ص، الآية ٢٤.
- [٤٦٤] (١). روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٢٩.
- [٤٦٥] (٢). روضات الجنات، ج ٧، ص ٨٩ و ٩٠.
- [٤٦٦] (٣). الكافى، ج ٢، ص ٥٨٦، ح ٢٤.
- [٤٦٧] (١). الكافى، ج ٢، ص ٣١٩، ح ١٢.
- [٤٦٨] (٢). «أبرم» من مادة «إبرام» بمعنى لف الحبل وتقويته، ثمّ إمتد هذا المعنى ليشمل كل عمل محكم ومتقن، وضده النقض، ويعنى فتح العقدة وإضعاف قوّة الشىء.
- [٤٦٩] (٣). سورة الدخان، الآيات ٢٥-٢٨.
- [٤٧٠] (٤). سورة الحج، الآية ٤٦.
- [٤٧١] (١). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة قبل السيد الرضى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين (مع تفاوت يسير)، وبعد السيد الرضى ذكرها الشيخ الطوسى فى الأمالى مع اختلاف يسير أيضاً. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٨٧) ومن الأشخاص الذين ذكروا هذه الرسالة قبل السيد الرضى أبو جعفر الإسكافى (المتوفى ٢٢٠) فى كتاب المعيار والموازنة، ص ١٠٣.
- [٤٧٢] (١). «طُول» على وزن «قول» بمعنى النعمة ومن مادة «طُول» على وزن «نور» وبيّن إمتداد الشىء، وبما أنّ النعم الإلهية تعتبر إمتداداً وجودياً لواهب النعم، فاطلقت هذه المفردة عليها.
- وهذه الكلمة تطلق أحياناً على المقدرّة المائئة أو على كلّ مقدرّة، و«اولو الطول» تعنى الأثرياء من الناس.
- [٤٧٣] (٢). غرر الحكم، ص ٤٤٨، ح ١٠٣٠١.
- [٤٧٤] (١). «احتجز» من مادة «حجز» على وزن «عجز» ومعناه فى الأصل المنع وإيجاد الفاصلة، ثمّ اطلقت على عمليّة الإخفاء والتستر الذى يمنع من مشاهدة الشىء أو الإطلاع عليه.
- [٤٧٥] (١). تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٣٦٦ وقائع سنة التاسعة للهجرة.
- [٤٧٦] (٢). شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ٥، ص ١٢٩.
- [٤٧٧] (٣). «أطوى» من مادة «طى» فى الأصل تعنى إخفاء الشىء، والمعنى الآخر لكلمة «طى» لفّ الشىء ومن هذه الجهة اطلقت على السير فى الطريق «طى طريق» ولا يبعد أنّ كلا المعنيين يعودان لجذر واحد.
- [٤٧٨] (١). الكافى، ج ٧، ص ٤١٤، ح ٦.
- [٤٧٩] (١). سورة المائدة، الآية ٣.
- [٤٨٠] (٢). «تنكصوا» من مادة «نكص» على وزن «مكث» تعنى العودة من الشىء أو المكان، وبما أنّ التمرد وعدم الطاعة نوع من

العودة عن طريق الطاعة، استخدمت هذه الكلمة بهذا المعنى.

[٤٨١] (١). «غمرات» جمع «غمرة» على وزن «ضربة» فى الأصل من غمر وبمعنى إزالة أثر الشىء، ثم استخدمت فى الماء الكثير الذى يغطى جميع الوجه الشىء وظاهره، ويقال: غمرة وغامر، وفى العبارة أعلاه جاءت بمعنى أمواج الشدائد والمشكلات.

[٤٨٢] (١). تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٦.

[٤٨٣] (٢). سورة المائدة، الآية ٢٤.

[٤٨٤] (٣). سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٢٦٦ و ٢٦٧؛ الكامل، لابن الأثير، ج ٢، ص ١٢٠.

[٤٨٥] (١). «أعوج» من مادة «عوج» على وزن «حرج» وتعنى انحراف الشىء وميلانه و«عوج» بكسر العين، اسم مصدر وتشمل كل أشكال الانحراف والاعوجاج، وتطلق أحياناً بمعنى الانحرافات المعنوية والعملية وجاءت فى العبارة أعلاه بهذا المعنى.

[٤٨٦] (١). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة قبل السيد الرضى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، بشكل رسالتين وقد وردتا فى مكانين مختلفتين من هذا الكتاب مع تفاوت يسير عما أورده السيد الرضى. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٨٩)، وكذلك ذكرها أبو جعفر الإسكافى الذى كان يعيش قبل السيد الرضى فى كتابه المعيار والموازنة، ص ١٢٢، ولكنه ذكر مقاطع من هذه الرسالة تشبه الرسالة مورد البحث، ولكن يحتمل كونها رسالة أخرى، وفى كتاب تمام نهج البلاغة، ص ٧٧٦ توجد رسالة شبيهة لرسالة أبى جعفر الإسكافى.

[٤٨٧] (١). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٧٨.

[٤٨٨] (٢). سورة الحج، الآية ٧٨.

[٤٨٩] (٣). سورة البقرة، الآية ١٨٥.

[٤٩٠] (١). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٢٩٠.

[٤٩١] (٢). الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ١٩، ص ٥٢.

[٤٩٢] (١). انظر: جواهر الكلام، ج ٢٢، ص ٢٠٠.

[٤٩٣] (١). الكافى، ج ٢، ص ١٤٦، ح ١٠.

[٤٩٤] (٢). «تحشموا» من مادة «احشام» وفى الأصل «حشم» على وزن «كرم» بمعنى إخجال الطرف الآخر، وعندما تأتى من باب الإفعال، تشير إلى هذا المعنى أيضاً، وأحياناً تأتى بمعنى الاغضاب أيضاً، وفى الجملة أعلاه المعنى الأول أنسب، و«حشمت» على وزن «حكمت» تعنى الحياء والخجل، وأحياناً بمعنى اللياقة أيضاً.

[٤٩٥] (١). «معاهد» تستعمل فى معنيين، أحدهما أهل الذمة والأقليات الديتية فى داخل البلدان الإسلامية الذين يعيشون بسلام مع المسلمين، والآخر: الكفار الذين يعيشون خارج البلدان الإسلامية وتربطهم مع المسلمين رابطة العهد والميثاق، وفيما نحن فيه فالمراد المعنى الأول.

[٤٩٦] (٢). «تدخروا» من مادة «ذخيرة» وعندما تأتى من باب إفعال تبدل الدال إلى ذال، والتاء فى باب افتعال تبدل أيضاً إلى دال، وعليه فإن «لا تدخروا» تعنى لا تدخروا ولا تبقوا فى أنفسكم نصيحة.

[٤٩٧] (١). وردت فى بعض الروايات هذه الجملة وما بعدها فى رسالة الإمام عليه السلام إلى قادة جيشه. (من كتاب صفين لنصر بن مزاحم، ص ١٢٥)، والتعبير بالجند يتناسب مع هذا النقل.

[٤٩٨] (٢). «ابلوا» (من باب إفعال) بمعنى السعى وبذل الجهد لأداء الشىء، وأحياناً تأتى بمعنى الامتحان والاختبار أو التحلل والانحلال، وفى هذا المورد جاء بالمعنى الأول.

[٤٩٩] (٣). «اصطنع» من مادة «اصطناع» بمعنى طلب الشىء، وأحياناً تأتى بمعنى صناعة الشىء وتربيته، وهنا جاءت بالمعنى الأول.

[٥٠٠] (١). سند الرسالة: جاء فى كتاب مصادر نهج البلاغة أن هذه الرسالة ذكرها أبو منصور الثعالبي من المعاصرين للسيد الرضى فى الباب الثالث من كتاب «الإعجاز والإيجاز» مع تفاوت ملفت، وقد ذكر صاحب المصادر هذا التفاوت، وفى المجموع يستنتج أن الثعالبي (قطعا) لم يأخذ هذه الرسالة من نهج البلاغة للسيد الرضى. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٩٠).

[٥٠١] (١). «تفىء» من مادة «فىء» يعنى العودة والرجوع.

[٥٠٢] (٢). «مربض» من مادة «ربض» على وزن «نبض» بمعنى جلوس الحيوان على صدره على الأرض، وبما أن الحيوانات تجلس بهذه الصورة فى الحضيرة غالباً فإن المريض يأتى بمعنى الحضيرة محل استراحة الأغنام والماعز.

[٥٠٣] (٣). «عنز» الانثى من الماعز، والماعز يطلق على كل أشكال هذا الحيوان، وأحياناً يأتى بمعنى الحيوان الذى يملك الشعر من الأنعام لا الصوف، وقصير الذنب.

[٥٠٤] (١). ورد فى بعض نسخ نهج البلاغة بدل كلمة «حتى» حين. مثل كتاب اختيار مصباح السالكين، ص ٥٣٩ وكتاب حدائق الحقائق، ج ٢، ص ٥١٧.

[٥٠٥] (٢). سورة الاسراء، الآية ٧٨.

[٥٠٦] (١). من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٨٣، ح ٨٧٠.

[٥٠٧] (٢). بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٦٠٧.

[٥٠٨] (١). صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٥١، باب الجمع بين الصلاتين فى الحضر، ح ٤٥ و ٥٠.

[٥٠٩] (٢). صحيح البخارى، ج ١، ص ١٤٠، باب وقت المغرب.

[٥١٠] (٣). مصنف عبدالرزاق، ج ٢، ص ٥٥٦.

[٥١١] (٤). المعجم الكبير الطبرانى، ج ١٠، ص ٢١٩، ح ١٠٥٢٥.

[٥١٢] (٥). مسند البزاز، ج ١، ص ٢٨٣.

[٥١٣] (١). سورة الاسراء، الآية ٧٨.

[٥١٤] (٢). التفسير الكبير، للفخر الرازى، ج ٢١، ص ٢٧.

[٥١٥] (١). سند الرسالة العهديه: هذه الرسالة المعروفة بعهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر من أشهر كتب ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام والغنية عن التعريف ولا تحتاج لذكر السند، وهذه الرسالة وردت فى كتب كثيرة قبل السيد الرضى وكذلك بعده، وفى الحقيقة أن شهرة هذه الرسالة أسمى وأعلى من أن تحتاج إلى شرح مداركها.

[٥١٦] (٢) ولكن صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة يصرح أن جماعة من الأكابر قبل السيد الرضى، مثل الحسن بن على بن شعبة (المتوفى ٣٣٢) ذكرها فى كتاب تحف العقول، وذكرها القاضى النعمان المصرى (المتوفى ٣٦٧) فى كتاب دعائم الإسلام، وذكرها بعد السيد الرضى، الرجالى المعروف النجاشى فى كتابه «الفهرست» فى شرح حال الأصبغ بن نباتة، وكذلك الشيخ الطوسى فى كتابه الفهرست، والنويرى فى نهاية العرب مع اختلاف يسير، وابن عساكر (المتوفى ٥٧١) فى تاريخ مدينة دمشق حيث ذكر مقاطع منها.

والجدير بالذكر أن العلماء والكتاب كتبوا شروحا كثيرة جداً على هذه الرسالة، منهم: ١. آداب الملوك نظام العلماء، ٢. أساس السياسة للواعظ المعروف الشيخ محمد الكجورى الملقب بسطان المتكلمين. ٣. التحفة السليمانية للسيد ماجد البحرانى (المتوفى بعد ١٠٩٧). ٤. الراعى والرعية للكاتب الاستاد توفيق الفكيكى. ٥. السياسة العلوية تأليف عبدالواحد آل مظفر. ٦. شرح عهد أمير المؤمنين لمحمد باقر بن صالح القزوينى. ٧. شرح عهد أمير المؤمنين للعلامة المجلسى (المتوفى ١١١١). ٨. شرح عهد أمير المؤمنين للميرزا حسن بن السيد على القزوينى (المتوفى ١٣٥٨). ٩. شرح عهد أمير المؤمنين للميرزا محمد بن سليمان التنكابنى. ١٠. شرح عهد أمير المؤمنين الشيخ هادى بن محمد حسين القائنى. ١١. شرح الفاضل. ١٢. فرمان المبارك لجواد. ١٣. نصايح الملوك للمولى أبى الحسن

العاملى. ١٤. مقتبس السياسة وسياج الرئاسة. ١٥. القانون الأكبر فى شرح عهد الإمام للأشتر للسيد مهدي السويج. ١٦. مع الإمام على فى عهده لمالك الأشتر للعلامة الشيخ محمد باقر الناصرى (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٢٦) وهناك شروح كثيرة أخرى كتبت فى عصرنا الحاضر، وقد سمعنا فى الأخبار أنّ هذه الرسالة ترجمت إلى لغات مختلفة ووضعت فى مبنى الامم المتحدة بعنوان سند تاريخى ووزعت على نواب دول العالم فى الامم المتحدة.

[٥١٧] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ٦، ص ٧٢ و ٧٣.

[٥١٨] (١). مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٢٥.

[٥١٩] (١). كتبنا فى شرح حال عبد الله أبى سرح - الأخ الرضاعى لعثمان - فى الإسلام، فى ذيل الرسالة ٣٨ من الجزء التاسع من هذا الكتاب.

[٥٢٠] (١). «جباية» مثل جمع الزكاة وأموال بيت المال وأمثلة ذلك، وفى الأصل من مادة «جباوة» على وزن «عداوة» وتعنى الجمع أو التجميع.

[٥٢١] (١). «يزع» من مادة «وزع» على وزن «وضع» بمعنى المنع النفس وحفظها من الجنوح والجموح، وأحياناً تأتي بمعنى جمع الأفراد حول بعضهم، لأن ذلك يمنعهم من التفرق والانتشار.

[٥٢٢] (٢). «الجمحات» جمع «جمحة» على وزن «صدقه» بمعنى الحوادث أو عوامل التمرد والعناد.

[٥٢٣] (١). سورة الفجر، الآية ٢٧.

[٥٢٤] (٢). سورة يوسف، الآية ٥٣.

[٥٢٥] (١). غرر الحكم، ح ٤٦٨٣.

[٥٢٦] (١). غرر الحكم، ح ٤٧٧٩.

[٥٢٧] (١). سورة الكهف، الآية ١١٠.

[٥٢٨] (٢). سورة فاطر، الآية ١٠.

[٥٢٩] (٣). سورة العصر، الآيتان ٣ و ٤.

[٥٣٠] (٤). «شخ» فى الأصل بمعنى البخل المقترن بالحرص، بحيث يصير عادة للإنسان، وهاتان الصفتان من الرذائل الأخلاقية المهمة، وذكر بعض مفسرى القرآن أنّ «شخ» أشد من البخل، والاستفادة من هذه المفردة من كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى الالتزام بشدة على اجتنابك للحرام وحفظ نفسك من هذه الرذيلة كما يمنع البخل أمواله وثورته من بذلها للناس.

[٥٣١] (١). الكافى، ج ٢، ص ٣٣٥، ح ١.

[٥٣٢] (٢). غرر الحكم، ح ٤٨٩٨.

[٥٣٣] (١). الكافى، ج ١، ص ٤٠٧، ح ٨.

[٥٣٤] (٢). «ضارياً» تعنى المتوحش، من مادة «ضرو» على وزن «ضرب» وفى الأصل بمعنى الهجوم الشديد على شخص أو شىء، ومن هذه الجهة اطلقت هذه الكلمة على هجوم الأغنام على الزرع أيضاً.

[٥٣٥] (١). «يفرط» من مادة «فرط» على وزن «شرط» بمعنى العجلة والتسرع فى أداء العمل. وهذه المفردة تستخدم فى مورد أن يتحرك الشخص للتسابق فى عمل معين.

[٥٣٦] (٢). «زلل» و«زلة» على وزن «غلة» بمعنى الخطأ والزيغ.

[٥٣٧] (١). سورة النور، الآية ٢٢.

[٥٣٨] (١). هذا التعبير يساوق ما ورد فى القرآن الكريم: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُؤْتِي سَلًا رَسُولًا»



سورة الشورى، الآية (٥١).

[٥٣٩] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٣٥٣، ح ١٠.

[٥٤٠] (٣). «تبجحن» من مادة «بجح» على وزن «وجب» بمعنى الفرخ والافتخار.

[٥٤١] (٤). «بادرة» الأفعال والحركات المتسعة التي تصدر من الإنسان في حالات الغضب والحدّة، من مادة «بدور» على وزن «صدور» وتعني السرعة في العمل.

[٥٤٢] (٥). «مندوحه» بمعنى الوسع وطريق الحل من مادة «ندح» على وزن «مدح» وهذه المفردة ربّما تأتي اسم مفعول وتعني المكان الذي تمّت توسعته، أو المكان الواسع.

[٥٤٣] (١). غرر الحكم، ح ٦٨٩٢.

[٥٤٤] (٢). المصدر السابق، ح ٦٨٩٣.

[٥٤٥] (٣). «إدغال» من مادة «دغل» على وزن «عقل» بمعنى الدخول في مكان بشكل خفي، وبما أنّ الفاسدين و المفسدين يدخلون بهذه الصورة عادة، فإنّ هذه الكلمة تستبطن غالباً معنى الفساد، و«دغل» على وزن «قمر» بمعنى الفساد، وأحياناً تأتي بمعنى الشخص المفسد، وفي العبارة أعلاه جاءت بمعنى الفساد.

[٥٤٦] (٤). «منهكة» من مادة «نهك» على وزن «مدح» بمعنى المتعب والمضعف، وتطلق كلمة منهكة على الضعف والعجز أو على أسباب الضعف والعجز.

[٥٤٧] (٥). «غير» بمعنى الحوادث المغيرة للحال جمع «غيره» على وزن «غيبه».

[٥٤٨] (١). غرر الحكم، ح ٧١٧٥.

[٥٤٩] (٢). المصدر السابق، ح ٥٧٥٠.

[٥٥٠] (٣). «ابته» بمعنى العظمة، وأحياناً تأتي بمعنى الكبر والغرور، وفي الجملة أعلاه وردت بهذا المعنى.

[٥٥١] (١). «مخيلة» بمعنى العجب والأنانية.

[٥٥٢] (٢). «يطامن» من مادة «طمأنه» ويعني إمتصاص الغيظ وتهدئ النفس وانزال الشيء إلى الأسفل.

[٥٥٣] (٣). «طماح» بمعنى التمرد.

[٥٥٤] (٤). «غرب» بمعنى الشدّة والحدّة.

[٥٥٥] (٥). «عزب» بمعنى الغائب.

[٥٥٦] (١). «مساماة» بمعنى طلب العلو والمقابلة في المثل.

[٥٥٧] (٢). «مختال» يعني المتكبر والمغرور من مادة «خَيلاء» على وزن «جهلاء» وتعني التخيلات التي تدعو الإنسان لكي يتصور نفسه كبيراً وعظيماً.

[٥٥٨] (٣). الكافي، ج ٢، ص ٣٠٩، ح ١.

[٥٥٩] (٤). المصدر السابق، ح ٥.

[٥٦٠] (١). انظر: الكافي، ج ٢، باب الكبر.

[٥٦١] (٢). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٩٠، ح ٣.

[٥٦٢] (١). «هوى» بمعنى الميل والعلاقة.

[٥٦٣] (١). الكافي، ج ٢، ص ١٤٤، ح ٣.

[٥٦٤] (٢). المصدر السابق، ص ١٤٥، ح ٨.

- [٥٦٥] (٣). « ادحض » من مادة « دحض » على وزن « محض » وتعنى بطلان الشيء، وعندما تأتي من باب إفعال تعنى إظهار البطلان، وإبطال الحجّة في مورد بمعنى عدم قبول العذر.
- [٥٦٦] (٤). « ينزع » من مادة « نزع » على وزن « نظم » يعنى قلع وفصل الشيء وتركه، وينبغى الالتفات إلى أنّ التناسب في الجملة أعلاه يقتضى أن تكون « أو » بمعنى الواو، وجاء في بعض نسخ نهج البلاغة « أو بدل « أو ».
- [٥٦٧] (١). « المضطهدين » جمع « مضطهد » بمعنى المظلوم، من مادة « ضهد » على وزن « مهد » وتعنى الظلم.
- [٥٦٨] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١٢.
- [٥٦٩] (٣). غرر الحكم، ح ٨٠٤٧.
- [٥٧٠] (١). الكافي، ج ٢، ص ٣٣٣، ح ١٤.
- [٥٧١] (٢). سورة النمل، الآية ٥٢.
- [٥٧٢] (٣). التفسير الأمثل، ذيل الآية ٤٢ من سورة الكهف.
- [٥٧٣] (٤). سنن ابن ماجه، ج ٢، باب البغي، ح ٤٢١٢، ص ١٤٠٨.
- [٥٧٤] (١). « أوسط » من مادة « وسط » بمعنى في هذا المورد الأفضل من الأشياء، لأنّ الشيء الذي يقع في الحد الوسط الاعتدال هو الأفضل والأكمل، يقول القرآن الكريم في سورة القلم الآية ٢٨: « قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْمَعُونَ »، أى أعقلهم، وجاء في لسان العرب: « أوسط الشيء أفضل الشيء وخياره ».
- [٥٧٥] (١). « يُجِحِف » من « اجحاف » ومن مادة « جحف » على وزن « جهل » في الأصل بمعنى نزل جلد الشيء، ثم استخدمت هذه الكلمة بمعنى الايقاع في المشقة وتخريب الشيء واعطابه.
- [٥٧٦] (١). « الحاف » من مادة « لحف » على وزن « حرف » في الأصل تعنى تغطية الشيء ووضع الستار عليه، ثم استخدمت للاصرار على شيء، وكأنه يصرّ عليه إلى درجة أنه يغطى جميع وجود الطرف الآخر.
- [٥٧٧] (١). « ملمات » من مادة « لم » على وزن « غم » تعنى تجميع الشيء، ثم استخدمت للحوادث الشديدة والمؤلمة، وكان مثل هذه الحوادث تجمع فكر الإنسان وتلفت نظره إليها.
- [٥٧٨] (٢). « جماع » في الأصل مصدر وفي مثل هذه الموارد تأتي بمعنى الوصف يعنى الجامع والمجمع.
- [٥٧٩] (٣). « صغو » تعنى الميل إلى الشيء. « صغو » بفتح الصاد وكسرهما تأتي بمعنى واحد كما ذهب إليه جماعة من المحققين.
- [٥٨٠] (١). سورة الكهف، الآية ٢٨.
- [٥٨١] (٢). سورة هود، الآيتان ٢٩ و ٣٠.
- [٥٨٢] (١). « اشأنهم » من مادة « شأ » على وزن « شمع » وتعنى الحقد والعداوة.
- [٥٨٣] (١). بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٣٠.
- [٥٨٤] (٢). سورة الحجرات، الآية ١٢.
- [٥٨٥] (١). كنز العمال، ح ٦٣٩٢.
- [٥٨٦] (٢). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢١٣، ح ٤.
- [٥٨٧] (٣). « حقد » العداوة المخبوءة في قلب الشخص وينتظر الفرصة لإظهارها وإبرازها.
- [٥٨٨] (١). « وتر » على وزن « فكر » و « وتر » على وزن « سطر » كليهما بمعنى الوحيد والمنفرد، وبما أنّ الإنسان عندما يقتل فإنّ أقرباءه يجدونه وحيداً، ومن الطبيعي أن يضمروا الحقد في قلوبهم، فاستخدمت هذه المفردة بمعنى اضممار الحقد والعداوة، وهو المراد في الجملة أعلاه.

[٥٨٩] (٢). «تَغَاب» فعل أمر من مادة «تغابى» بمعنى تغافل من مادة «غباؤه» بمعنى الجهل وعدم العلم، وكأنَّ الشخص الذى يتغافل فكأنَّه جاهل بذلك الشيء.

[٥٩٠] (٣). «يضح» من مادة «وضوح» بمعنى وضوح الشيء.

[٥٩١] (٤). «ساع» من مادة «سعى» فى الأصل بمعنى كلَّ حركةً ونشاطاً لإنجاز عمل معين، ولكن فى هذه الموارد يطلق على الشخص الذى يسعى فى النميمه وذكر عيوب الآخرين.

[٥٩٢] (٥). «غاشَّ» بمعنى الخائن والمسيء من مادة «غشَّ» بمعنى الخيانه والإساءة.

[٥٩٣] (١). الكافى، ج ٢، ص ٣٦٩، ح ١.

[٥٩٤] (١). «الشره» بمعنى الحرص الشديد.

[٥٩٥] (١). «غرائز» جميع غريزة بمعنى الطبيعه والقريحه والدوافع المتمركزة فى باطن الإنسان أو الحيوانات الأخرى، وهى من مادة «غرز» على وزن «قرض» بمعنى ثقب الشيء أو إحداث ثقب فيه وكأنَّ باطنه يثقب وتوضع الغريزة فى ذلك المكان.

[٥٩٦] (١). سورة البقرة، الآية ٢٦٨.

[٥٩٧] (٢). سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

[٥٩٨] (٣). سورة التغابن، الآية ١٦.

[٥٩٩] (٤). علل الشرايع، ج ٢، ص ٥٥٩، ح ١. وينبغى الالتفات إلى أنه عندما يقول الإمام عليه السلام «غرائز شتى» وفى كلام النبى صلى الله عليه وآله «غريزة واحدة» وذلك بسبب النظرة من زوايا مختلفة إلى هذه المواضيع الثلاثة وهى بحسب الظاهر منفصلة عن بعضها ولكنها فى الواقع تعود إلى أصل واحد.

[٦٠٠] (١). غررالحكم، ح ٤٩٦.

[٦٠١] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٦١.

[٦٠٢] (٣). بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٠٥، ح ٤.

[٦٠٣] (٤). المصدر السابق، ج ٧٤، ص ٤٣، ح ١٣.

[٦٠٤] (١). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠١، ح ٢٥.

[٦٠٥] (٢). غرر الحكم، ح ١٠٠٤٩.

[٦٠٦] (٣). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٢، ح ٣٠.

[٦٠٧] (١). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٤، ح ٣٦.

[٦٠٨] (١). «بطانة» فى الأصل بمعنى الملابس الداخليّة (ضد «ظاهرة» وهى الملابس الخارجيّة) ثم استخدمت هذه المفردة بمعنى الشخص الموثوق لدرجة حفظ الأسرار، محرم السرّ.

[٦٠٩] (١). «الأئمة» جمع «آثم» بمعنى المذنب.

[٦١٠] (٢). «آصار» جمع «اصر» على وزن «مصر» فى الأصل بمعنى الحفظ والحبس، ثم اطلقت على الأعمال الثقيلة التى تمنع الإنسان من النشاط والفعاليّة وكذلك تطلق على الذنوب التى تثقل كاهل الإنسان، وفى الجملة أعلاه قصد بها هذا المعنى.

[٦١١] (٣). «أوزار» جمع «وزر» على وزن «مصر» فى الأصل بمعنى الحمل الثقيل، وتطلق على الذنوب الكبيرة التى تثقل مسؤوليتها كاهل الإنسان، وذهب البعض إلى أنّ الوزر ذنوب أكبر وأثقل من الاصر.

[٦١٢] (٤). «احنى» فى الأصل بمعنى عطف وإلفات نظر أو الشيء، والعطف هنا بمعنى المحبّة.

[٦١٣] (٥). «الف» بمعنى الفة وانس.

- [٦١٤] (١). « حفلات» جمع « حفل» على وزن « حرب» فى الأصل يعنى المحل الذى يتجمع فيه الماء، ثم اطلق على المحل والمجلس الذى يجتمع فيه كثير من الناس، ويقال للمجلس محفل أيضاً.
- [٦١٥] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٧، ص ٤٣.
- [٦١٦] (١). « الزهو» بمعنى التكبر والعجب.
- [٦١٧] (٢). « العزة» فى هذا المورد تعنى الغرور، وجاء فى بعض النسخ « غرة» واستعمالها فى هذا المعنى أوضح.
- [٦١٨] (١). الموطأ، ج ١، ص ١٢ وكتب أخرى.
- [٦١٩] (٢). من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١١.
- [٦٢٠] (٣). غرر الحكم، ص ٤٦٦، ح ١٠٧٣٥.
- [٦٢١] (٤). تحدّثنا عن المدح والثناء فى غير محلّه وحالات التملق والتزلف بشكل مفصّل فى الجزء الثامن ذيل الخطبة ٢١٦.
- [٦٢٢] (١). «تدريب» بمعنى الاعتياد على شىء أو عمل معين، وفى هذا المورد تعنى التشويق فى مقابل «تزهيد».
- [٦٢٣] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٧٧.
- [٦٢٤] (١). رغم أنّ البعض يعتقد بأنّ «قيل» إذا اضيفت للضمير فإنّها تعنى القرب، وإذا استعملت منفصلة تعنى القدرة والقوّة.
- [٦٢٥] (٢). «نصب» بمعنى التعب والمشقّة، من مادة «نصب» على وزن «نصر» وتعنى إثبات الشىء، مثلاً عندما يضعون الرمح فى الأرض ويثبتونه يقال نصب الرمح، وبما أنّ التعب يؤدّى إلى توقف الإنسان عن العمل فاطلقت هذه الكلمة عليه، ويطلق على أعداء أهل البيت عليهم السلام نواصب لأنّه رفعوا لواء العداوة لهم.
- [٦٢٦] (١). «بلاء» الاختبار والامتحان، وأحياناً يكون الاختبار بواسطة النعم وأخرى بواسطة المصائب، من هذه الجهة تطلق كلمة بلاء بمعنى النعمة وبمعنى المصيبة أحياناً أخرى، وفى الجملة أعلاه اريد بها كلا- المعنيين أى بعنوان حسن البلاء وسوء البلاء (وهذه المفردة من مادة «بلى يبلو»).
- [٦٢٧] (٢). عيون الأخبار، لابن قتيبة، ج ١، ص ٦٤، حسب نقل شرح نهج البلاغة، للعلامة التستري، ج ٨، ص ٥١٩.
- [٦٢٨] (١). «صُدور» تعنى المتقدمين ومن كان يجلس فى الصدر، وكذلك مسلمى صدر الإسلام.
- [٦٢٩] (٢). كترالعمال، ح ٩١٠، ووقد ورد مثل هذا الحديث فى المصادر الشيعية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام بطرق مختلفة وبتعبيرات متفاوتة. انظر: بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٥٧ و ٢٥٨.
- [٦٣٠] (١). «مناقشة» من مادة «نقش» فى الأصل تعنى اخراج الشوك من البدن بواسطة المنقاش، ثم اطلقت على كلّ بحث دقيق وحساب كامل، وعليه فإنّ مناقشة الحكماء تعنى البحث الدقيق مع العلماء.
- [٦٣١] (١). الكافي، ج ١، ص ٣٩، ح ٥.
- [٦٣٢] (٢). المصدر السابق، ح ١.
- [٦٣٣] (٣). غرر الحكم، ص ٤٩، ح ٢٧٣.
- [٦٣٤] (١). سنن البيهقي، ج ٤، ص ١٧٦؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٦٢.
- [٦٣٥] (١). «عزّ» و«عزيز» من مادة «عزت» تعنى فى اللغة كلّ شىء يصعب الوصول إليه، ومن هذه الجهة يقال للأرض التى يصعب عبورها أو إيجاد الشق فيها أرض «عزاز»، وكذلك يطلق على كلّ شىء يصعب الوصول إليه بسبب قلته فيقال عزيز، وكذلك يطلق على الأشخاص الأقوياء الذين يصعب التغلب عليهم أو استحيل الغلبة عليهم، ولذلك تأتي «عزة» بمعنى القدرة والندرة، وأيضاً بمعنى الثمين، وفى العبارة أعلاه جاءت بمعنى القدرة.
- [٦٣٦] (١). سورة الأنفال، الآية ٦٠.

[٦٣٧] (١). بحثنا حول الخراج بشكل مفصل فى ذيل الرسالة ٥١.

[٦٣٨] (١). «مَعَاقِد» جمع «مَعْقِد» على وزن «مسجد» فى الأصل بمعنى محل العقدة فى الخيط أو الحبل، ثم اطلقت على كل معاملة وعقد اعتبارى لمناسبة وجود عقدة تربط بين الطرفين، والجذر الأصلى لها «عقد» بمعنى ربط الطرفين.

[٦٣٩] (١). «مَرَفِق» جمع «مرفق» على وزن «مسجد» وكذلك جمع «مرفق» على وزن «محور» ويعنى الأمور التى ينتفع بها الإنسان.

[٦٤٠] (٢). «التَّرْفُق» يعنى الاستفادة والانتفاع من الشىء، وجملة (ما لا يَبْلُغُهُ رَفُقٌ غَيْرِهِمْ) إشارة إلى أن الله تعالى قد خلق للإنسان قابليات وملكات ومواقع اجتماعية مختلفة، فكثير من الأعمال التى يستطيع البعض القيام بها لا يستطيع البعض الآخر، وهذه هى طبيعة الحياة الاجتماعية، بحيث إن كل شخص يشتغل بعمل ينسجم مع استعدادة وطاقاته، والآخرين ينتفعون من عمله وينتفع بدوره من أعمالهم وطاقاتهم.

[٦٤١] (١). «رِفْد» يعنى العطاء والعفو.

[٦٤٢] (١). «تَوَطِين» يعنى دفع الشخص باتجاه معين و«توطين النفس» يعنى جعل النفس تعمل العمل الفلانى، فى الأصل من مادة وطن، وكأن الإنسان يجعل هذا العمل وطناً له ويتوقف فيه، وتأتى هذه المفردة أحياناً بمعنى الاعتياد على شىء أيضاً.

[٦٤٣] (١). «جِيب» فى الأصل بمعنى الشق فى الثوب من جهة الصدر، وبما أن هذا القسم من الثوب يكون على الصدر، والصدر بدوره مجاور للقلب، فستخدم هذه المفردة على الصدر وأحياناً أخرى على القلب.

[٦٤٤] (١). يقول القرآن الكريم فى الكافرين: «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ». (سورة الطور، الآية ٣٢).

[٦٤٥] (٢). «يَبُوب» من مادة «بُوب» على وزن «نذر» فى الأصل بمعنى عدم تأثير السيف والسهم وأمثال ذلك، ثم اطلقت على عدم التوافق وعدم التسليم، وفى العبارة أعلاه قصد بها هذا المعنى.

[٦٤٦] (٣). «لا يُثِيرُهُ» من مادة «إثارة» بمعنى تحريك الشىء أو دفعه باتجاه معين.

[٦٤٧] (١). «جِماع» كما قلنا سابقاً إنها فى الأصل مصدر، وفى هذه الموارد جاءت بمعنى الوصف أى الجامع والمجمع.

[٦٤٨] (١). «لَا يَتَفَاقَمَنَّ» من مادة «تفاقم» بمعنى الكبير والخطير، من مادة «فقم» على وزن «فهم».

[٦٤٩] (٢). «تَعَاهَدَتْهُمْ» من مادة «تعاهد» ومن مادة «عهد» وأحياناً تأتى بمعنى إيجاد العقد والمعاهدة، وأخرى بمعنى القوامة على الشىء وبالاهتمام به، وما جاء فى بعض الروايات أن المسلم عندما يدخل إلى المسجد يتعاهد النعالين، إشارة إلى هذا المعنى والتحقيق فى نعليه لثلا- يكونا ملوثان، وجاء فى حديث شريف عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «تَعَاهَدُوا نِعَالَكُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ مَسَاجِدِكُمْ» (بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ٣٦٧). وجاءت فى العبارة أعلاه بهذا المعنى أى الاهتمام بأمر الجيش.

[٦٥٠] (١). «آثر» صيغة أفعال التفضيل، وتعنى الأفضل، من مادة «إيثار» وتعنى أفضيله الآخر وترجيحه على النفس.

[٦٥١] (١). «جِدَّة» بمعنى القدرة المائنة، وهذه المفردة مصدر من مادة «وجود».

[٦٥٢] (٢). «خُلُوف» جمع «خُلْف» بمعنى من يبقية المسافر فى بيته ووطنه ويتركهم ويسافر، وعادة تطلق على النساء والأطفال والصغار والعاجزين.

[٦٥٣] (١). انظر إلى أن هذا الكلام ينطلق من العلاقة العاطفية بين قادة الجيش والجنود ولا- ينطلق من علاقة مالك الأشر بأفراد الجيش، ولذلك جاء مرجع الضمائر أعلاه بشىء من عدم الاتساق والتناسب، ولكن إذا التفتنا إلى هذه الحقيقة وهى أن المرحوم السيد الرضى قد حذف العبارات والجملة التى تقع فى مطاوى هذا الكلام وهى الجملة التى وردت فى كتاب «تحف العقول» وكذلك كتاب «تمام نهج البلاغة» فحينئذ يتبين أن الإمام عليه السلام كان قد أوصى مالك الأشر بالاهتمام بأمور قادة الجيش وقال: «ثُمَّ وَاتِرُ إِعْلَامُهُمْ ذَاتَ نَفْسِيكَ فى إِيْثَارِهِمْ وَالتَّكْرِمِيَّةَ لَهُمْ، وَاللَّارْصَادِ بِالتَّوَسُّعِ وَحَقَّقْ ذَلِكَ بِحُسْنِ الْفِعَالِ وَالأَثَرِ وَالْعَطْفِ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ». وبذلك يتبين أن ضمائر الجمع تعود إلى قادة الجيش وعلاقة مالك الأشر بهم. «فتدبر».

- [٦٥٤] (١) .« استثقال » من مادة « ثقل ».
- [٦٥٥] (٢) .« استبطاء » بمعنى المشى الخفيف من مادة « بَطء » على وزن « قطب ».
- [٦٥٦] (٣) . شرح نهج البلاغة، للعلامة التستري، ج ٨، ص ٥٣٨. وردت هذه القصة فى تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٣٠٦.
- [٦٥٧] (٤) . يتصور أحياناً أن ضمير فى « آمالهم » وضمائر الجمع التى تأتى بعد ذلك ينبغى أن تعود إلى الرعية، لوجود ضمائر مشابهة قبل ذلك تعود جميعها عليهم، ولكن القرائن الموجودة فى عبارة ( كلمة شجاع وناكل ) تشير إلى أن الجمل تعود إلى المسائل المتعلقة بقيادة الجيش. مضافاً إلى ذلك أن المرحوم السيد الرضى عندما انتقى هذه الجمل والعبارات، حذف الجمل فى الوسط، فى حين أن هذه الجملة تبين عودة هذه التوصيات إلى قادة الجيش، وجاء فى كتاب « تحف العقول » بعد ذكر جملة « انقطاع مدتهم »: « ثم لا تكفن جنودك إلى مغنم وزعته بينهم ». ( تحف العقول، ص ٨٩ ).
- [٦٥٨] (١) .« بلاء » الاختبار والامتحان، وأحياناً يكون الاختبار بواسطة النعم وأخرى بواسطة المصائب، من هذه الجهة تطلق كلمة بلاء بمعنى النعمة وبمعنى المصيبة أحياناً أخرى، وفى الجملة أعلاه اريد بها كلا- المعنيين أى بعنوان حسن البلاء وسوء البلاء ( وهذه المفردة من مادة « بلى يبلو » ).
- [٦٥٩] (٢) .« تهز » من مادة « هز » على وزن « حظ » بمعنى التحريك الشديد والتثوير.
- [٦٦٠] (٣) .« تحرض » من مادة « تحريض » بمعنى الترغيب لعمل معين أو لشيء وإيجاد الدافع له.
- [٦٦١] (٤) .« الناكل » يعنى الشخص الجبان أو المتكاسل والمتراجع عن العمل، من مادة « نكول » بمعنى الخوف والتراجع.
- [٦٦٢] (٥) .« لا تضمن » من مادة « تضمن » على وزن « تعهد » بمعنى أخذ الشيء وتحمل مسؤوليته، وفى الجملة أعلاه إشارة إلى أنك لا ينبغى أن تجعل نقاط قوة شخص إلى آخر وتضمه إليه.
- [٦٦٣] (١) . سورة النساء، الآية ٥٩.
- [٦٦٤] (١) . تفسير الفخر الرازى، ج ١٠، ص ١٤٤، مطبعة مصر، سنة ١٣٥٧.
- [٦٦٥] (١) . لمزيد من الاطلاع على هذه الأحاديث انظر: إحقاق الحق، ج ٣، ص ٤٢٥ والتفسير الأمثل، ذيل الآية ٥٩ من سورة النساء.
- [٦٦٦] (١) .« تمحكه » من مادة « محك » على وزن « مكر » بمعنى اللجاجة والعناد والتعدى.
- [٦٦٧] (١) .« يتمادى من مادة « تمادى ومن مادة « مدى » على وزن « دوا » ويعنى الاستمرار والدوام والإصرار على عمل شيء.
- [٦٦٨] (٢) . سورة المؤمنون، الآية ٧٥.
- [٦٦٩] (٣) . غرر الحكم، ص ٦٥، ح ٨٥٣.
- [٦٧٠] (٤) . المصدر السابق، ص ٤٦٣، ح ١٠٦٤٠.
- [٦٧١] (٥) .« لا يخصر » من مادة « حصر » على وزن « نصر » ويعنى الوقوع فى مضيق، وكثيراً ما تطلق على التوقف والعجز عن الاستمرار فى الكلام، وفى العبارة وردت بكلا المعنيين.
- [٦٧٢] (١) . غرر الحكم، ص ٢٧٢، ح ٥٩٥٤.
- [٦٧٣] (٢) . نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٢١٩.
- [٦٧٤] (١) . الكافى، ج ١، ص ٦٨، ح ١.
- [٦٧٥] (١) . وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٢١٢، ح ١١؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٥٢، ح ٢٦، ولاطلاع أكثر انظر: وسائل الشيعة، ج ١٨، كتاب القضاء الباب ٢١.
- [٦٧٦] (٢) .« تبرم » من مادة « برم » فى الأصل بمعنى حياكة الجبل وأمثاله، ثم اطلقت على كل شيء يثير التعب والملل، وفى العبارة إعلان وردت بمعنى الانزعاج الشديد والتعب.

[٦٧٧] (١). «أَصْرَمَ» من مادة «صرم» على وزن «سرد» بمعنى قطع الشيء، وتأتى أحياناً للقطع المعنوي والقاطعية والحزم في إدارة الأمور.

[٦٧٨] (٢). «يَزْدَهِيهِ» من مادة «إزدهاء» ويعنى العجب والغرور والأناية.

[٦٧٩] (٣). «إطراء» بمعنى المدح والثناء الكثير والتبجيل.

[٦٨٠] (٤). «يَسْتَمِيلُهُ» من مادة «استماله» بمعنى جذب الشخص أو الشيء نحوه.

[٦٨١] (٥). «اغراء» في الأصل بمعنى الصاق شيء بشيء آخر، ثم استخدمت بمعنى التشويق والتحريك لإنجاز لعمل معين، وفي الجملة أعلاه وردت بمعنى التشويق الكثير.

[٦٨٢] (١). «تَعَاهَدَ» بمعنى التحقيق والدراسة وقد ورد ذكر هذه المفردة فيما سبقها من الصفحات.

[٦٨٣] (١). «اغتيال» في الأصل بمعنى إغفال الشخص الإضرار به، وأحياناً تطلق على القتل غدراً، وفي العبارة أعلاه وردت بالمعنى الأول.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهاذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبي - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشئته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافتهم الثققلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسايل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في أكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة



- (ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
- (ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحية و...
- (د) إبداع الموقع الانترنتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخر
- (ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية
- (و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)
- (ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS
- (ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسة

(ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفترق" و فائى/ " بناية " القائمية " تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبية، تبرعية، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الديتية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً مترائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان  
الغائمي

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

